



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

القيادة في ضوء الآيات القرآنية

(دراسة موضوعية)

إعداد الطالب

محمود أحمد الأسطل

إشراف فضيلة الدكتور

رياض محمود قاسم

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1433هـ/2012م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿ [الفرقان: 74]

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿ [المتحنة: 6]

الإهداء

- إلى روح والديّ الغاليين رحمهما الله ﷻ.
- إلى أرواح قادتنا الميامين؛ الشيخ أحمد ياسين، والدكتور عبد العزيز الرتيسي، والشيخ صلاح شحادة، وغيرهم، الذين قدّموا أرواحهم رخيصة من أجل رفعة هذا الدين، وعزة هذه الأمة.
- إلى قادة دعوتنا الغراء، الذين حملوا اللواء، وأكملوا المسير، وما بدّلوا تبديلاً.
- إلى الجنود المجهولين، الذين بذلوا وبيدّلوا أرواحهم في سبيل الله ﷻ، منطلقين بكل قوة وعنقوا من أجل تحرير فلسطين، أولئك الذين يُحرّكهم الواجب قبل أن يُحرّكهم التكليف.
- إلى كل مسلم غيور على هذا الدين، حريص على هذا الوطن، يسمو بنفسه، ويرتقي بمجتمعه؛ ليحقق أهدافه، وطموحاته.
- وأخيراً إلى زوجتي الغالية التي صبرت معي، وتحملت كثرة انشغالاتي، وبذلت أقصى جهدها في تشجيعي ودعمي؛ لإكمال هذا البحث، ومواصلة التحصيل.

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد لله رب العالمين الذي وقّفتني، وأعانني على كتابة هذا البحث، وإخراجه بهذه الصورة، فأشكر الله ﷻ على عظيم فضله، وجميل إحسانه، وأسأل الله ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.
وبعد:

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:12].

أتوجه بالشكر الجزيل لكل من كان له فضل عليّ في إتمام هذا البحث، وفي مقدمتهم أستاذي الفاضل المشرف على البحث، فضيلة الدكتور: **رياض محمود قاسم**، على تشجيعه لي منذ طرقتُ هذا الموضوع، وطفقت أكتب فيه، وعلى ما بذله من جهد، ونصح، وتوجيه، وتذليل للعقبات التي واجهتني أثناء البحث.

كما وأتوجه بالشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة؛ الأستاذين الجليلين:

فضيلة الدكتور / **عبد الكريم حمدي الدهشان** (حفظه الله تعالى)، مناقشاً داخلياً.

وفضيلة الدكتور / **فايز حسّان أبو عمرة** (حفظه الله تعالى)، مناقشاً خارجياً.

على تشرفهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالفوائد، والنصائح القيّمة.

ويبقى الشكر والعرفان موصولاً لشيخِي الفاضل: النائب في المجلس التشريعي، فضيلة

الدكتور/ **يونس محيي الدين الأسطل**، الذي لم يبخل عليّ بنصح، أو إرشاد، أو توجيه؛ فقد كان يقتطع من وقت راحته، وأوقات انشغاله؛ ليفيدني من علمه، ويسدّني برأيه.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لأساتذة كلية أصول الدين؛ وقد عشتُ في كنفها سنواتٍ

طويلاً؛ أدرس وأتعلّم على أيديهم، فجزاهم الله ﷻ عني خير الجزاء.

كما وأتوجه بالشكر والتقدير والعرفان للجامعة الإسلامية بغزة العزّة، إدارةً، وأساتذةً،

ومحاضرين، وعاملين، على ما تقدّمه من خدمات لأبنائنا الطلبة، في جميع المجالات؛ الأكاديمية، والاجتماعية، والتربوية، وغيرها.

وفي الختام أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدني؛ فأعازني كتاباً، أو أسدى لي دعوة

في ظهر الغيب، أو قدّم تشجيعاً ودعماً، فلهم منّي كل الشكر والتقدير، وجزى الله ﷻ الجميع خير الجزاء.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضى له ولا يضلل فلا هدى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ﷺ، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إنَّ الأمة الإسلامية اليوم بحاجة ماسة إلى مَنْ يقودونها إلى الخير، ويربونها على قيم الإسلام الخالصة التي جاء بها النبي محمد ﷺ، ويعيدون لها أمجاد الماضي التليد.

"والقيادة لا بد منها لحياة بشرية جُبِلت على المشاركة، فتحتاج إلى من يُنظِّم لها هذه المشاركة، ويوثق العلاقة، ويوضِّح الطريق، ويوافيها بما يجب لها، وما يجب عليها"⁽¹⁾.

يقول محمد السيد الوكيل: "المسلمون اليوم في حاجة إلى أن يعودوا إلى الإسلام الصحيح الذي أوحاه الله ﷺ إلى رسوله ﷺ؛ ليستعيدوا مجدهم، ويكونوا أساتذة الدنيا، كما أراد الله ﷺ لهم، وهذا الذي يتوق إليه المصلحون، ويتطلع إليه المخلصون.

ولا يمكن أن يُحقق المسلمون ذلك بدون دولة تُحكِّم فيهم كتاب الله ﷺ، وتقيم بينهم شريعة الإسلام، وتَأطُرُ الناس على الحق أطراً"⁽²⁾.

"والقيادة في هذا الزمان قد تقلدها مَنْ يُحسِنُ ومن لا يُحسِنُ، وترى أديائها على أناس هم بحاجة إلى أولويات التربية"⁽³⁾، فتخرَّج على أيديهم جنوداً لم يفهموا دورهم الذي أراده الإسلام لهم، فأدَّى ذلك إلى ضعف الأمة اليوم، وتسلب أديائها عليها، وتفككها إلى دويلات صغيرة.

لذا وجدتُ من الأهمية بمكان البحث والكتابة في موضوع القيادة في ضوء الآيات القرآنية، للوقوف على صفات القائد الراشد، كما وضحها القرآن الكريم، وإبراز توجيهات القرآن الكريم للقائد الراشد، متوكلاً على الله ﷺ سائلاً إياه العون والتوفيق، وأن ينفع بهذه الدراسة الأمة الإسلامية؛ إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

(1) القيادة العسكرية في ضوء القرآن الكريم إعداد: اللواء المتقاعد: فيصل بن جعفر بالي (مدير الشؤون الدينية للقوات المسلحة): 109.

(2) القيادة والجندي في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 10).

(3) صفات القائد الدعوي: لعقيل بن محمد المقطري: 4.

أولاً: أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى البنود الخمسة التالية:

- 1- تَعَلَّقَ موضوع البحث بالقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع، فشرف العلم بشرف متعلِّقه .
- 2- سمو التصور القرآني عن القيادة، وتميُّزه على سائر التصورات البشرية الأخرى.
- 3- عناية القرآن الكريم بموضوع القيادة، وكثرة الآيات والشواهد القرآنية عليه.
- 4- أهمية المادة العلمية التي يحتوي عليها هذا الموضوع، فهي مرتبطة بكثير من العلوم والفنون الموزعة في المصادر والمراجع المختلفة.
- 5- أهمية القيادة في حياة الأمم؛ من حيثُ التقدُّم والنهوض، أو التأخُّر والضعف والانهيار.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

- تعود أسباب اختيار هذا البحث إلى الأسباب الثلاثة التالية؛ زيادة على أهمية البحث:
- 1- حاجة الأمة اليوم للقائد الراشد الملتزم بتوجيهات القرآن الكريم؛ لكي تُعيد الأمة مكانتها وسيادتها الضائعتين منذ قرنٍ غابر.
 - 2- التعرف على الصورة الحقيقية المشرفة للقائد الراشد، بعد أن تشوَّهت رسالته، وواجباته في الوقت الحاضر.
 - 3- إشارة النبي ﷺ في مناسبات متعددة إلى أهمية القيادة، والحاجة إليها، ومن ذلك قوله ﷺ: (إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمِّرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ..) (1)، قد شدَّت انتباهي للبحث في موضوع القيادة، وبيان أهميتها.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

تتلخص أهداف هذا البحث في البنود الستة التالية:

- 1- تقديم دراسة قرآنية، ورؤية واضحة في القيادة، تُبيِّن مقومات نجاح القيادة؛ لتستفيد منها الأمة في إعداد القادة، والمسؤولين.

(1) سنن أبي داود: كتاب الجهاد: باب في الْقَوْمِ يُسَافِرُونَ يُؤَمَّرُونَ أَحَدَهُمْ: (ح: 2610، ج: 2، ص: 340)، والحديث صححه الألباني في حكمه على أحاديث سنن أبي داود، وصححه كذلك في السلسلة الصحيحة: (ح: 1322، ج: 3، ص: 396)، المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: (ح: 8915، ج: 9، ص: 208)، قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله رجال الشيخين غير أبي الأحوص - وهو عوف بن مالك بن نضلة - فمن رجال مسلم". شرح مشكل الآثار: للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في النجوى من نهي أو إباحة: (ح: 1792، ج: 5، ص: 43).

- 2- إبراز التميُّز القرآني في طرح موضوع القيادة، ومعالجته، بصورة فاقت كل الأطروحات الحديثة للقيادة، وصفاتها، وأنماطها.
- 3- إيجاد دراسة قرآنية تُأصّل للنظريات الحديثة في القيادة.
- 4- بيان أوجه القيادة في مجالات متعددة منها؛ التربوية، والدعوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والأمنية، والعلمية.
- 5- ربط العلوم السلوكية والإدارية بأدلتها الشرعية؛ لتكون العقول والقلوب أكثر اطمئناناً وقبولاً لها.
- 6- تعرّف القائد الراشد على مكانته الهامة في بناء الأمة الإسلامية المتميزة.
- 7- إبراز الصورة الحقيقية للقيادة الفاسدة كما يعرضها القرآن الكريم، وبيان الآثار الخطيرة الناجمة عن سلوكياتها، وممارساتها، وقراراتها على مصير الأمة ومستقبلها في يومنا الحاضر.

رابعاً: الدراسات السابقة:

قام الباحث بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية سائلاً عن عنوان البحث، وقد كان الردّ بعدم وجود هذا العنوان في قاعدة الرسائل الجامعية. وبعد التتبع والاطلاع على ما كتب حول موضوع القيادة، في المكتبات، والمواقع الإلكترونية، لم يقف الباحث على رسالة علمية جامعية مُحكّمة في هذا الموضوع تعالجه من ناحية قرآنية.

ويمكن أن أقسّم ما كُتب في هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب تناولت موضوع القيادة بشكل عام:

1. القيادة والجنديّة في الإسلام، تأليف: محمد السيد الوكيل، طبعة: دار الوفاء- المنصورة- مصر، الطبعة الثالثة (1408هـ-1988م).
2. فن القيادة في الإسلام، تأليف: المقدم الركن أحمد عبد ربه مبارك بصبوص، طبعة: مكتبة المنار-الزرقاء- الأردن، الطبعة الأولى (1408هـ-1988م).
3. الرسول القائد، تأليف: اللواء الركن محمود شيت خطاب، طبعة: دار الفكر-بيروت لبنان، الطبعة الخامسة (1394هـ-1974م).
4. صفات القائد الدعوي، تأليف: عقيل بن محمد المقطري، طبعة: دار ابن حزم (كُتِب).
5. دليل التدريب القيادي، تأليف: د. هشام الطالب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
6. القيادة بين الإسلام والنظريات الإدارية الوضعية، الشيخ حجازي إبراهيم. (بحث صغير).

القسم الثاني: كتابات تناولت موضوع القيادة من جانب السنة النبوية:

وفي هذا المجال كُتبت رسالة ماجستير بعنوان "القيادة والجنديّة في السنة النبويّة" للباحث: طاهر حمد محمد النّحال، تحت إشراف الدكتور الفاضل: نعيم أسعد الصّفدي، عام(1428هـ-2007) الجامعة الإسلامية.

وقد جعل الباحث الدراسة في ثلاثة فصول، وخاتمة.

تناول في الفصل الأول: القيادة والجنديّة؛ مفهوما، وأهميتهما.

وتحدّث في الفصل الثاني عن صفات القيادة والجنديّة، وحقوقهما، وواجباتهما.

وجعل الفصل الثالث بعنوان العلاقة بين القيادة والجنديّة.

وقد تناول الباحث في هذه الرسالة موضوع القيادة والجنديّة من الناحية الحديثيّة؛ من خلال تخريج الأحاديث وشرحها، واستنباط عناوين المباحث والمطالب من خلال السنة النبويّة في الغالب.

إنّ تلك الدراسة وإن اتفقت مع البحث الذي قمتُ به في جزء من العنوان؛ إلا أنّها تختلف اختلافاً كبيراً من حيث المضمون؛ إذ مرّكز دراستي الآيات القرآنيّة.

القسم الثالث: كتابات تناولت موضوع القيادة من الجانب القرآني المتخصص:

1- رسائل علمية:

النظريات العسكريّة بين الإعداد والتخطيط، للباحث: عبد الهادي الأغا(رسالة علمية)، الجامعة الإسلاميّة-غزة (1426هـ-2005م)، إشراف الدكتور: جمال الهوي.

حيث تناول الباحث في الفصل الثاني من الرسالة موضوع القيادة والجنديّة تحت عنوان (نظريات قرآنيّة في إعداد الجندي والقائد)، وجعله في أربعة، مباحث كما يلي:

المبحث الأول: تحدث فيه عن الإعداد الشخصي والنفسي للجندي(الإيماني والروحي، السلوكي والأخلاقي، الدعوي والحركي، والنفسي).

المبحث الثاني: تحدث فيه عن الإعداد العسكري للجندي(الإعداد العسكري العام، الإعداد العسكري الخاص).

المبحث الثالث: في الإعداد الشخصي والنفسي للقائد(أهمية القيادة ومفهومها في الإسلام، صفات القائد وخصائصه).

المبحث الرابع: في الواجبات والحقوق بين الجنديّة والقيادة في ضوء القرآن الكريم (واجبات الجندي وحقوقهم، واجبات القائد وحقوقه، نموذج لقائد وجندي قدمهما القرآن الكريم).

إنّ هذه الدراسة قد ركّزت في الغالب على إظهار الجوانب العسكريّة في القائد والجندي، والدراسة التي قمتُ بها شاملة لكل جوانب القيادة والجنديّة في جميع المجالات، ولا تكفي بالحديث عن القيادة بمفهومها المرتكز على رأس الهرم، بل شملت المواقف القياديّة كافة.

2- بحوث علمية مُحكَّمة:

البحث الأول: العسكرية في الإسلام على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، بقلم الفريق متقاعد: عبد العزيز بن محمد هنيدي.

تناول الباحث فيه الخطوات التي قام بها النبي ﷺ في الإعداد لمعركة بدر، وفي نهاية البحث تطرق للحديث عن القائد المسلم في العصر الحديث، وأهم صفاته.

البحث الثاني: القيادة العسكرية في ضوء القرآن الكريم، إعداد: اللواء المتقاعد: فيصل بن جعفر بالي (مدير الشؤون الدينية للقوات المسلحة).

تناول الباحث فيه بعض القضايا المتعلقة بالقيادة، وهي؛ اختيار القائد، من صفات القائد، العلاقة بين القائد وجنوده، المحافظة على هيبة القائد، طرق معاملة القادة لمرؤوسيهيم.

البحث الثالث: معالم القيادة والجنديّة الصالحة في القرآن الكريم (قصة سليمان عليه السلام، وقصة ذي القرنين)، إعداد: الدكتور محمد أحمد عثمان.

تناول فيه الباحث قصتي سليمان عليه السلام، وذي القرنين، وأبرز معالم القيادة، والجنديّة الصالحة فيهما.

إنّ الملاحظ للبحوث الثلاثة السابقة يرى أنّها ركّزت على الجوانب العسكرية للقيادة، والدراسة التي قمتُ بها شاملة للمجالات المتعددة للقيادة.

البحث الرابع: خصائص القيادة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة د. رمضان إسحاق الزيان.

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: جعله مدخلاً لدراسة مفهوم القيادة.

المبحث الثاني: تحدث فيه عن خصائص القائد المسلم في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: تحدث فيه عن مدى توفر خصائص القيادة الإسلامية في قيادة الشيخ أحمد ياسين (رحمه الله) للحركة الإسلامية في فلسطين.

إنّ الملاحظ في هذا البحث، التركيز على الحديث عن خصائص القائد المسلم في الكتاب والسنة، فقد تحدث عن مطلب من مطالب الدراسة التي قمتُ بها.

خامساً: المنهج المتبع في البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي في تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، ثم اتبع المنهج التحليلي الاستنباطي في التقاط اللطائف، والفوائد، والأحكام المتعلقة بالموضوع، وقد التزم بالخطوات التالية:

1. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث (القيادة)، سواء كان التعلق باللفظ أو بالمعنى.
2. الرجوع إلى تفسير الآيات في أمهات كتب التفسير.

3. توزيع المادة التفسيرية على فصول الخطة ومباحثها.
4. تسجيل اللطائف والفوائد المستنبطة من الآيات، كلُّ في مكانه.
5. عزو الآيات القرآنية موضوع البحث، أو المستشهد بها؛ بذكر السورة، ورقم الآية.
6. اللجوء إلى الأحاديث النبوية بما يخدم البحث، وعزوها إلى مظانها حسب ضوابط التخريج وأصوله، ونقل حُكم العلماء عليها ما أمكن.
7. توضيح معاني المفردات الغريبة في الحاشية.
8. الترجمة للأعلام المغمورين الواردين في متن الرسالة.
9. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق.
10. إثبات المراجع في الحاشية(اسم الكتاب، المؤلف، الجزء والصفحة)، إذا ورد للمرة الأولى، وعند وروده مرة أخرى أذكر فقط(اسم الكتاب، الجزء والصفحة).
11. وضع رقم التوثيق قبل العبارات المنقولة بتصريف على شكل نقاط.
12. ثبت المراجع والمصادر في مجموعات حسب طبيعتها، وعلى ترتيب الأحرف الهجائية.
13. إعداد فهرس البحث العلمية:

❖ فهرس الآيات القرآنية.

❖ فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

❖ فهرس الأعلام المترجم لهم.

❖ فهرس المصادر والمراجع.

❖ فهرس الموضوعات.

سادساً: خطة البحث.

ينقسم البحث إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وقد اشتملت على ست فقرات:

أولاً: أهمية البحث.

ثانياً: أسباب اختيار البحث.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته.

رابعاً: الدراسات السابقة.

خامساً: منهج البحث.

سادساً: خطة الدراسة.

الفصل الأول

القيادة، أهميتها، وواجباتها وحقوقها في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القيادة؛ مفهومها، ونظائرها في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى القيادة لغةً واصطلاحًا، والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: نظائر القيادة في السياق القرآني.

المبحث الثاني: أهمية القيادة في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية القيادة في التربية والتوجيه.

المطلب الثاني: أهمية القيادة في إقامة شعائر الدين، وتحقيق الشهادة على سائر الأمم.

المطلب الثالث: أهمية القيادة في تحفيز الجنود لتحقيق النصر.

المبحث الثالث: واجبات القيادة، وحقوقها في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واجبات القيادة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: حقوق القيادة في القرآن الكريم.

الفصل الثاني

أنواع القيادة، وسماتها في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القيادة الراشدة في القرآن الكريم؛ مفهومها، ومستلزماتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم القيادة الراشدة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مستلزمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: سمات القيادة الراشدة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: السمات العقدية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: السمات الأخلاقية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: السمات الشخصية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.
المطلب الرابع: السمات الإدارية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: القيادة الفاسدة، مفهومها، وسماتها في القرآن الكريم.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم القيادة الفاسدة في القرآن الكريم.
المطلب الثاني: سمات القيادة الفاسدة في القرآن الكريم.

الفصل الثالث

النماذج الراشدة للقيادة في القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: النماذج الراشدة للقيادة العامة.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ذو القرنين عليه السلام.
المطلب الثاني: نبي الله داود عليه السلام.
المطلب الثالث: نبي الله سليمان عليه السلام.
المطلب الرابع: بلقيس ملكة سبأ (رضي الله عنها).
المبحث الثاني: النماذج الراشدة للقيادة الدعوية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مؤمن آل يس عليه السلام.
المطلب الثاني: مؤمن آل فرعون عليه السلام.
المبحث الثالث: النماذج الراشدة للقيادة العلمية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العبد الصالح عليه السلام.
المطلب الثاني: نبي الله موسى عليه السلام والرحلة في طلب العلم.
المبحث الرابع: النماذج الراشدة للقيادة العسكرية (الحربية).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طالوت عليه السلام.
المطلب الثاني: النبي محمد عليه السلام.

المبحث الخامس: النماذج الراشدة للقيادة الأمنية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: نبي الله يعقوب عليه السلام.

المبحث السادس: النماذج الراشدة للقيادة الاقتصادية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبي الله يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: نبي الله شعيب عليه السلام.

الفصل الرابع

النماذج الفاسدة للقيادة في القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: النماذج الفاسدة للقيادة العامة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النمرود.

المطلب الثاني: فرعون.

المبحث الثاني: النماذج الفاسدة للقيادة الدعوية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السامري.

المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة.

المبحث الثالث: النماذج الفاسدة للقيادة العلمية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علماء السوء من أهل الكتاب.

المطلب الثاني: الشياطين يعلمون الناس السحر.

المبحث الرابع: النماذج الفاسدة للقيادة العسكرية (الحربية).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جالوت.

المطلب الثاني: عبد الله بن أبي بن سلول.

المبحث الخامس: النماذج الفاسدة للقيادة الأمنية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رهط قوم صالح عليه السلام.

المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة.

المبحث السادس: النماذج الفاسدة للقيادة الاقتصادية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قارون.

المطلب الثاني: صاحب الجنتين في سورة الكهف.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

القيادة، أهميتها، وواجباتها، وحقوقها في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: القيادة؛ مفهومها، ونظائرها في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: أهمية القيادة في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: واجبات القيادة وحقوقها في القرآن الكريم.

المبحث الأول

القيادة؛ مفهومها، ونظائرها في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: القيادة لغةً، واصطلاحًا، والعلاقة بينهما.
- المطلب الثاني: نظائر القيادة في السياق القرآني.

المبحث الأول

القيادة؛ مفومها، ونظائرها في القرآن الكريم

المطلب الأول: القيادة لغةً، واصطلاحاً، والعلاقة بينهما:

أولاً: القيادة لغةً:

- إنَّ الْمُتَّبِعَ لِمَعَانِي الْقِيَادَةِ فِي اللُّغَةِ، يَجِدُهَا قَدْ وَرَدَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَبْعَةِ مَعَانٍ كَمَا يَلِي: (1)
1. الامتداد في الشيء: سواء كان أفقياً على الأرض، أو رأسياً في السماء، فقد أفاد ابن فارس أنَّ القاف والواو والذال أصل صحيح، يدل على امتداد في الشيء على وجه الأرض أو في الهواء. (2)
 2. التقدم عن الشيء المقود: فالقود نقيض السوق؛ لأنَّ القود من الأمام، والسوق من الخلف.
 3. الحبل الذي يُقاد به الشيء: ومنه المقود والقياد.
 4. الإسراع: ومنه ما ورد في حديث السَّقِيفَةِ: فانطلق أبو بكر وعمر يَتَقَاوَدَانِ حَتَّى أَتَوْهُمُ؛ أَي يَذْهَبَانِ مُسْرِعَيْنِ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُودُ الْآخَرَ لِسُرْعَتِهِ.
 5. الخضوع: فالانقياد الخضوع؛ تقول: فُذْتُه فَانْقَادَ وَاسْتَقَادَ لِي إِذَا أُعْطَاكَ مَقَادَتَهُ، وَخَضَعَ لَكَ.
 6. الاتساع: ومنه أَقَادَ الْعَيْثُ فَهُوَ مُقِيدٌ إِذَا اتَّسَعَ.
 7. الألفة والتأليف: فالقائدة من الإبل التي تَقْدَمُ الْإِبِلَ وَتَأْلُقُهَا.

ثانياً: القيادة اصطلاحاً:

تعددت التعاريف والمفاهيم لكلمة القيادة تبعاً للجانب الذي يتناوله الباحث، وقد عرضت ستةً منها، ثم اخترت التعريف الذي يتناسب مع طبيعة البحث، وهي:

الأول: الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على الآخرين؛ لتوجيههم إلى هدف معين، بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم، وطاعتهم وتعاونهم المخلص. (3)

الثاني: عملية تحريك الناس نحو الهدف الدنيوي، والأخروي، وفق قيم الإسلام وشريعته. (4)

(1) انظر: لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: (3: 370)، القاموس المحيط: لمحمد ابن يعقوب الفيروز آبادي: (1: 399)، المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: (6: 535-537)، المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: (2: 765)، تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي: (9: 76-81).

(2) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: (5: 38).

(3) فن القيادة في الإسلام: للمقدم الركن: أحمد عبد ربه مبارك بصبوص: 28.

(4) صناعة القائد: للدكتور طارق السويدان، والأستاذ فيصل باشرجيل: 41.

الثالث: عملية تحريك مجموعة من الناس باتجاه محدد، ومخطط، وذلك بتحفيزهم على العمل باختيارهم.⁽¹⁾

الرابع: القيادة هي القدرة على التوجيه، والتنسيق، والاتصال، واتخاذ القرارات، والرقابة؛ بهدف تحقيق غرض معين، وذلك باستخدام التأثير والنفوذ، أو استعمال السلطة الرسمية عند الضرورة.⁽²⁾

الخامس: القيادة كل من يتولى شيئاً من أمور المسلمين العامة؛ كالخليفة وعماله، وقواد الجيش والقضاة، ورؤساء الشرطة، والوزراء، وغيرهم ممن يقومون بأعمال عامة في الدولة الإسلامية.⁽³⁾

السادس: القيادة السلطة التي يتمتع بها الفرد في الخدمة العسكرية قانوناً تجاه من هم أقل منه بحكم رتبته ووظيفته.. وتحمل في طياتها المسؤولية عن وضع الخطط والتنظيم والتدريب للوصول إلى الهدف المعين صراحةً، أو ضمناً.⁽⁴⁾

التعريف المختار:

من خلال النظر في التعاريف السابقة أجد أنّ التعريف الأول الذي ذكره المقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوح وهو أنّ القيادة هي (الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على الآخرين؛ لتوجيههم إلى هدف معين، بطريقة تحصل بها على ثقتهم، واحترامهم، وطاعتهم، وتعاونهم المخلص)، هو المناسب لدراستنا للأسباب الثلاثة التالية:

1. شمول التعريف جوانب القيادة كافةً، وجميع أفرادها، ومواقفها.
2. الإشارة إلى أن القيادة فنٌّ يجب أن يمتلكه القائد، وليس مجرد تكليف، أو تعيين.
3. بيان أنّ القيادة تكمن في احترام الناس، واكتساب ثقتهم، فهي ليست بالسلطة ولا بالقوة. إنّ الناظر في مصطلحات القيادة السابقة، يستخلص أنّ للقيادة خمسة عناصر:
 1. وجود مجموعة من الأفراد .
 2. الاتفاق على أهداف للمجموعة تسعى للوصول إليها.
 3. وجود قائدٍ من المجموعة ذي فكر إداري، وقرار صائب، وقدرة على التأثير الإيجابي في سلوك المجموعة.⁽⁵⁾
 4. وجود مجموعة من الأساليب، والوسائل المناسبة؛ للوصول إلى الأهداف المنشودة.
 5. وجود منظومة سليمة من الاتصال والتواصل بين القائد والمجموعة.

(1) دليل التدريب القيادي: د. هشام الطالب: 52.

(2) أصول الإدارة العامة: د. أنور أحمد رسلان: 273.

(3) القيادة والجنديّة في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 115).

(4) انظر: الوجيز في قانون الأحكام العسكرية: غندور مزمل: 18.

(5) انظر: صناعة القائد: للدكتور طارق السويدان، والأستاذ فيصل باشرحيل: 40.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي للقيادة والمعنى الاصطلاحي:

إنّ المتأمل لمعاني القيادة لغةً واصطلاحاً يظهر له الأمور السبعة التالية:

1. القيادة امتداد في الشيء على وجه الأرض، وكذلك القيادة فهي امتداد لنفوذ القائد على جميع أفراد المجتمع، وامتداد سيادته على تراب بلاده كافةً.
2. القيادة التقدم والريادة؛ فالقائد رائد في التخطيط، والتوجيه، والتنظيم، وتحمل المسؤوليات؛ لتحقيق القيادة، والأستاذية للأمة الإسلامية على غيرها من الأمم.
3. القيادة السرعة؛ سرعة القائد في اتخاذ القرارات المناسبة، وسرعة البديهة، وسرعة الوصول إلى قلوب الناس، وسرعة توجيههم، وسرعة تحقيق الأهداف.
4. القيادة الاتساع؛ أي اتساع أفق القائد وتفكيره، واتساع معرفته بفنون القيادة وأساليبها، واتساع صدره لتطلعات الناس وحاجاتهم، واتساع خبره ونفعه؛ ليشمل الموافق والمخالف، واتساع مراقبته ومتابعته لعماله وموظفيه، واتساع تأثيره في قلوب الناس ونفوسهم.
5. القيادة التأليف؛ تأليف قلوب الناس على منهج الله ﷻ ومصالح الأمة، وتأليف قلوب الناس على المحبة، والمودة، والتآخي، والتراحم، والتسامح؛ لتحقيق الأهداف التي تسعى الأمة لتحقيقها؛ من نشر الإسلام، وإقامة العدل، ومحاربة الظلم والفساد.
6. القيادة الخضوع؛ فالقائد خاضع للحق، منقادٌ له، متَّبِعٌ لكتاب الله ﷻ، ولسنة نبيه ﷺ، خاضعٌ جناحه لأبناء شعبه ووطنه.
7. القيادة الحبل أو المقود؛ فالقائد يمتلك المهارات، والأساليب، والوسائل الإدارية الرائدة التي تأهله لقيادة الأفراد، وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف بكل سهولة ويسر، ورضاً ومتابعة.

المطلب الثاني: نظائر القيادة في السياق القرآني:

لم ترد كلمة القيادة في القرآن الكريم بلفظها، أو مشتقاتها، أو على مستوى الجذر الثلاثي لمادة القيادة (قَوَدَ)، ولكننا نجد أنّ هناك خيطاً دقيقاً بين مادة القيادة، وبين مادة القدوة (قَدَوَ)؛ لوقوعهما في حقل دلالي واحدٍ، حيث تشترك الكلمتان في معني التقدم والسبق، والاهتداء والاتباع.

قال ابن فارس في مادة (قَدَوَ): "القاف والdal والحرف المعتلُّ أصلٌ صحيح يدلُّ على اقتباسٍ بالشيء واهتداء" (1).

فالقيادة تقدّم القائد الناس، وهدايته لهم، واتباعهم له، والقدوة كونه سابقاً للناس في الخير أو الشر، وغيره متبّع له، سالك طريقه، مقتدي به.

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (5: 66).

وقد وردت مشتقات مادة (قَدَو) في القرآن الكريم في موضعين يدلّان على نوعي القدوة:
 الأول: القدوة في الخير، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتَدَةٌ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90].

الثاني: القدوة في الشر، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
 ءَابَاءَنَا عَلَىٰ عِلَّةٍ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].
فائدة:

إنّ القيادة والقدوة الفاسدتان تصلان باتباعهما إلى الهلاك في الدنيا، ودخول جهنّم في
 الآخرة، دلّ على ذلك ما ورد في القرآن الكريم مصورًا حال فرعون وقومه يوم القيامة، حيث يقود
 قومه إلى دخول النار؛ لأنّهم اتبعوا أمره، واقتدوا به، قال تعالى: ﴿...فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ
 فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَمْرُ الْمُورِدُ ﴾ [هود: 97-98].

وقد استخدم القرآن الكريم عدة نظائر لكلمة القيادة منها؛ الإمامة، والحكم، والخلافة،
 والتمكين، وفي هذا المقام اكتفيتُ بذكر مثالين لكل نظير من هذه الكلمات الأربع إن تعددت
 نظائره في القرآن الكريم؛ اختصارًا، ولاكتمال الفائدة، ووضوح المعنى بذكرهما، مع بيان معنيهما
 عند المفسرين.

الأول: الإمامة (1):

وردت الإمامة في القرآن الكريم على لفظتين:

الأولى: (إمامًا): ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

والمقصود بالإمامة هنا أحد معنيين: (2)

1. إمامة الدّين من النبوة والرسالة؛ فهما أكمل أنواع الإمامة.

2. إمامة القدوة للصالحين في أصول الدين، ومكارم الأخلاق.

الثانية: (أئمة): وردت في غير موضع، نذكر منها قوله تعالى: ﴿ وَرُبُّدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ
 أَسْضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أئِمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5].

(1) وردت كلمة (إمامًا) في: (البقرة: 124، الفرقان: 74)، و(أئمة) في: (التوبة: 12، الأنبياء: 73، القصص: 41،
 السجدة: 24)

(2) انظر: التفسير المنير: د. وهبة الزحيلي: (1: 303)، التفسير الوسيط: للشيخ محمد سيد طنطاوي: (1: 1)
 (202)، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين: (1: 229).

فالأئمة: قادة يملكون الأرض والسلطان، دعاة إلى الخير مقتدى بهم في الدين والدنيا، يفودون أمة حرة مالكة أمر نفسها بشريعة عادلة، وبقوة تدفع بها أعداءها، وبحضارة كاملة تفوق حضارة جبرتها، بحيث تصير قدوة للأمم في شؤون الكمال وطلب الهناء.(1)

تنبيه:

دلّت الشواهد القرآنية السابقة على إمامة الخير والعدل والرشاد، وفي المقابل ورد لفظ الأئمة في القرآن الكريم للدلالة على أمراء السوء، وقادة الفساد، ورؤساء الصد عن سبيل الله ﷺ، ودعاة الباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيَّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [التوبة:12]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيَّمَةً يَدْخُرُونَ إِلَى الْإِنكَارِ وَيَوْمَ أَلْقَيْتَهُمْ لَابِتْصَرُوتَ ﴾ [القصص:41]

والخلاصة أنّ الإمامة تعني: تقدم الناس، وإمامتهم، واقتداء الرعية بها في جميع أحوالها الدينية، والدنيوية، سواء كان ذلك في جانب الخير والصلاح، أو الشر والفساد.

الثاني: الحكم (2):

وردت كلمة الحُكم ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواطن عدّة، لكنّها تدلّ بمجموعها على معنيين:

1. الحُكم: النبوة، وحسن القضاء، والفصل في الخصومات، والعلم بطريق الاجتهاد، والفهم والإدراك السليمين للأمور، على وفق منهج الله ﷻ وتشريعاته(3)، قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴾ [الأنبياء:79].

2. الحُكم: الفهم للأحكام الشرعية، والعمل بمقتضاها، بكل جِدِّ وعزيمة، مع الإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه؛ بما يمنع الأقوال والأفعال من الخلل والفساد(4)، قال تعالى: ﴿ يَجِيئُ حِذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيُّنُهُ الْحُكْمُ صَبِيحًا ﴾ [مريم:12].

(1) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود الألوسي أبي الفضل: (15: 75)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المشهور بالتحريير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي: (20: 71)، المنتخب: لجنة من علماء الأزهر: (2: 175).

(2) وردت كلمة الحكم ومشتقاتها في: (آل عمران:79، النساء:65، المائدة:44.45.47.95، الأنعام:89، يوسف:22، الأنبياء:74، الشعراء:21. 83، القصص:14، الجاثية:16).

(3) انظر: روح المعاني: للألوسي: (12: 439-440)، أضواء البيان: لمحمد الأمين الشنقيطي: (4: 170)، التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (17: 99).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي الدمشقي: (5: 216)، أضواء البيان: لمحمد الأمين الشنقيطي: (3: 378)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (9: 235).

الثالث: الخليفة (1):

الخلافة: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية، والدينية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة الشرع في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به". (2)

والخليفة: "اسم لكل من انتقل إليه تدبير أهل الأرض والنظر في مصالحهم". (3)

وقد ورد في قول مأثور عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما سُئل عن أوصاف الخليفة، قال: "الخليفة الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، والوالد على الولد، ويقضي بينهم بكتاب الله سبحانه". (4)

وقد دلّت كلمة الخليفة ومشتقاتها في القرآن الكريم على معنيين رئيسين:

1. الاستخلاف في الأرض، وتولي سياسة الناس، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، وجمع كلمتهم على التوحيد، وردعهم عن المحارم والمآثم، وتنفيذ أحكام الخلافة فيهم على وفق منهج الله سبحانه وشريعته بالحق والعدل (5)، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26].

تنبيه:

إنّ المعنى السابق للخلافة لا ينطبق تماماً على مفهوم القيادة؛ وذلك لأنّ الخلافة بهذا المعنى لا تكون إلّا بسيادة مطلقة على البلاد والعباد، بينما القيادة أشمل من ذلك وأعم؛ فتحتمل المعنى السابق، وغيره؛ فقد تُوجد قيادة ولكنّها لا تستطيع فرض سيادتها الكاملة على أرضها، وأفراد شعبها، وتحكيم شرع الله سبحانه فيهم؛ لوجود مانع لها من ذلك كالاحتلال مثلاً، وليس أدل على ذلك من واقع المجتمع الفلسطيني، فقد منحه الله سبحانه قيادة حكيمة، لكنّها لا تستطيع القيام بكافة مهام الخلافة والحكم؛ لوجود الاحتلال الصهيوني الغاشم، الذي يتحكم في البلاد والعباد، فإنّ غياب الخلافة لا يعني غياب القيادة؛ حيث تتولى قيادة الجماعة المسلمة قيادة الأمة.

(1) وردت كلمة الخلفاء ومشتقاتها في: (الأعراف: 74.69، يونس: 14، النور: 55، النمل: 62).

(2) مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون: 179.

(3) تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: (1: 288).

(4) الطبقات الكبرى: لابن سعد: (3: 306)، انظر: روح المعاني: للألوسي: (17: 410)، تاريخ الخلفاء: للسيوطي: 140، وللاثر أحاديث كثيرة تؤيد معناه.

(5) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: (1: 189)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (1: 302)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 55).

2. خلافة جيلٍ لجيل، وأمةٌ لأمة، فقد جعلَ المؤمنين خلائف في الأرض من بعد القرون الذين أهلكهم الله ﷻ لِمَا ظلموا، يخلفونهم في الأرض، ويكونون فيها من بعدهم؛ لِيَنْظُرَ اللهُ ﷻ في أعمالهم، وأين هي من أعمال من هلك من قبلهم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم (1)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14].

إنَّ آيةَ سورة يونس ﷻ تشير إشارةً واضحةً إلى أَنَّ الخلافة منوطة بالأعمال لا بالأشخاص؛ لكيلا يغتر الناس بما يحوزونه في الدنيا؛ من منصب ونسب وسلطان، ويعتقدون أَنَّهُ باقٍ لهم، وأنهم سيكونون بمأمن من مقتضى سنة الله ﷻ في إهلاك الظالمين، وأنَّ منجاة الإنسان تكمن في عمله الصالح الموافق للقرآن الكريم، والسنة النبوية. (2)

الرابع: التمكين (3):

التمكين: "بلوغ حالٍ من النصر، وامتلاك قدرٍ من القوة، وحياسة شيءٍ من السلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهو لون من ألوان الترسخ في الأرض، وعلو الشأن". (4)

وقد أشار القرآن الكريم إلى التمكين في غير موضع، وسأذكر هنا ما ورد في التمكين ليوسف ﷻ، ولذو القرنين ﷻ:

أولاً: التمكين ليوسف ﷻ:

إنَّ الناظر في الآيات الواردة في حقِّ التمكين ليوسف ﷻ، يجد أنها أشارت إلى نوعين من التمكين، وهما: (5)

1. التمكين ليوسف ﷻ في قلب العزيز؛ حيث وقع محبته ومودته في قلب العزيز، والاعتقاد الصالح به، مما دفع العزيز لمعاملته كابنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

2. التمكين له في ملك مصر بعد ظهور براءته؛ فأعجب الملك به، وقرَّبَه منه، وأتاح له أسباب القدرة والمُكَنَّة، ومقومات البروز التي تدعم سلطانه في حكم مصر، فأصبح عزيز مصر،

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (15: 38).

(2) أيسر التفاسير: لأسعد حومد: 1379.

(3) وردت كلمة التمكين ومشتقاتها في: (الأعراف: 10، الأنعام: 6، يوسف: 54، 21، 56، الحج: 41، القصص: 57، الأحقاف: 26).

(4) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: لعلي محمد الصلابي: 17.

(5) انظر: النكت والعيون: للماوردي: (3: 20)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي: (4: 60)،

البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي: (5: 293)، التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: (4: 16).

وسار الناس بأمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِهَذِهِ أَسْتَحْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُنْصِبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: 54-56].

ثانياً: التمكين لذي القرنين:

مكَّن الله ﷻ لذي القرنين؛ فقد آتاه مُلْكًا عظيمًا، ووهبه من جميع ما يُؤتى الملوك من السلطة المطلقة، القائمة على العلم، والمُحاطة بالجنود الأقوياء، والمُدعَّمة بآلات الحرب، وسهَّل له أسباب التَّحرُّك والانتقال، بحيث يصل إلى جميع أنحاء المملكة دون مشقَّة، ومهدَّ له من الأسباب والوسائل التي تُعينه على السيطرة وبسط النفوذ، أين شاء ومتى شاء وكيف شاء، فملك أقطار الدنيا، وخضعت له البلاد عربيها وعجمها⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: 84-85].

الخلاصة:

إنَّ المتأمل في معاني الكلمات (الإمامة، الحكم، الخلافة، التمكين) يجد ارتباطًا وثيقًا بينها وبين مفهوم القيادة، ويمكن ترتيب ذلك في النقاط الخمس التالية:

1. الإمامة القدوة؛ والقائد يُمثِّل القدوة الصالحة للناس في دعوته، وصلاحه، وإيمانه، وتقواه، وورعه، وأمانته، وشجاعته، وبذله وتضحيته، وفي كافة مناحي الحياة.
2. الحُكْم حسن القضاء، وفهم المواقف والأحداث؛ والقائد لا بد أن يكون حكيماً ذكياً، قادراً على إظهار الحق في المواقف الدقيقة، مدرِّكاً للحقائق الثابتة، كاشفاً للأكاذيب والدسائس، معتمداً في كل ذلك على المعرفة الواسعة، والفهم الدقيق لكتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ.
3. الحُكْم منع الأقوال والأفعال من الخلل والفساد؛ وما وُجد القائد إلا لضبط أحوال الناس في كافة معاملاتهم بضابط الصحة والاعتدال، مانعاً الفساد والخلل من أن يُدبَّ في المجتمع، حكيماً في تصرفاته وأفعاله، محققاً لمصالح أمته في الدنيا والآخرة.
4. الخلافة سياسة الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم على وفق شريعة الله ﷻ؛ ووظيفة القائد تحكيم شرع الله ﷻ في الناس، وسياسة أحوالهم بما يحقق مصالحهم، والحكم بينهم بالعدل والإنصاف؛ لينجو من عقاب الله ﷻ الذي يصيب به الظالمين.
5. التمكين حصول المحبة والمودة في القلب، وحصول أسباب القوة والمكنة والظهور؛ والقائد لا يمكن له أن يُحقق أهدافه، وانضباط الناس في ملكه، وثقة رعيته به، دون حصول المحبة له في قلوب الناس، وامتلاكه أسباب القوة والقدرة التي تمكنه من سياستهم وقيادتهم، وتحقيق السعادة والهناء لهم في حياتهم وأخراهم.

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (16: 24).

المبحث الثاني

أهمية القيادة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: أهمية القيادة في التربية والتوجيه.**
- **المطلب الثاني: أهمية القيادة في إقامة شعائر الدين، وتحقيق الشهادة على سائر الأمم.**
- **المطلب الثالث: أهمية القيادة في تحفيز الجنود لتحقيق النصر والتمكين.**

المبحث الثاني أهمية القيادة في القرآن الكريم

تمهيد:

إنَّ القيادة لا بد منها حتى تترتب الحياة، ويُسَدَّ الأمر إلى أهله، ويُقَامَ العدل، ويُحَالَ دون أن يأكل القوي الضعيف، وتُنظَّم طاقات العاملين وجهودهم؛ لتتصب في إطار حُطط المُنظَّمة (المؤسسة) بما يحقق الأهداف المستقبلية لها، ويضمن نجاحها.⁽¹⁾

وقد أشار ابن خلدون إلى هذا المعنى في مقدمته حيث قال: " إن الاجتماع إذا حصل للبشر، وتمَّ عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض؛ لما في طباعهم من العدوان والظلم، ولا يكفي قوة السلاح من أجل دفع هذا العدوان والظلم بينهم، إذًا فلا بد من شيءٍ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون من غيرهم لقصور جميع المخلوقات الأخرى عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون هذا الوازع واحدًا منهم، يكون له الغلبة والسلطان واليد القاهرة ".⁽²⁾ وتكمن أهمية القيادة في أنَّها ضرورة لبناء أمة إسلامية قوية، تحكم العالم، وتنظم شأنه على وفق منهج الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ، وإرجاع الأمة الإسلامية إلى مكانتها ودورها، والتمكين لها في الأرض.

إنَّ من أخطر عوائق التمكين للأمة الإسلامية اليوم غياب القيادة الرئانية؛ فالقيادة هي عصب حياة الأمة؛ لهذا نجد أعداء الأمة يحرصون كل الحرص على إقصاء القيادات المخلصة عن سدة الحكم، حيث أوصوا بالعمل على إفساد نظام الحكم في البلاد الإسلامية؛ حتى لا يصل إلى القيادة حاكم صالح.⁽³⁾

"إنَّ من أهم أسباب التمكين أن يتولى أمور الدعوة، وقيادة المسلمين، قيادة رئانية، قد جرى الإيمان في قلبها وعروقها، وانعكست ثماره على جوارحها، وتفجرت صفات التقوى في أعمالها وسكناتها وأحوالها".⁽⁴⁾

وتكمن أهمية وجود القيادة الراشدة في النقاط الست التالية:⁽⁵⁾

1. أنَّها حلقة الوصل بين العاملين وبين خطط المؤسسة وتصوراتها المستقبلية .
2. تدعيم القوى الايجابية في المؤسسة وتقليل الجوانب السلبية قدر الإمكان .

(1) انظر: ثلاثون وصية ووصية لتكون قائدًا ناجحًا: أمير بن محمد المدري:3.

(2) مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن بن خلدون: 43.

(3) انظر: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله: لجلال العالم:63.

(4) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: للصَّلابي: 254.

(5) انظر: صناعة القائد: للدكتور طارق السويدان، والأستاذ فيصل باشرحيل: 42.

3. السيطرة على مشكلات العمل وحلها، وحسم الخلافات والترجيح بين الآراء .
 4. تنمية الأفراد وتدريبهم ورعايتهم؛ باعتبارهم أهم مورد للمؤسسة، كما أنّ الأفراد يتخذون من القائد قدوة لهم .
 5. تنظيم حياة الجماعة؛ بما يحقق مصالحها، ويضمن العدل بين أفرادها، والحيلولة دون تغوّل القوي على الضعيف.
 6. وضع الخطط والاستراتيجيات الراشدة؛ لتحريك الأفراد، والوصول إلى الهدف المنشود، في أسرع وقت، وأقل جهد.
- وقد تحدثت في هذا المبحث عن أهمية القيادة في القرآن الكريم في المطالب الثلاث التالية، وهي:

المطلب الأول: أهمية القيادة في التربية والتوجيه

إنّ عملية التربية والتوجيه عملية دقيقة، تحتاج إلى قدرٍ كبيرٍ من العلم والدراية والخبرة؛ حتى يمكن للإنسان أن يحقق الأهداف التي خُلِقَ من أجلها، "وليزل محتفظاً بإنسانيته، محفوظاً من خطر السقوط إلى الحيوانية، وليبقى منسجماً مع القوانين التي فُطِرَ عليها، وليتعرّف على الأساليب الصالحة للتعامل مع خالقه، ومع العوامل المحيطة"⁽¹⁾، وهنا يظهر دور القيادة الربانية القادرة على التربية والتوجيه، المستنيرة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، الملتزمة بما تدعو إليه؛ "فلا تربية دون قدوة وأسوة، ولا يمكن أن نتأمّلَ خيراً من مربٍ يخالف حاله مقاله"⁽²⁾.

ومن هنا كانت ضرورة التعرف على أهمية القيادة القرآنية في التربية والتوجيه من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: لقمان عليه السلام يعظ ابنه:

امتّن الله ﷻ على عبده الصالح لقمان عليه السلام بالحكمة؛ "وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام"⁽³⁾، وقد استعملها في التربية والتوجيه للناس؛ حيث كانوا يستفتونه في أمورهم، فيجيبهم بما تقرُّ به أعينهم.

وقد حكى لنا القرآن الكريم جانباً من قيام لقمان عليه السلام بدوره في توجيه ابنه، وغرس الأخلاق الفاضلة في قلبه، ليلتزمها الابن في سلوكه، بلسان المحب المشفق الحاني، الحريص على النفع، بأسلوبٍ يرقُّ له القلب، ويستجيب به الإنسان للنصح.

وقد اشتملت وصايا لقمان الحكيم النافعة لابنه على ثلاثة جوانب؛ أخلاق كمال لا يستقيم حال الإنسان إلا بالتزامها، وآداب معاملة الناس، وآداب متعلقة بذات الإنسان.

(1) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية: د. ماجد عرسان الكيلاني: 28.

(2) أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم: د. وسيم فتح الله: 73.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي: 648.

الجانب الأول: أخلاق كمال يجب الالتزام بها، وهي أربعة موضحة كما يلي:

1- توحيد الله ﷻ وعدم الشرك:

كانت أول توجيهات لقمان الحكيم لابنه بتكريم الشرك والتزام التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ قَالَ

لِقَمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

فابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله؛ "لأن النفس المعرضة للتركيب والكمال يجب أن يُقدّم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإنّ إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل".⁽¹⁾

وتأمل جمال الابتداء بهذه الوصية الأهم، التي يترتب عليها قبول جميع الوصايا الأخرى، فمن حسن توحيد كملت استجابته، وانقاد وأذعن للحق والتزم به.

وهذه قمة العقائد؛ لذلك بدأ بها؛ لأنه يريد أن يُصحّح له مفهومه في الوجود، ويشدّ انتباهه إلى أن الأشياء التي نعم بها آباؤه وأجداده من التوحيد، لا تزال تُعطى في الكون، وعلى العاقل أن يلتزم بها، ويؤمن بمقتضاها.⁽²⁾

2- التفكّر في مظاهر علم الله ﷻ، وكمال قدرته:

أراد لقمان الحكيم بهذه الوصية أن يغرس الهيبة والخشية والمراقبة لله ﷻ في نفس ابنه وقلبه، فانه ﷻ لا يخفى عليه شيء في هذا الكون، مهما دقّ وقَلّ وتَخَفَى في أعماق الأرض والسماء⁽³⁾، فقال سبحانه على لسان لقمان: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

"إنّ الخصلة من الإحسان أو الإساءة إن تكُن وزن حبة خردلٍ تائهة في وسط صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله ﷻ، ويحضرها يوم القيامة حين يضع الموازين القسط؛ فانه ﷻ لطيف يصل علمه إلى كل خفي، خبير يعلم ظواهر الأمور وبواطنها".⁽⁴⁾

3- الأمر بإقام الصلاة:

إنّ لقمان الحكيم انتقل انتقالاً منطقيًا في توجيه النصّح والإرشاد، فبعدما أمر ابنه بالتوحيد، الذي هو أول الواجبات على المكلف، في إطار النهي العام عن الشرك، نَبّه إلى إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء، وكمال قدرته ﷻ، أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات؛ تكميلاً

(1) التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (21: 155).

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (19: 11636).

(3) انظر: التفسير الوسيط: للزحيلي: (11: 121).

(4) تيسير التفسير: لإبراهيم القطان: (3: 89).

له من حيث العمل، بعد تكميله من حيث الاعتقاد، فقال مستمياً له، متلطفاً به⁽¹⁾: ﴿يَبْنِي أَعْمَرَ
الصَّلَاةَ...﴾ [لقمان: 17].

فقد بدأ لقمان الحكيم بأفضل الأعمال وأهمها الصلاة؛ لأنها استدامة إعلان الولاء لله ﷻ خمس مرات في اليوم والليلة، فحين يناديك ربك (الله أكبر) لا ينبغي أن تتشغل بمخلوق عن نداء الخالق، فالصلاة هي الركن الأول بعد الشهادتين، ولأهميتها ومكانتها في الإسلام؛ فُرِضت بالوحي المباشر من الله ﷻ، ليلة المعراج، كما أنها تجب على المؤمن في جميع أحواله، لا تسقط عنه بحال؛ بخلاف الأركان الأخرى التي تسقط عن المؤمن لسبب أو لآخر، كالصوم والزكاة والحج، فإذا سقطت عنك هذه الأركان لم يبق معك إلا الشهادتان والصلاة؛ لذلك جعلها النبي ﷺ عماد الدين.⁽²⁾

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك:

لمَّا منع لقمان الحكيم ابنه من الشرك، وحوَّفه بعلم الله ﷻ وقدرته؛ أمره بما يلزمه من التوحيد، وهو الصلاة (وهي العبادة الخالصة لوجه الله ﷻ)، وبذلك كَمَّلَ نفس ابنه؛ وبما أنَّ كمال الإنسان في نفسه، لا يردُّ عنه الفتنة، استتبع ذلك بوصية فيها كمال غيره وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽³⁾، قال تعالى: ﴿... وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

ولمَّا عَلِمَ لقمان الحكيم، أنَّ الأمر بالمعروف، والنَّهْيَ عن المنكر، يستجلب غضب الناس؛ لأنَّ الأمر بالمعروف، والنَّهْيَ عن المنكر، يُخالف معظم الناس، ويُحدِّثهم بما يكرهون؛ فيرمونه عن قوس واحدة؛ فينألهُ بذلك الضرر والأذى، أمره بالصبر على ما يُصيبه في سبيل ذلك.⁽⁴⁾

فائدة:

إنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يكون بالقول؛ فيأمر المؤمن بالمعروف، وينهى عن المنكر، بما وهبه الله ﷻ من العلم، ويكون بالسلوك والعمل، وهو أبلغ في تحقيق الهدف من الأول؛ فإنَّ امتناع الإنسان عمَّا ينهى عنه، واتصافه بما يأمر به، أوقع في نفس المخاطبين؛ لأنَّ من لا يستطيع حُكم نفسه، لا يُنْفَذُ حكمه على غيره.⁽⁵⁾

(1) انظر: روح المعاني: للألوسي: (15: 442).

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (19: 11654-11655).

(3) انظر: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم (التفسير الكبير): للإمام فخر الدِّين الرازي: (25: 122).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (6: 338)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي: (6: 20).

(5) انظر: تفسير القشيري، المُسمَّى لطائف الإشارات: لأبي القاسم القشيري: (6: 193).

الجانب الثاني: آداب معاملة الناس:

انتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس، فنهاه عن احتقار الناس، وعن التفخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس، وعدّ نفسه كواحد منهم.⁽¹⁾ ولمّا كان من آفات العبادة الإعجاب بالذات، وآفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكبر، قال محذراً من ذلك معبراً عن الكبر والإعجاب بلازمه، وهي الرذائل التي نهاه عن اقترافها، وهذه الأمور اثنتان كما يلي:

1- تَصْغِيرُ الخَدِّ⁽²⁾:

بدأ لقمان الحكيم بنهي ابنه عن أقبح خُلُق، وأَسَّ الرذائل كلّها وهو الكبر؛ الذي يكون بالمنزلة التي يتبوأها الرجل، فقال له: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ...﴾ [لقمان:18]، أي: "لا تُعْرِضْ بوجهك عن الناس كبراً واستعلاءً، ولكن أقبل عليهم بوجهك كله إذا كلمتهم، مستبشراً متهللاً من غير كبر ولا عُتُو"⁽³⁾.

والكبر يكون من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، وانعدمت فيه العبودية لله ﷻ، ونزل عليه المقت؛ فنظره إلى الناس شَزْرًا، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار، ذاهب بنفسه تيهًا، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحدٍ عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، لا يزداد من الله ﷻ إلا بعدًا، ومن الناس إلا صَغَارًا أو بُغْضًا⁽⁴⁾.

2- المشي في الأرض مرحًا:

المَرْحُ هو الاختيال والتبخر، فانه ﷻ لا يمنع الإنسان من المشي في الأرض، لكنّه يُحَرِّم عليه المشية المتعالية المختالة على الناس، قال الله ﷻ حاكياً على لسان لقمان الحكيم يعظ ابنه: ﴿...وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:18]، فالمشي في الأرض مطلوب، ولكن بهيئة متواضعة سوية معتدلة.⁽⁵⁾

إنَّ الإعجاب بالذات، والتعالي على الناس، بالمشي في الأرض بهيئة المُختال المتكبر، يُخفي محاسن الإنسان، ويُبرز مساوئه، ويكسبه ذمَّ الناس وسُخطهم، ويصدّه عن الفضائل والطاعات.⁽⁶⁾

(1) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (21: 166).

(2) التَّصْغِيرُ: إمالة الخدّ عن النَّظَرِ إلى النَّاسِ تَهَاوُنًا من كِبَرٍ كأنه معْرِضٌ. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: (12: 316).

(3) أيسر التفاسير: لأسعد حومد: 3368.(الشاملة).

(4) انظر: الروح: لمحمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية: 235.

(5) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (19: 11674-11675).

(6) انظر: أدب الدنيا والدين: لابن أبي الدنيا: 292.

فائدة(1):

لمّا أمر لقمان الحكيم ابنه بأن يكون كاملاً في نفسه بإقام الصلاة، مكمّلاً لغيره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كان يخشى عليه بعدها من أمرين :

الأول: الإعجاب بالنفس؛ لكونه كاملاً في نفسه.

الثاني: الكبر؛ لأنّه يُكمّل غيره.

الجانب الثالث: آداب متعلّقة بذاته الخاصة:

لمّا بيّن لقمان الحكيم لابنه آداب حسن المعاملة مع الناس، أتبعها بالآداب الحسنة المتعلقة بذاته الخاصة؛ حيث أوصاه بأدبين؛ وهما القصد في المشي، وغض الصوت عند الكلام، وهما أظهر ما يلوح على المرء من آدابه.(2)

1- القصد في المشي:

لمّا نهى لقمان الحكيم ابنه عن الخلق الذميم (المشي في الأرض مرحاً) حثّه على التزام الخلق الكريم، الذي ينبغي أن يتخلّق به، من القصد في المشي(3)، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾[لقمان:19]، أي: "تواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن انثد".(4)

2- الغض من الصوت:

إنّ غض الصوت أفضل للمتكلّم، وأبينّ لنفس السامع وفهمه؛ لذلك أوصى لقمان الحكيم ابنه بخفض الصوت عند الكلام ﴿...وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان:19]، أي: لا تتكلّف رفع الصوت، وارفعه فقط وما يتناسب مع حاجة السامع، فالجهر أكثر من الحاجة تكلف يؤذي.(5)

الخلاصة:

إنّ المتأمل والناظر في وصايا لقمان الحكيم لابنه، يخرج بالفوائد الأربع التالية:

1. الموجه الناجح توجيهاته شاملة، عالم بفقّه الأولويات، فيبدأ بالأهم فالمهم، ويراعي حاجاتِ المُوجّهين ومتطلباتهم، فيعطي كل إنسان وما يتناسب مع حاله.

(1) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن عليّ الدمشقي الحنبلي: (15: 449-450).

(2) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (21: 168).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: (4: 406).

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي ابن أبي طالب الأندلسي: (9: 5731)

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (14: 71)، البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي: (7: 184).

2. إِنَّ الْإِخْلَاصَ فِي تَوْجِيهِ النَّصَائِحَ لَتُرِكَ الْأَخْلَاقُ الذَّمِيمَةُ، اقْتِرَانُهَا بِالذَّلَالَةِ عَلَى طَرِيقِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ: لَيْسَ الْإِخْلَاصُ أَنْ تَقُولَ لِلْمَخْطِئِ أَنْتَ مَخْطِئٌ، وَلَكِنْ الْإِخْلَاصُ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِهِ إِلَى الصَّوَابِ.
3. الْمَوْجِبُ لَا بَدَّ أَنْ يُظْهِرَ الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ وَاللِّينَ وَالْعَطْفَ عَلَى الْمَوْجَّهِينَ.
4. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان:14]، اعترض في كلام لقمان الحكيم عن الوالدين يدلُّ على ثلاثة آداب معهما:

أ. وجوب الاستماع لوعظ الوالدين الصالحين وتوجيهاتهما.

ب. وجوب الطاعة لهما في المعروف.

ج. الإحسان في معاملتهما، ولو كانا كافرين.

الفرع الثاني: موسى عليه السلام يُوجِّه أخاه هارون عليه السلام:

كان هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام بسؤاله ربّه: ﴿وَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي [طه:29-32]، وكانت الرئاسة في بني إسرائيل لموسى عليه السلام⁽¹⁾.
 إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدَّمَ لَهُ النَّصِيحَةَ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لِلْمُسْلِمِ نَاصِحٌ، وَالنَّصِيحَةُ حَقٌّ وَوَجِبٌ لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَدِّرُ عِظَمَ التَّكْلِيفِ، وَثِقَلِ النَّبِيعَةِ الَّتِي حَمَلَهَا لِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ الْعَلِيمُ بِطَبِيعَةِ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِي الْمَقَابِلِ تَلَقَّى هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّصِيحَةَ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ، لَمْ تَنْتَقِلْ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ النَّصِيحَةَ لَا تَنْتَقِلُ إِلَّا عَلَى نَفُوسِ الْأَشْرَارِ، وَتَنْتَقِلُ عَلَى نَفُوسِ الْمُتَكَبِّرِينَ الصَّغَارِ، الَّذِينَ يَحْسُونَ فِي النَّصِيحَةِ إِنْقِصَاً مِنْ قَدْرِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ⁽²⁾.

وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ مَوْقِفِ اسْتِخْلَافِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخِيهِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النِّقَاطِ الْأَرْبَعِ التَّالِيَةِ:

1. وصايا موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام عند استخلافه له.
2. الإصلاح قد يختلف تقديره من مُصْلِحٍ لِمُصْلِحٍ.
3. متابعة موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام.
4. هارون عليه السلام يقوم بدوره في خلافة موسى عليه السلام.

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (9: 84)، تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (9: 108).

(2) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (3: 1368).

أولاً: وصايا موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام عند استخلافه له:

جمع موسى عليه السلام في وصيته مَلَكَ السياسة، وقمة التوجيه؛ فقد أوصى أخاه هارون عليه السلام بأهم أمرين يقوم عليها أيُّ نظام في هذا العالم، حيث حكى القرآن الكريم عنه ذلك ﴿...وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142]؛ والأمران هما:

1- الإصلاح:

إنَّ سياسة الأمة الإسلامية في مجملها تدور حول محور الإصلاح، الذي يجعل الشيء صالحاً في نفسه، ومُصلِحاً لغيره، فيجب على القيادة أن تكون جميع تصرفاتها صالحة ومُصلِحة، تعود بالنفع والخير والصلاح على القيادة السالكة لها، وعلى جميع أفراد الرعية؛ لأنَّ رجوع نفع الصلاح على القيادة نفسها، وبضده على غيرها لا يُعدُّ صلاحاً، بل هو الفساد بعينه. (1)

2- عدم اتباع سبيل المفسدين:

يجب على القائد أن يُوجِّه أتباعه إلى ترك سبيل المفسدين؛ ويشمل ذلك الامتناع عن مشاركتهم في أعمالهم، ومساعدتهم عليها، ومعاشرتهم والإقامة معهم في حال اقتفافها، ولو بعد العجز عن إرجاعهم عنها. (2)

ثانياً: الإصلاح قد يختلف تقديره من مُصلِح لمُصلِح:

رأى موسى عليه السلام أن ترك هارون عليه السلام لعبدة العجل من بني إسرائيل مظهرٌ من مظاهر الفساد، وترك الإصلاح؛ حيث حكى لنا القرآن الكريم هذا الفهم على لسانه: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي...﴾ [الأعراف: 150].

بينما عدَّ هارون عليه السلام ما فعله هو الإصلاح، فكان تقديره واجتهاده في هذه القضية حسب رؤيته للموقف، ألاَّ يَدْخُل مع هؤلاء المفسدين في معركة؛ لأنَّها ربما انتهت بالقضاء على جذوة الإيمان في بني إسرائيل، حيث اجتهد في إطار (وَأَصْلِحْ).

وقد علَّل هارون عليه السلام موقفه، بالخشية على قومه من الفرقة، قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94]، يقصد قول أخيه موسى عليه السلام: ﴿...أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142]، فذكره بالتفويض الذي أعطاه إياه، فكان هذا التفويض من موسى عليه السلام يُعطي هارون عليه السلام الحقَّ في القضاء في

(1) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (9: 87-88).

(2) تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (9: 107).

القوم بما يراه مناسباً، وأن يُقدّر المصلحة كما يرى، وقد شَفَعَ هذا التفويض لهارون عليه السلام أمام أخيه بعد ذلك.⁽¹⁾

ثالثاً: متابعة موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام:

رجع موسى عليه السلام إلى قومه بعد مناجاته ربّه ﷻ غضبان على أخيه هارون عليه السلام؛ لعدم قيامه بواجبه في استخلاف بني إسرائيل، والقيام بالإصلاح بينهم، "إذ رأى أنّه ضَعُفَ في سياسته لهم، ولم يكن ذا عزيمة في خلافته فيهم"⁽²⁾، وَزَجَرَهُمْ عن عبادة العجل، وحزينا على قومه لما وقع منهم من عبادة العجل، وتشريحهم محبته في قلوبهم، وعدم التفاتهم إلى ما عهد لهم به من توحيد الله ﷻ، وإخلاص العبادة له، والسير على شريعته⁽³⁾، فقال مُعَنَّفاً الجميع: ﴿...يَسْمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي...﴾ [الأعراف:150].

إنَّ الخطاب الموجّه من موسى عليه السلام في الآية السابقة يحتمل معنيين؛ فإمّا أن يكون موجّهًا لعبدة العجل، أو لأخيه هارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيكون بهذا قد اصطاد عصفورين بحجرٍ واحدٍ كما يلي:⁽⁴⁾

الأول: إنّه توبيخٌ للذين عبدوا العجل من قومه على ما فعلوا في غيبته؛ فقد عبدوا العجل بعدما رأوا توحيد الله ﷻ، ونفى الشركاء عنه ﷻ، وإخلاص العبادة له جل جلاله.
الثاني: إنّه تأنيبٌ لهارون عليه السلام ومن معه من المؤمنين؛ حيث لم يُراعوا العهد الذي أخذَ عليهم، ولم يكفوا العبدة عمّا فعلوا بعدما رأوه منهم، من حملهم على التوحيد، وكفّهم عمّا طمّحت نحوه أبصارهم، وتمنّته قلوبهم، من عبادة البقر حين قالوا: ﴿...يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:138].

وقد تابع موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام حقّ المتابعة؛ فنجدّه عند عودته من لقاء ربّه ﷻ، يسأل هارون عليه السلام عن فعله بالتفويض الذي أعطاه إياه: ﴿...أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:142]، حيث حكى القرآن الكريم لنا هذا السؤال، قال تعالى: ﴿قَالَ يَهَنرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه:92-93].

-
- (1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (15: 9363-9366)، البحر المديد: لأحمد بن محمد الإدريسي (4: 310).
 - (2) تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (9: 178).
 - (3) انظر: التفسير الوسيط: الطنطاوي: (5: 381).
 - (4) انظر: روح المعاني: للألوسي: (6: 369).

لقد أُنِّبَ موسى ﷺ أخاه هارون ﷺ؛ لأنه رأى وقوع هارون ﷺ في مخالفتين، وهما: (1)
 الأولى: تركه ﷺ عبدة العجل على ما هم عليه دون إبطال عبادتهم.
 الثانية: عدم التزامه ﷺ بنصيحة موسى ﷺ بالإصلاح وعدم اتباع المفسدين.
 رابعاً: هارون ﷺ يقوم بدوره في خلافة موسى ﷺ:

وعظ هارون ﷺ قومه على قدر استطاعته؛ لما رآهم متهافتين على النار بعبادتهم العجل، وقد صدح بالحق بكل قوة، مع كثرتهم، واعتقاده عدم مبالاتهم بوعظه، واكتفى بالوعظ شفقة منه على قومه، فقال: ﴿... يَنْقُورُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه:90]، حيث سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه؛ فزجرهم أولاً عن الباطل بقوله: (إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ)، ثم دعاهم إلى معرفة الله ﷻ ثانياً بقوله: (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ)، ثم دعاهم إلى الاعتراف بنبوته واتباعه ثالثاً بقوله: (فَاتَّبِعُونِي)، ثم دعاهم إلى أهم مستلزمات الاتباع، وهي الطاعة، بقوله: (وَأَطِيعُوا أَمْرِي)، وهذا قمة الترتيب الفعال؛ فإمطاة العثرات من الطريق، وكشف الشبهات للناس، هو نقطة البدء، ثم عرفهم بالله ﷻ، وهو أصل التوحيد (التخلية تسبق التحلية)، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه. (2)

لقد شهد الله ﷻ في القرآن الكريم، أن هارون ﷺ وعظ قومه؛ فنهاهم وزجرهم عن عبادة العجل (3)، وأمرهم بالطاعة والإنابة، ولكنهم رفضوا نصحه وتوجيهه قائلين: ﴿... لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه:91].

الفوائد المجنبة من استخلاف موسى لأخيه هارون (عليهما السلام):

بعد النظر والتأمل في موقف استخلاف موسى ﷺ لأخيه هارون ﷺ، يُمكن استنباط الفوائد الثمانية التالية:

1. يجب على القائد أن يكون عالماً بأخلاق من يقودهم وطباعهم، متفرساً متوقعاً لما يصدر عنهم.
2. إن توجيه النصيحة غير مقتصر على الجاهل دون العالم؛ فمع أن هارون ﷺ نبي كريم لا يكون منه إلا الصلاح، نرى وصية موسى ﷺ له بالإصلاح، وعدم اتباع سبيل المفسدين.
3. يجب على القائد الرأفة بجنوده، والرفق بهم، وخاصة إن كانوا أبناء شعبه، والحرص على مصالحهم، وعدم إظهار الفرقة فيما بينهم؛ حيث خشي هارون ﷺ عند معاملته لقومه بالقوة أن يُفَرِّقَ جماعتهم.

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2348).

(2) انظر: اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص الحنبلي: (13: 360)، روح البيان: لإسماعيل حقي: (5: 412).

(3) انظر: قصص القرآن: الحافظ إسماعيل بن كثير: ص 237.

4. إِنَّ طريق الأنبياء ومُتَّبِعِيهِمْ محفوف بالفتنة والبلاء، كما قال النبي ﷺ: (أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة).⁽¹⁾

5. إِنَّ مكانة الأم كبيرة في نفوس المؤمنين؛ حيث نجد أن هارون ﷺ استعطف موسى ﷺ بتذكيره أنهما ابنا أم واحدة، فقال مستعظماً له: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمَّ تَرْقُبَ قَوْلِي﴾ [طه: 94]، فخصَّ الأم بالذكر استعظافاً لحقها، وترقيقاً لقلبه.⁽²⁾

6. إِنَّ القرارات المصيرية تَسْتَلْزِمُ وجود القائد الأول، وليس نائبه.

7. إِنَّ الصلاح نسبي؛ مرتبط بطبيعة الموقف، وبتقدير الإنسان لكون الفعل صلاحاً أو فساداً.

8. إِنَّ القائد الناجح يتابع موظفيه بالمراقبة والمحاسبة الدائمتين.

المطلب الثاني: أهمية القيادة في إقامة شعائر الدين، وتحقيق الشهادة على سائر الأمم:

إِنَّ حقائق الوحي وحقائق التاريخ لتؤكد بأنَّ السبيل لهذه الأمة إلى الخروج من هذا التيه الذي نتجرع مرارته، ونكتوي بنيرانه، إنّما يبدأ بإصلاح ما اندرس من علاقتها بربها، وتجديد ما اندرس من شعائر دينها وشرائعه، فإظهار شعائر الله ﷻ، وتطبيق شرائعه، يُظهر قوة المسلمين وعزَّتْهم، ويغيظ المنافقين؛ برويتهم عزة الإسلام وقوة أهله، وتوقع الخوف في نفوس أعداء الأمة المتربصين بها للنيل من عزتها وكرامتها وأرضها.⁽³⁾

إِنَّ هذا التجديد إنّما يكون بإحياء كثير من السنن، وإماتة كثير من البدع، وإزالة الغربة عن كثير مما هجر الناس من شعائر الإسلام وشرائعه.⁽⁴⁾

(1) سنن الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ح: 2400، (2: 64) وقال: حديث حسن صحيح، قال الألباني: حديث صحيح: سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني: (ح: 143، ج: 1، ص: 274)، وأصل معنى الحديث في صحيح البخاري فقد بوب البخاري (باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) (7: 115)، وروى حديثاً في معنى الحديث السابق.

(2) انظر الفوائد (1-5): مفاتيح الغيب: للإمام الرازي: (14: 352، 22: 91)، تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشربيني: (2: 528)، روح البيان: لإسماعيل حقي: (5: 412)، التفسير القرآني للقرآن: د. عبد الكريم الخطيب: (476: 5)، البحر المديد: لأحمد بن محمد الإدريسي: (4: 301).

(3) انظر: زاد المعاد: لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية: (1: 449)، مجلة البيان: العدد: 54، ص: 78.

(4) انظر: مجلة البيان: العدد: 67، ص: 111.

إنَّ التجديد المطلوب بحاجة إلى قواعد مهمة، أخصها في الأربع التالية:⁽¹⁾

1. التربية العملية لأبناء هذه الأمة على قيم الإسلام ومُثله، وشرائعه وشعائره.
2. أن يتخلَّق كل العاملين في إطار التجديد المنشود، بخُلُق القرآن الكريم في المنشط والمكروه.
3. التزام الأمة بتطبيق ما تتعلمه؛ من أحكام الدين، وآدابه، وقيمه، تطبيقاً أميناً في حياتهم، وإغنائهم بالوفاء والأمانة، والالتزام والصدق.
4. وجود القيادة القوية؛ التي تحمي التجديد، وتنهض به بعزيمة ماضية، وتحمي أهله، وتتصر جنده.

إنَّ الشهادة لهذه الأمة على الناس لا تتحقق إلا بتطبيق الشعائر والشرائع الإسلامية؛ لذلك كان الربط بين إقامة الشعائر وبين الشهادة على الناس.

وقد عرض الباحث هذا المطلب من خلال نقطتين:

الأولى: أمانة التمكين تقتضي إقامة شعائر الدين.

الثانية: الشهادة على الناس منوطة بالالتزام المسلمين إقامة شعائر الدين.

النقطة الأولى: أمانة التمكين تقتضي إقامة شعائر الدين:

إنَّ من سنن الله ﷻ التمكين لعباده المؤمنين في الأرض، وأنَّ الأرض يُورثها عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، كما وعد المؤمنين بالنصر والاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والأمن والاستقرار، إنَّ هم قاموا بحق الاستخلاف؛ من العمل الصالح، والعبادة الخالصة لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَبْرَارَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

إنَّ تصدير الآية الكريمة بقوله ﷻ: (وَعَدَ اللَّهُ) بشارة عظيمة لعباد الله المؤمنين، بتحقُّق وَعْدِهِ ﷻ؛ من الاستخلاف، والتمكين، وحصول الأمن والاستقرار؛ لأنَّ وَعْدُ اللَّهِ ﷻ حَقٌّ لا يتخلف⁽²⁾، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 6].

(1) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد: 13، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث، وكيفية التغلب عليها؟ للدكتور محمد حسين الذهبي الأستاذ بجامعة الأزهر ص: 343، دور المنهاج الرياني في الدعوة الإسلامية: للدكتور عدنان علي رضا النحوي: 13.

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 146).

وقد امتنَّ اللهُ ﷻ على المؤمنين بالاستخلاف في الأرض؛ حيث جعلهم أئمة الناس، والولاة عليهم، الوارثين لحكمهم، قال تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿[الفصص:5-6].

إِنَّ وَعْدَ اللهِ ﷻ للمؤمنين بالتمكين والنصر، منوطٌ بالنهوض بتكاليف العقيدة، وتحقيق النهج الإلهي في حياة الجماعة⁽¹⁾، والقيام بواجبات القيادة ومستلزمات التمكين؛ وهي التي ذكرتها الآية التي تلت الآية التي أشارت إلى وعد الله ﷻ بالتمكين: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:56]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج:41].

إِنَّ هذه المستلزمات يُمكن أن تُطلق عليها شعائر الدين؛ من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وطاعة النبي ﷺ .

وقد أشار الباحث إلى كلٍ من هذه المستلزمات الأربعة إشارة سريعة يتضح من خلالها المعنى المراد، والأثر الذي يضمن استمرارية التمكين عند القيام بهذه الشعائر والعبادات.

1- إقامة الصلاة:

إِنَّ الصلاة ركنٌ من أركان الإسلام، عُنِيَ الإسلام بها في كتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ ؛ فهي عمود الدين، ومفتاح الجنة، أمر الله ﷻ بها الأنبياء، وأمر الأنبياء أتباعهم بإقام الصلاة، وهي من صفات المتقين، وقد أكدَّ الإسلام المحافظة عليها في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والسلم والحرب، قال تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة:238، 239]، وجعلها النبي ﷺ الدليل الأول على التَّزَام عقد الإسلام، والقضية الفاصلة بين الكفر والإيمان⁽²⁾، فيقول ﷺ: (الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)⁽³⁾.

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2428).

(2) انظر: العبادة في الإسلام: للدكتور يوسف القرضاوي: 210-212.

(3) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في ترك الصلاة، (ح: 2621، ج: 5، ص: 13)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، ومسند الإمام أحمد، (ح: 22937، ج: 38، ص: 20)، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح، انظر: الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري: (ح: 777، ج: 1، ص: 255).

إنَّ الصلاة تُوثِّقُ عُرَى الإيمان، وتُعَلِّي الهمة، وتُثَمِّي الإيمان، وتقوي الثقة بالله ﷻ، وتُنزِّه النفس عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتكسبها القوة في الحق، فتكون جديرة بالنصر. (1)

إنَّ للصلاة دورها الكبير في إيجاد العلاقات الاجتماعية بين الناس، والتأليف بين قلوب المؤمنين؛ ويظهر ذلك بوضوح في المقصد من صلاة الجماعة؛ حيث يجتمع الناس في المسجد راغبين وراهبين، مسلمين وجوهم الله ﷻ، فتنزل السكينة، وتغشاهم الرحمة، فيحدث التعاون والتعارف، والوحدة والاجتماع على الخير. (2)

2- إيتاء الزكاة:

فرض الله ﷻ الزكاة رحمة منه بالمساكين، وطهرة للأغنياء، هذا مع ما في أداء الزكاة من تمرين النفس على السماحة المحمودة، ومجانبة الشح المذموم؛ لأنَّ السماحة تبعث على أداء الحقوق، والشح يصدُّ عنها، ولما في أدائها أيضاً من تركية النفس وتطهيرها، وإشاعة المحبة في المجتمع، فتتداخل صلاة الناس بمشاعر الألفة والتراحم والتماسك (3)، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103].

3- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من أهم العبادات الإسلامية التي لم تدخل في نطاق العبادة بتحديد المواقيت والكيفيات، فهي فريضة قد تميَّزت الأمة الإسلامية بها (4)، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: 110].

إنَّ المتأمل للآية السابقة يلاحظ أنَّ الله ﷻ قدَّم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على الإيمان بالله ﷻ؛ ليدل دلالة واضحة على تميُّز الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام البيضاوي في تفسيره. (5)

إنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يضمن للأمة بقاءها وكيانها ووجودها؛ لأنَّ ترك هذه الفريضة العظيمة، والامتناع عن أدائها، سبب رئيس في هلاك الأمة، وحصول اللعنة

(1) انظر: تفسير المراغي: للشيخ أحمد مصطفى المراغي: (1: 191).

(2) انظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: للصَّلابي: 207.

(3) انظر: أدب الدنيا والدين: 107، تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: للصَّلابي: 207.

(4) انظر: العبادة في الإسلام: للدكتور يوسف القرضاوي: 203.

(5) انظر: تفسير البيضاوي: لناصر الدِّين الشيرازي: (1: 74).

لها، قال الله ﷻ في حق أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَمْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ يَمَّا كَانُوا يَقْسُقُونَ﴾ [الأعراف:165]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:78-79].

كما يترتب على غياب هذه الفريضة تفرُّق الأمة وتمزقها، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:104-105].

إنَّ المتأمل في الآيتين السابقتين يرى الترتيب العجيب بين معناه؛ حيث جاءت الإشارة في الآية الثانية إلى تفرُّق الأمة الإسلامية واختلافها، بعد الآية التي أفادت إيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على الأمة الإسلامية، وهذا الترتيب العجيب يشير إلى أنَّ ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يفضي إلى التفرُّق والاختلاف إذ تكثر النزعات والنزعات وتتشقَّق الأمة بذلك انشقاقاً شديداً⁽¹⁾.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: "أيُّها الناس إنَّما هلك من هلك قبلكم، بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي، ولم يمنعهم الربانيون والأحبار؛ أخذتهم العقوبات، فمُرُوا بالمعروف، وأنهَوْا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم مثلُ الذي نزل بهم، واعلموا أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يقطع رزقاً، ولا يقرب أجلاً"⁽²⁾.

4- طاعة النبي ﷺ:

إنَّ طاعة النبي ﷺ فيما أمر، والانتهاة عمَّا نهى، من أوجب الواجبات على كل مسلم، استجابة لأمر الله ﷻ في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59].

(1) التحرير والتنوير: للظاهر بن عاشور: (4: 42).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين): (ح: 6571، ج: 4، ص: 1166)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلاء الدِّين علي بن حسام الدِّين البرهان فوري: مسند علي بن أبي طالب ﷺ: (ح: 44232، ج: 16، ص: 207)، قال أحمد شاكِر: "إسناده صحيح، ولكن في سماع يحيى بن يعمر من علي ﷺ كلام". عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: للعلامة أحمد شاكِر: (1: 705).

إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ؛ فالنبي ﷺ مبلغ عن ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿...وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۖ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 79-80].

إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ مدلولات عظيمة في حياة الفرد والأمة؛ أذكر منها هذه الأربعة:

أ. إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ من الإيمان، ودلالة على رشاد الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7].

ب. إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ سبب من أسباب الرحمة التي تصيب المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132].

ج. إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ سبب لقبول العمل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 33].

د. إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ سبب لحصول محبة الله ﷻ للإنسان، ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

إِنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ تكون بالاستجابة لأمره في حياته، واتباع سنته بعد مماته، حيث عدَّ القرآن الكريم مخالفة النبي ﷺ، والخروج عن حكمه ﷺ، سبباً لنفي الإيمان عن الإنسان، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، فقد نفى الله ﷻ الإيمان عمَّن لم يتحاكم إلى النبي ﷺ في حياته، وعمَّن لم يتحاكم إلى شريعته وسنته بعد وفاته.

النقطة الثانية: الشهادة على الناس منوطة بالتزام المسلمين إقامة شعائر الدين:

تحدثت في النقطة السابقة عن أهمية وجود القيادة لإقامة شعائر الدين، وإظهاره في الأرض، إذ من مستلزمات التمكين القيام بهذا الأمر، والسبب في ضم إقامة الشعائر، والشهادة على الناس، في مطلب واحد، هو إشارة القرآن الكريم إلى هذا الأمر إشارة واضحة، وهذا ما ظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِثْلَ أَيْكُمُ الْإِسْرَائِيلَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

تشير الآية السابقة إلى نعمة الله ﷻ على المسلمين، بأن جعلهم أمة وسطاً عدولاً، يشهدون على الناس يوم القيامة؛ فالناس جميعاً يعترفون بفضل المسلمين في ذلك اليوم،

ويقبلون شهادتهم عليهم، في قيام الرسل بإبلاغهم رسالة ربهم، ولهذا يجب على المسلمين أن يقابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكر الله ﷻ عليها، بأداء حق الله ﷻ فيما فرضه عليهم، من إقامة الصلاة، وأدائها حق الأداء، وإخراج الزكاة المفروضة، والاعتصام بالله ﷻ، والاستعانة به، والتوكل عليه، فالله ﷻ مولى المؤمنين، وحافظهم، وناصرهم، وهو نعم المولى، ونعم الناصر على الأعداء⁽¹⁾.

إنَّ الشهادة على الناس لا تتحقق إلاَّ بتميّز المسلم عن الآخرين في عباداته، وشعائره، وهذا المعنى مستفادٌ من مجيء الآية التي تدل على شهادة الأمة الإسلامية على الناس في سياق الحديث عن القبلة، وتحويلها من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، قال تعالى:

﴿سَيَقُولُ أَشْفَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۗ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۗ قَدْ زُرْنَا نَقْلُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّا لَإِلَّا الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 142-144].

إنَّ الله ﷻ قد أمر النبي ﷺ بأن يستقبل المسجد الحرام في الصلاة، قبله إبراهيم عليه السلام، واختارها للمسلمين؛ ليجعلهم خيار الأمم، فميّزهم في الدنيا بالقبلة، وميّزهم في الآخرة بالشهادة على الأمم، حيث يعترف الجميع بفضلهم ومكانتهم، ولمّا كانوا الأمة الوسطَ حصّهم الله ﷻ بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب⁽²⁾، قال تعالى: ﴿... هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ ۗ مِلَّةً أَيْبِكُمْ يَتْرَاهُمْ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۗ...﴾ [الحج: 78].

ويرى الشيخ الشعراوي أنّ شهادة الأمة على الناس غير مقتصرة على الآخرة فقط، وإنّما تكون في الدنيا كذلك؛ وذلك بنحّاكم الناس لشريعة الإسلام في المستقبل القريب؛ فالعالم بأطرافه المختلفة سيضطر إلى الرجوع إلى ما تقرره شريعتنا الإسلامية، لما أعطاه الله ﷻ من الخيرية، فكأنَّ الله ﷻ أخبرنا أنّه ستحدث في الكون معركة لن يفصل فيها إلا شهادة هذه الأمة، فكل الأفكار الوضعية على خطأ، ومنهج الله ﷻ العدل، فهو الصواب، وشهادة الأمة لن تكون إلاّ بالتزامنا بسنة النبي ﷺ، وسيادة شهادة الحق والعدل فيها.⁽³⁾

(1) انظر: أيسر التفاسير: لأسعد حومد: (2553).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (1: 454).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (1: 373).

المطلب الثالث: أهمية القيادة في تحفيز الجنود لتحقيق النصر والتمكين:

إن وجود القيادة الربانية المؤمنة من أهم الأسباب المؤدية إلى تحقيق النصر والتمكين للأمة الإسلامية اليوم، وغياب القيادة الربانية هو من أكبر ما يعانيه المسلمون اليوم. إن التنبيه على أهمية وجود القائد الفذ، وخطورة غيابه، لا يعني أننا ممن يؤيد نظرية الفرد الواحد، أو ينتظرون البطل المنقذ، ولكن نشير هنا إلى ضرورة سعي الأمة الإسلامية اليوم سعيًا حقيقيًا لإيجاد القيادة القادرة على تحمل الأعباء والتكاليف والمهام الصعبة⁽¹⁾، والقادرة على التأثير في جنودها، وتحفيزهم لتحقيق النصر والتمكين.

فائدة:

يجب على قيادة الأمة الإسلامية اليوم أن تتبنى نظرية إعداد جيل من القيادات القادرة على تحمل المسؤوليات، والقيام بالواجبات، والسير بالأمة نحو التقدم والنهوض متى طُلب منها ذلك، وعدم الركون إلى نظرية القائد الواحد، سيرًا على منهج النبي ﷺ في إعداد جيل من القادة، يبرز هذا المعنى بوضوح في صنيع النبي ﷺ في غزوة مؤتة فيما يتعلّق بقيادة الجيش⁽²⁾؛ حيث جعل القيادة أولًا لزيد بن حارثة رضي الله عنه، فإن قُتل تولّى القيادة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن قُتل تولّى القيادة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فإن قُتل جعل اختيار القيادة فيمن يصطّح عليه المسلمون. إن من أهم الأمور التي تجعل الجندي المسلم يندفع لقتال الأعداء، مُقبلًا غير مُدبر، وجود القائد معه في المعركة، يوجّهه، ويحثّه على القتال⁽³⁾، ونجد أن هذا المعنى قد أشار القرآن الكريم إليه في آيات كثيرة، دلّت على أهمية وجود القائد المحفّز والموجّه لتحقيق النصر على الأعداء، واكتفيت في هذا المقام بالإشارة إلى آيتين فقط، من باب التخفيف والاختصار، وهما:

الآية الأولى:

وهي التي تشير إلى تبشير النبي ﷺ للمؤمنين بإمداد الله ﷻ لهم بالملائكة في غزوة بدر الكبرى، وهو ما أعطى المؤمنين القوة، وحفّزهم على الدخول في القتال، مع قلة عددهم وعتادهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكَفِّرْكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿١٢٥﴾

عمران: 124، 125.]

(1) انظر: أهمية القيادة والحاجة إليها: للدكتور محمد العبدية (مقال): موقع المسلم.

(2) انظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: لمحمد بن فتوح الحميدي: (ح: 1660، ج: 2، ص: 286).

(3) أسلوب القرآن الكريم في تحفيز الجندي المسلم لقتال الأعداء: للدكتور صالح يحيى صواب: 19.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُطْمئنُ الْجُنُودَ، وَيَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ بِهَذِهِ الْبَشْرَى الْعَظِيمَةَ؛ إِمدَادِ اللَّهِ ﷻ لَهُمُ بِالْمَلَائِكَةِ، فَالْإِمدَادُ بِالْمَلَائِكَةِ لَهُ غَايَتَانِ: (1)

1. تَبشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِدْخَالِ الْفَرْحِ وَالسَّرُورِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.
2. بَثِ الطَّمَأْنِينَةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَاللَّهُ ﷻ مَعَهُمْ، وَهُوَ نَاصِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ؛ فَلَا يَجْبُنُونَ عَنِ الْقِتَالِ، وَالْمُوَاجَهَةِ.

الآية الثانية:

وهي التي تشير إلى حث نبي الله موسى ﷺ لقومه على دخول الأرض المقدسة، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21]، وفي الآية إشارة واضحة إلى أهمية هذا التوجيه؛ حيث أوضح لهم أَنَّ النَّصْرَ وَالْفَوْزَ حَلِيفُهُمْ؛ فَاللَّهُ ﷻ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَأَمُرُ اللَّهِ ﷻ نَافِذٌ لَا مَمانِعَ لَهُ، وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ، "فَأخْبِرْهُمْ خَبْرًا تَطْمئنُ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُصَدِّقِينَ بِخَبَرِ اللَّهِ ﷻ، وَأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ دِخُولَهَا، وَإِنْتِصَارَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ" (2).

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (4: 74).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 227.

الخلاصة:

بعد الوقوف عند تلك الآيات القرآنية التي أشارت إلى أهمية القيادة في القرآن الكريم، والنظر في أقوال المفسرين المتعلقة بها يمكن استخلاص بعض النتائج النافعة في هذا المجال، وهي ستُنتج كما يلي:

1. إنَّ من أهم الأسباب التي تُعين القائد على القيام بأعماله على أكمل وجه، الإيمان بالله ﷻ، والعمل الصالح، والتقوى؛ لأنَّ الله ﷻ يحب أهل التقوى والإيمان، وهذه المحبة من أعظم الأسباب المؤقَّعة للعبد، والمُسدِّدة لفعله⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 76].
2. أهمية إيجاد المرابي الرياني، الصادق في نصحه، المتقن في توجيهه، العالم بأحوال الناس وما يُصلحهم، المدرك لمقاصد التشريع وفقه الأولويات، المشفق على المتريبين المتلطف معهم، الحريص على تحقيق أهدافه على أكمل وجه.
3. إنَّ نجاح العمل مترتَّب على وجود القائد الواعي، والناصح الموجه، المتابع لبطانته التي تُسيِّر أعماله في غيابه، المستشرف لطباع جنوده، والمحاسب للمخطئ مهما كانت مكانته.
4. إنَّ إقامة شعائر الإسلام، والالتزام بشريعة الله ﷻ، دليل على قوة المسلمين، وعُلُو شأنهم بين الأمم؛ حيث يصبحون مؤهلين للشهادة على الناس في الدنيا والآخرة.
5. إنَّ من أبرز أسباب النصر والتمكين أن يتولى قيادة الأمة قادة أتقياء أمناء، يدركون الواجبات المنوطة بهم من تواصلهم بأبناء أمتهم، وبثهم للروح المعنوية فيهم، لتعود للأمة الإسلامية مكانتها ومجدها وقيادتها للعالم.
6. إنَّ أولويات الدعوة الإسلامية بعد ترسيخ العقيدة في قلوب الناس، هي إقامة شعائر الإسلام؛ من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
7. أهمية العمل على إعداد جيل من القادة القادرين على قيادة المسير في أيِّ لحظة تتعرض فيها القيادة للموت، أو الاغتيال، يكونون على مستوى من القيادة والمهارة والنمُّيز لا يقل عن مستوى القائد الأول، وخاصة في واقع المجتمع الفلسطيني الذي تتعرض قياداته بين الفينة والأخرى للاغتيال على يد العدو الصهيوني.

(1) انظر: الجهاد في سبيل الله ﷻ: لسعيد القحطاني: 34.

المبحث الثالث

واجبات القيادة، وحقوقها في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: واجبات القيادة في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: حقوق القيادة في القرآن الكريم.

بين يدي البحث:

اعتنى الإسلام في جميع مراحل الدعوة والتمكين، بقضية القيادة؛ سواء عظمت مسؤولياتها، أم صغرت؛ إذ أكد على واجباتها تجاه رعيته، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْنُونٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الْإِمَامُ رَاعٍ، وَمَسْنُونٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْنُونٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْنُوَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْنُونٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْنُونٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْنُونٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).⁽¹⁾

وقد أوجب الإسلام عليها القيام بالواجبات المنوطة بها، وعدم التفريط في شيء منها؛ بما منحها من سلطة على العباد، وبما حازته من ثقة الرعية بها.⁽²⁾

وكما فرض الإسلام على القيادة واجبات، جعل لها في المقابل حقوقاً على رعيته؛ فأوجب على الرعية واجبات تجاه قيادتهم؛ جزاء ما قدمت من أعمال في خدمة الرعية، وبما تحمّلت من أعباء وتكاليف، وجزاء ما بذلت وتبذلت من جهد للارتقاء بالرعية في جميع مجالات الحياة المختلفة.⁽³⁾

إنَّ العلاقة بين حقوق الرعية على القيادة، وبين حقوقها على رعيته، علاقة تكاملية؛ ففي مقابل وجوب التزام القيادة بالقيام بواجباتها، تلتزم الرعية بالقيام بحقوق القيادة، دون عجز أو كسل؛ فإنَّ اضطراب هذه العلاقة يُخلُّ بموازن الدولة، ويُعرضها للضعف المؤدِّي إلى الضياع، والهوان، ولكي تنعم أمتنا بالعزة والكرامة؛ لا بد لكل فرد من أفرادها أن يقوم بالدور المنوط به، سواء أكان رئيساً، أم مرؤوساً.⁽⁴⁾

وقد تحدثت في حقوق القيادة وواجباتها؛ بإفراد مطلب مستقل لكلٍ منهما، مُقدِّماً الحديث عن واجبات القيادة؛ لأنَّ الإنسان مُطالبٌ بأنَّ يؤدي ما عليه من واجبات، ثمَّ يتوقع من الآخرين أنَّ يؤفوه حقه، وقد أشار إلى هذا المعنى الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُوَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ)⁽⁵⁾، فالقيادة مُطالبَةٌ أولاً بالقيام بواجباتها تجاه رعيته، ثمَّ تُطالبهم بذلك بحقوقها تجاههم.

(1) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ: (ح: 893، ج: 2، ص: 5).

(2) انظر: القيادة والجنديّة في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 115).

(3) انظر: فن القيادة في الإسلام: لأحمد عبد ربه بصيوص: 227.

(4) انظر: القيادة والجنديّة في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 115).

(5) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب عَلَامَاتِ النَّبِيِّ فِي الْإِسْلَامِ: (ح: 3603، ج: 4، ص: 199).

الواجب الثاني: تحكيم شريعة الله ﷻ في الأرض:

إنَّ مهمَّة القيادة بعد إقامة شعائر الدِّين، تنفيذ أحكام الشريعة، وتطبيق حُكم الله ﷻ في الأرض؛ فقد جاء القرآن الكريم مصدقًا للكتب السماوية السابقة، ومهيمنًا عليها؛ ولهذا كان الواجب على القيادة المسلمة تحكيمه بين الناس، وعدم الالتفات إلى غيره، أو استبداله بالقوانين الوضعية، أو التهاون في تطبيق أحكامه، وهذا يبيِّن لنا السِّر في مجيء الآية التي تأمر بتحكيم شرع الله ﷻ، بعد الآية التي تشهد للقرآن الكريم بالظهور على غيره من الكتب السماوية، قال

تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحِدَرُهُمْ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَيْكَ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 48-49].

وينبغي على القيادة المسلمة أن تراعي العدل في حكمها وقضائها؛ فلا تُفرِّق بين مؤيديها ومخالفها، أو بين مسلم وكافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَا اللَّهُ وَلَا تُكِنُّ لِلْعَاصِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105].

إنَّ تحكيم الشريعة، وتنفيذ الحدود؛ يُحقِّق الأمن للناس على أرواحهم، وممتلكاتهم، وتجاراتهم، وجميع أعمالهم، وينبغي أن يكون هذا الأمر تطبيقًا عمليًا في واقع الأمة⁽¹⁾، لا فكرًا نظريًا، تُنظَّر له القيادة على المنابر، أو في الصحف والمجلات، أو في المناظرات واللقاءات، أو فلسفات تلوكها الألسنة، بل لا بد أن تنتسب الرعية أنسامه الرقيقة، وتعيش فصوله الجميلة.

الواجب الثالث: نشر الدَّعوة، وهداية الخلق:

يجب على القيادة الراشدة العمل على نشر الدعوة الإسلامية، والحرص على هداية الناس جميعًا؛ فالقائد المسلم صالح في نفسه؛ وذلك بالتزامه بشعائر الإسلام، وتحكيمه لشرائعه، ومُصلح لغيره من الناس؛ وذلك بدعوتهم إلى الحق، والصواب، فإن كانوا مسلمين؛ أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وإن كانوا غير مسلمين؛ فبدعوتهم إلى الدخول في الإسلام.

وقد أوجب الله ﷻ نشر الدعوة على القيادة المسلمة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

(1) انظر: القيادة والجنديَّة في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 119).

بِأُمَّهَاتَيْنِ ﴿النحل:125﴾، حيث وجّه الأمر للنبي ﷺ بدعوة الناس إلى الإسلام، كما أشار القرآن الكريم إلى أن مهمة النبي ﷺ هداية الخلق إلى صراط الله ﷻ المستقيم، الطريق الواضح القويم، الذي لا اعوجاج فيه، ولا التواء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى:52-53].

إنَّ أحقَّ المسلمين بعد النبي ﷺ بتحمل هذه المسؤولية، والقيام بأمر الدعوة، والتصدي لهداية الخلق القائد المسلم؛ لأنَّه خليفة النبي ﷺ، والسائر على نهجه، والمقتفي لأثره ﷺ. كما يجب على القيادة الراشدة السعي الحثيث، والعمل على ظهور شريعة الإسلام على غيرها من الشرائع السابقة، التزامًا منها، وتطبيقًا عمليًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33].

الواجب الرابع: الوقوف في وجه الطغاة، والقضاء عليهم:

أوجب الإسلام على القيادة الإسلامية الراشدة تبليغ الحق إلى الناس، وتذليل الصعاب أمام الناس؛ كي يفكروا في هذا الحق، ويقتنعوا به، دون أي مؤثر خارجي، في ظل اختيار حر، وظروف مناسبة، وهذا ما عرفناه في النقطة السابقة، ولا شك أن الطغاة عقبة كؤود في وجه توفير الأجواء المناسبة للمدعوين؛ من حرية التفكير والاختيار، والتعبير عن آرائهم بكل صراحة ووضوح؛ لهذا وجب على القيادة الراشدة أن تُعلن الحرب عليهم، والقضاء على شوكتهم⁽¹⁾؛ لأنَّهم يصدون عن سبيل الله ﷻ، ويمنعون الناس من الاستجابة لدعوة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِن كَثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيَّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ [التوبة:12]، وقال تعالى: ﴿وَقَبِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَّيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:193].

فائدة:

قد خلصنا في مطالب سابقة إلى أن القيادة أعم وأشمل من الخلافة، لذلك وجب على قيادات العمل الإسلامي اليوم وإن لم تكن في سدة الحكم الوقوف في وجه الطغاة؛ الذين حكموا الأمة الإسلامية بالحديد والنار، والعمل بكل قوة على تغييرهم مهما كانت التضحيات التي تقدمها قيادة الجماعة الراشدة، ومستندنا في ذلك حديث الذي رواه جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) عن

(1) انظر: القيادة والجندي في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 131-132).

النبي ﷺ حيث قال: (سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاها فَفَتَلَهُ).⁽¹⁾

الواجب الخامس: الشورى:

إنَّ مشاورة أهل الرأي من الرعية، والرجوع إلى أهل الحزم، والأخذ بتوصيات أهل الاختصاص، من أهم واجبات القيادة المسلمة؛ لأنَّ الشورى من القواعد الأساسية للحكم في الإسلام، وقد امتدح الله ﷻ في كتابه العزيز المؤمنين؛ لأخذهم بمبدأ الشورى فيما بينهم، والتزامهم به في واقع حياتهم⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38].

وقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ، أن يستشير الصحابة في أمور الحرب، والسلم، وجاء هذا الأمر بعدما حدث في غزوة أُحد، من أخذ النبي ﷺ برأي من لم يُشارك في غزوة بدر من المسلمين، والخروج لقتال قريش خارج المدينة المنورة⁽³⁾، ونزول الهزيمة بالمسلمين، وحصول الأذى للنبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ لَوْلَا قَدْ غَلِطَ الْغَلِيبُ لَآتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

إنَّ الآية توجّه النبي ﷺ إلى إبقاء باب الشورى مفتوحاً أمام الصحابة ﷺ، على الرغم من النتيجة القاسية التي تعرّض لها المسلمون نتيجة تلك المشورة، فمعركة أُحد كانت مجالاً للتهذيب، ومعركة للتأديب، وموقفًا للتمحيص، لا يترتب عليه ترك المشورة، وبُغضها، بل الواجب مُشاورتهم دائماً، ثم لك الخيار في الأخذ بالمشورة، أو ردّها.⁽⁴⁾

فإنَّ كان الأمر في حق النبي ﷺ، المصدّق من ربه ﷻ بالوحي، وصاحب الحكمة، والفتنة، والذكاء، على هذا النحو، فمن باب أولى أن تلتزم به قيادات المسلمين اليوم؛ لأنَّ العقل البشري مهما وصل إلى سعة الفهم والإدراك، والحكمة والبصيرة، فهو بحاجة إلى الاستفادة من خبرات الآخرين، والاستماع لأرائهم؛ لتتلاقى الأفكار، وتتلاقح الآراء؛ فتخرج القيادة بأفضل الآراء، وأحسنها، فيما يعود على الأمة بالخير والنفع.

(1) المستدرك على الصحيحين: كتاب معرفة الصحابة: من قام إلى إمام جائر للحق فقتله فهو شهيد: (ح:

4884، ج: 3، ص: 195)، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) انظر: فن القيادة في الإسلام: لأحمد عبد ربه بصبوص: 236.

(3) انظر: السيرة النبوية: لابن هشام: (4: 9).

(4) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (3: 1839).

إنَّ قيام القيادة المسلمة بالتشاور مع أفراد رعيتهَا، يحقق لها فائدتين: (1)

الأولى: أن تَشْعُر الرعية بمكانتها، وأهميتها؛ فتثق بنفسها، وترتفع معنوياتها، وتشعر بتحملها المسؤولية مع قيادتها؛ فتتطلق في تنفيذ ما يُوكَل إليها، بكل قوة وعزيمة وحماسة ورضاً؛ لاعتقادها أنها جزء من الخطة، ومشاركة في وَضْعِهَا؛ فتعمل على أن يكون النجاح حليفها.

الثانية: إنَّ أخذ القيادة بمبدأ الشورى، هو جزء أصيل في تدريب من ترى فيهم النجاة والحكمة؛ ليتحملوا مسؤولياتهم، ويُشاركوا في وضع الخطط؛ ليكونوا أهلاً لقيادة الأمة في مرحلة قادمة؛ فالقيادة لن تعيش إلى الأبد.

الواجب السادس: الاستماع إلى الرعية:

أوجب الإسلام على القيادة الراشدة الاستماع إلى رعيتهَا؛ ويتحقق هذا بالألّا تجعل بينها وبين رعيتهَا الوسائط والحُجَاب، وأن تفتح لهم القلوب قبل الأبواب، وأن تستمع لكلامهم دون التَّوَعُّد لهم بالمحاسبة والعقاب؛ لأنَّ مدارك الناس متفاوتة، وإحاطتهم بالأشياء ضعيفة، فيتكلّمون بما يرون ويفهمون، ولذلك كان لزاماً على القيادة الراشدة الاستماع والتوضيح، مع الصبر على شدة أسلوب الرعية، وقسوة عباراتها في بعض الأحيان، فالواجب عليها الاستماع، ثمَّ عليها بعد ذلك التمحيص، والتَّحَقُّق مما تقوله الرعية.

وقد كان الاستماع إلى الرعية من الأمور التي عابها المنافقون على النبي ﷺ؛ حيث اتهموه بكثرة الاستماع للناس، وتصديق ما يسمع، وعدواً ذلك من قبيل الغرارة، وسرعة الانخداع، لكنَّ النبي ﷺ كان يُعامل المنافقين بأخلاق الإسلام التي يُعامل بها الخلق جميعاً، المعاملة القائمة على الظاهر، وليس على ما تُخفيه السرائر، فكان النبي ﷺ يقبل الحق، ويرفض الباطل، بأدب الإسلام، وحُلقه⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ...﴾ [التوبة: 61].

ويتحتّم على القيادة الراشدة الاستماع لرعيتهَا في الحالات الأربع التالية:

الحالة الأولى: الاستماع لشكوى الناس:

إنَّ من شأن القيادة الراشدة النزول إلى الشارع، والتعرف على أحوال الرعية، والاستماع لمطالبهم، وشكاويهم، فهذا النبي ﷺ يستمع لشكوى إحدى الصحابيات⁽³⁾ في زوجها، بل وتُجادل

(1) انظر: القيادة العسكرية في ضوء القرآن الكريم: للواء المتقاعد: فيصل بن جعفر بالي: (22-23).

(2) انظر: تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (10: 446).

(3) اختلف المفسرون في اسمها، والأشهر أنّها خولة ابنة ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت ؓ، انظر: تفسير

الطبري: (23: 219-227).

النبي ﷺ في أمرها، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1].

الحالة الثانية: الاستماع لأعداء الرعية، وحُججها:

يجب على القيادة الراشدة قبل إصدار الأحكام، وتنفيذ العقوبات، الاستماع لحُجج المُعاقبين، والنظر في أضرارهم، وتفهم أحوالهم، وهذا ما قصه القرآن الكريم لنا، من استماع نبي الله سليمان ﷺ لعذر الهمداني في سبب غيابه، والنظر فيه، قال تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْتِيَنَّهُ أَوْلِيَاتِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٧﴾ فَمَكَتْ عَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِي إِقْرَبِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٢﴾ قَالَ سَنْنَظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: 21-27].

الحالة الثالثة: الاستماع إلى نصح الرعية:

تتميز القيادة الراشدة بحُسن الاستماع إلى النصح الصادق من أفراد رعيته، والأخذ بما يعود على القيادة والأمة على حدٍ سواء بالخير والنفع، ويحقق المصلحة للجميع، في الدنيا والآخرة، ولهذا نجد نبي الله موسى ﷺ - قبل النبوة بعشر سنين⁽¹⁾ - يأخذ بنصيحة الرجل الساعي من أقصى المدينة، فيخرج، ويغادر أرض مصر على الفور، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 20-21].

(1) إنَّ تحديد المدة بعشر سنوات مستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْرًا فَإِنْ أْتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ [القصص: 27]، فعن سعيد بن جبيرة (رحمه الله) قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى ﷺ؟ قلت: لا أدري حتى أفنم على خبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس ﷺ فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل. صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن... (ح: 2684، ج: 3، ص: 181)، فدل ذلك على أن نبي الله موسى ﷺ قضى في مدين عشر سنوات، ثم توجه إلى مصر بعد انتهاء هذه المدة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: 29].

الحالة الرابعة: الاستماع لاقتراحات الرعية بما يُحقق مصالحها:

إنَّ منَ أعظم ما يُحقق للرعية الهدوء والطمأنينة والرضا، أن تُشارك في رسم مستقبلها، وأن تُضع المُقترحات التي تتناسب مع طموحاتها، وأهدافها، وهذا ما يجب على القيادة الراشدة أن تتفهمه، فنُطبقه، لهذا نجد ذا القرنين أعظم ملوك الدنيا، يستمع لشكوى الناس من فساد يأجوج ومأجوج، على الرغم من اختلاف لغتهم عن لغته، فيأخذ باقتراحهم في حلِّ مشكلتهم، فيبني لهم ردمًا، يقيهم من فساد يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ﴾ [الكهف: 93-95].

الواجب السابع: التَّعَفُّفُ عن أموال الرعية:

يجب على القيادة الراشدة أن تُتَعَفَّ عن أموال رعيته ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، إلا إذا دعت الحاجة المُلحَّة، وانعدم المال في يديها، ولم يبق أمامها مسلك آخر، وذلك بعد استقراغ الجهد، وسلوك كل المسالك، وفشل كل الأساليب للحيلولة دون الاقتراب من أموال الرعية؛ فيجوز لها أن تأخذ منه بالعدل، وما يُحقق المصلحة المرجوة، دون زيادة ولو كانت بسيطة، والشاهد على ذلك موقف ذي القرنين مع القوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا، حيث رفض أن يأخذ منهم شيئًا مقابل بناء السد لحمايتهم من يأجوج ومأجوج⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ﴾ [الكهف: 94-95].

الواجب الثامن: بناء الأمة الإسلامية القوية، والتمميَّة:

يجب على القيادة الراشدة العمل على بناء الأمة الإسلامية القوية؛ ولا يتأتى لها ذلك إلا إذا حققت القيادة الأمور الخمسة التالية:

الأول: العمل على الترابط الأخوي المتين بين أفراد الرعية:

إنَّ عملَ القيادة الراشدة على رصِّ الصفوف، وجمع الكلمة، وتدعيم الترابط الاجتماعي، ومنع أسباب الفرقة والاختلاف، أمرٌ ضروري لبناء أمة قوية متماسكة. إنَّ مهمة القيادة الراشدة منع التنازع بين المؤمنين؛ لأنَّ التنازع يُهدر طاقة أفراد الأمة، ويحوّل المجتمع إلى مجتمع خائر القوي، ضعيف الإرادة، لا يقوى على الوصول إلى هدفه المنشود، ولا يستطيع أن يقوم بالمهام الجسيمة الملقاة على عاتقه⁽²⁾، ولا يقع التنازع إلا في وجود

(1) انظر: من معالم القيادة والجنديَّة الصالحة في القرآن الكريم: للدكتور عرفات محمد عثمان: 21.

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (8: 2723-2724).

قيادة ضعيفة، لا تقوى على السيطرة، وفرض النفوذ، والنظام، عندها تتعدد جهات القيادة، وتتضارب مرجعيات التوجيه، ويسود المجتمع حالة من اتباع الهوى، وتقديم المصالح الشخصية على الحق⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَفَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأفعال:46].

الثاني: الحفاظ على المال العام للدولة:

يجب على القيادة الراشدة المحافظة على مقدرات الدولة، وممتلكاتها، ومواردها، وثرواتها، ولا تستأثر بشيء منها ليُضاف إلى خزينتها الخاصة، أو تخصُّ به فئة من أفراد الرعية على حساب فئات أخرى؛ محاباة، أو لقرابة، أو لموافقة المذهب والحزب؛ فإن ذلك كله يُعدُّ من قبيل السرقة والغلول، وإذا انتشر في الأمة، أدَّى بها إلى التعادي والتباغض؛ مما يؤدي إلى ضعف الأمة، وتفككها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مِمْنَ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:161]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:188].

الثالث: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب:

إنَّ من أهم أسباب ضعف الأمم، وانهيائها، هو اختيار القيادة الأشخاص الضعفاء للقيام بأعباء الدولة، وتسيير شؤونها، أو وضع الشخص صاحب الكفاءة في غير موضعه، فالواجب على القيادة بذل الجهد في البحث عن أصحاب الكفاءات، من أهل القوة والتقوى والصلاح، فتضع كل شخص منهم في المكان الذي يناسبه؛ ليكون أعظم إنتاجًا، وأجود بُنيانًا لصرح الأمة العظيم، لذلك نجد نبي الله سليمان عليه السلام، يبحث عن الشخص الأكثر كفاءة؛ ليأتيه بعرش بلقيس، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ [النمل:38-40].

الرابع: توحيد الرؤية لدى أفراد المجتمع:

يجب على القيادة الراشدة العمل على توحيد رؤية الأمة نحو تحقيق الهدف؛ لأنَّ الأمة لن تستطيع الوصول إلى ما تريد، وقد تعددت رؤيتها، وتضاربت مفاهيمها، واختلفت توجهاتها، فعلى القيادة أن تقوم بمسؤولياتها، وتوحد الرؤية، والمفاهيم، والتوجهات؛ لينطلق الجميع، فيحققوا أهدافهم كالبنيان المرصوص، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَّرْصُومًا﴾ [الصف:4].

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (3: 1528).

إنَّ الآيةَ الكريمةَ السابقة، وإن كان ظاهرها يفيد الاصطفاف للجهد في سبيل الله ﷻ، إلَّا أنَّ القرآنَ الكريمَ أنزله اللهُ ﷻ؛ لينيِّبني أُمَّةً، تقوم على منهجية واضحة محددة؛ وهي أمانة الحفاظ على الدين، ونشر منهجه في الحياة، وتطبيق نظامه في الناس، ولا يتصور الإسلام قائماً، إلَّا في إطار جماعة مننظمة؛ ذات ارتباط واحد، ونظام واحد، ورؤية واحدة، وهدف جماعي يسعى الجميع إلى تحقيقه، يعيش ويتحرك وفق منهج الله ﷻ. (1)

الخامس: بناء الجيش القوي:

يُعدُّ الجيش في كل دولة الحصن الذي تدفع به أعداءها، والقوة الضاربة في وجه كل من يعتدي عليها، والرُّكن الركين لفرض هيبة الأمة، وإيقاع الرهبة في قلوب الأعداء، وإيصال منهجها القويم إلى الناس (2)، وحفظ الصف الداخلي من التمزق، والاضطراب، والخروج عن سلطة القانون، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَمَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

إنَّ وجود الجيش القوي يُبهر الناس، ويدفعهم إلى الاستجابة للحق، والانقياد له؛ لأنَّ فريقاً من الناس لا يتبع الحق لوضوحه، أو لقوة حُجته، بل يتبعه لقوة أهله، وتمكنهم في الأرض؛ في أمور الدنيا والدين، ولطيب عيشهم، وسطوة سلطانهم، وهذا ما دفع بلقيس إلى الخضوع لنبي الله سليمان ﷺ، والإيمان معه (3)، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44].

الواجب التاسع: إقامة العدل:

"إنَّ إقامة العدل بين الناس؛ أفراد، وجماعات، ومجتمعات، ودول، ليست من الأمور التطوعية التي تُترك لمزاج الحاكم، أو الأمير وهواه" (4)، بل هي من أعظم واجبات القيادة الراشدة على الإطلاق؛ لأنها مأمورة به بنص القرآن الكريم، والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58].

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (6: 3552).

(2) انظر: القيادة والجنديّة في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: (1: 133).

(3) انظر: من معالم القيادة والجنديّة الصالحة في القرآن الكريم: للدكتور عرفات محمد عثمان: 13.

(4) النظام السياسي في الإسلام: للدكتور محمد أبو فارس: 46.

إنَّ الآيَةَ السَّابِقَةَ تُشِيرُ بِكُلِّ وَضُوحٍ إِلَى أَنَّ الحِكمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، دَلَالَةٌ عَلَى أَمَانَةِ الحَاكِمِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُقِيمَ العَدْلَ إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِالأَمَانَةِ، وَفِيهَا تَوْجِيهُ لِلحَاكِمِ أَنْ يَجْعَلَ حِكمَهُ قَائِمًا عَلَى العَدْلِ وَالحَقِّ؛ لِأَنَّهُ بِهِمَا أَقَامَ اللهُ ﷻ لَهُ مُلْكَهُ، وَحَفِظَهُ مِنَ الزَّوَالِ، وَلِأَنَّ الحِكمَ إِذَا صَاحَبَهُ ظَلَمٌ، أَوْ جُورٌ، أَدَّى إِلَى شِقَاءِ أَهْلِهِ، وَهَلَاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالعَذَابِ الأَلِيمِ فِي الآخِرَةِ⁽¹⁾، قَالَ تَعَالَى:

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[النمل:52-53].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْعَدْلِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...﴾ [الشورى:15]، فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَأْمُورًا بِالْعَدْلِ، فَإِنَّ وَجُوبَ العَدْلِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الحَاكِمِ أَكْثَرُ.

فائدة:

أَوْجَبَ اللهُ ﷻ عَلَى القِيَادَةِ أَنْ تَقِيمَ العَدْلَ بَيْنَ أَفْرَادِ رَعِيَّتِهَا، دُونَ النِّظَرِ إِلَى لُغَاتِهِمْ، أَوْ أُوطَانِهِمْ، أَوْ أَجْنَاسِهِمْ، أَوْ دِيَانَاتِهِمْ، أَوْ أَحْوَالِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ؛ فَالقِيَادَةُ الرَّاشِدَةُ تَحْكُمُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ المِتَخَاصِمِينَ، سَوَاءَ أَكَانَ المَحْكُومُ لَهُ بَعِيدًا، أَوْ قَرِيبًا، عَدُوًّا، أَوْ صَدِيقًا، غَنِيًّا، أَوْ فَقِيرًا، رُؤْسَاءَ، أَوْ مَرُؤُسِينَ⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرَضُوا فَلِئِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:135]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8].

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (3: 189).

(2) انظر: النظام السياسي في الإسلام: للدكتور محمد أبو فارس: 51.

المطلب الثاني: حقوق القيادة في القرآن الكريم:

تعرفنا في المطلب الأول على واجبات القيادة في القرآن الكريم، ومقابل قيامها بواجباتها، أوجب القرآن الكريم لها حقوقاً، جزاء ما بذلت من الجهد، والوقت، والفكر، في خدمة الإسلام وأهله، كما عدَّ القرآن الكريم الإهمال في حقوق القيادة، والتقصير في أدائها، مخالفةً شرعية، تُوقع صاحبها في الإثم والذنب، والعقوبة في الدنيا والآخرة، وألخص حقوق القيادة في النقاط الأربع التالية:

النقطة الأولى: السمع والطاعة:

إنَّ الطاعة من أهم قواعد الحكم في الإسلام، والإنسان العاقل لا يتصور وجود دولة قوية مستقرة، انعدمت فيها طاعةُ الرعية للقيادة، وعدلُ القيادة مع الرعية، وشورى حقيقية بين القيادة والرعية، فإذا ما قامت القيادة بمهمتها المنوطة بها، وجب على الرعية السمع والطاعة، أما إذا لم تُقم القيادة بالتزاماتها تجاه رعيّتها، فليس لها أن تنتظر من الرعية السمع والطاعة؛ بل عليها أن تنتحي عن مركزها لمن هو أقدر منها على حمل الأمانة. (1)

إنَّ سمع الرعية وطاعتها للقيادة، ليست من أجل وجاهتها، أو نسبها، أو مالها، أو خشية من فتكها، أو حباً في نفعها، بل لأنها أمر واجب على الرعية، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [النساء: 59].

إنَّ قضية السمع والطاعة للقيادة ليست مطلقة، ولكنها مقيدة بثلاثة قيود، وهي كالتالي: (2)
أ. أن تكون القيادة مُطبَّقةً لشرع الله ﷻ؛ وهذا القيد مستفاد من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

فقد أفادت الآية الكريمة أنَّه في حال الاختلاف، والتنازع، يكون فصلُ المسألة بالرجوع إلى كتاب الله ﷻ، وإلى سنة النبي ﷺ، فإن لم ترجع القيادة إلى حكم الله ﷻ، حُرمت من حقها في السمع والطاعة.

ب. أن تحكم بالعدل بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾ [النساء: 58].

(1) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي: لعبد القادر عودة: (1: 51)، النظام السياسي في الإسلام: للدكتور محمد أبو فارس: 67.

(2) انظر: النظام السياسي في الإسلام: للدكتور محمد أبو فارس: 71-75.

ج. ألا تأمر بمعصية، فمن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا فَقَالَ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا؛ أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ⁽¹⁾ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ).⁽²⁾

النقطة الثانية: المناصرة، والتأييد:

يجب على الرعية أن تُناصر القيادة، وتؤيِّدها؛ ما قامت القيادة بواجباتها؛ فمناصرة القيادة الراشدة، التي تدعو إلى الخير، وتأمُر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتجاهد في سبيل الله عز وجل، هو نُصرة للحق وأهله، وقد حضَّ القرآن الكريم الصحابة رضي الله عنهم على مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم، في دعوته، وفي صدعه بالحق بين أظهر المشركين، فإن لم ينصروه، فقد نصره الله عز وجل يوم الهجرة، وهو في أشدَّ حال، وأصعبه، قال تعالى: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْنُنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَنَّانٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40].

وقد وصف القرآن الكريم المؤيدين للحق، الحامين له، الناصرين لأهله، بالفلاح، قال تعالى: ﴿... فَأَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157].

ومناصرة القيادة الراشدة، وتأييدها، أجملها في الصور الثلاث التالية:⁽¹⁾

أ. المناصرة باللسان:

إنَّ أقل ما تقدمه الرعية للقيادة الراشدة، أن تُناصرها بلسانها؛ فتندب عن عرضها، وأن تُبين الحق الذي تتبناه، وتدعو إليه، وتُدافع عن القيادة، وتحميها من بطش الطغاة المجرمين، وقد ضرب مؤمن آل فرعون مثلاً رائعاً لهذه الصورة من المناصرة؛ إذ وقف محاجاً عن موسى عليه السلام، ومدافعاً عنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:28].

(1) الأثرة: تفضيل الإنسان نفسه على غيره، وأن يستأثر بخيرات الأمة لنفسه، ويمنعها عن بعم رعيته. انظر:

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: 5.

(2) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُكْرَهُنَّهَا: (ح: 7055، ج: 9، ص: 47).

(3) انظر: القيادة والجنديّة في الإسلام: لمحمد السيد الوكيل: 175-185.

ب. المناصرة بالسلاح:

أوجب القرآن الكريم على الرعية مناصرة القيادة الراشدة بالسلاح إن تيسر لها ذلك، وإن لم تفعل أثمت، وقد امتدح الله ﷺ المؤمنين الصادقين، الذين نصرُوا أنبياءهم بالسلاح، وثبتوا معهم في قتال أعدائهم، وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله ﷻ، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: 146-148].

فائدة: المناصرة بالسلاح تكون في ثلاثة مواطن وهي:

الأول: قتال الأعداء؛ سواء كان ذلك في جهاد الدفع، أو الطلب.

الثاني: قتال البغاة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَقَّ قِتَالِهَا إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ...﴾ [الحجرات: 9].

الثالث: قتال قطاع الطرق.

ج. المناصرة بالمال:

يجب على الرعية أن تُناصر القيادة الراشدة بالمال، متى احتاجت القيادة إليه؛ لأنَّ المناصرة بالكلمة، أو الروح، دون التضحية بالمال، وبذله في سبيل الله ﷻ، منقصة عظيمة في إيمان المسلم، حيث امتدح الله ﷻ المؤمنين الصادقين، وجعلهم في أعلى الدرجات، بما قدموا من أموالهم في سبيل الله ﷻ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: 20].

النقطة الثالثة: النصح، والتسديد:

إنَّ تقديم الرعية النصح للقيادة الراشدة، من أوجب حقوق القيادة على الرعية، يقول النبي ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ﷻ، ولكتابه، ولرسوله، ولإنمة المسلمين، وعامتهم).⁽¹⁾

وقد امتدح الله ﷻ الأمة الإسلامية بأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، وهما من أبواب النصيحة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذُوْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: 110].

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدين النصيحة: (ح: 55، ج: 1، ص: 74).

وقد اشترط العلماء في النَّاصِح شروطاً ثلاثة، وهي: (1)

أ. أن يختار الناصح الأسلوب الأمثل في النصيحة:

لابد للنَّاصِح أن يكون هَيِّئًا، لَيِّنًا، في تقديم النَّصِاح؛ مُراعِيًا مناسبة المكان، والزمان، والألفاظ، وإلا انقلبت النصيحة إلى ضدها، فإِنَّهُ رَبُّكَ بِمَا تَعْمَلُ الْبَشَرُ عَلِيمٌ - قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٤﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٥﴾﴾ [طه: 43-44]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: 125].

ب. أن يكون عالمًا بما ينصح:

إنَّ من شروط الناصح العلم بما يقول؛ فمنهج النبي ﷺ الدعوة على بصيرة، وعلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

ج. أن يكون عاملاً بما ينصح:

عاب القرآن الكريم على الذين يأمرون الناس بالخير، ثم لا يلتزمون بما يدعون إليه، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، كما عدَّ التشدُّق بالكلام الصالح دون فعله، أمرًا يمقته الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2-3].

النقطة الرابعة: المحافظة على هيبة القائد، وشخصيته:

حفظ الإسلام للقائد هيئته، واعترف له بفضله ومكانته، فلا يجوز للرعية بحال أن تتناول على القيادة، أو تُنقص من قدرها، أو تُحدث أمرًا دون الرجوع إليها، أو تتناحر وتتخاصم بين يديها، لهذا فقد نهى الله ﷻ المؤمنين أن يُقدِّموا بين يدي الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١﴾ وَاقْفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: 1].

إنَّ الإنقاص من قدر القيادة وهيئتها منهج المجرمين المفسدين على طول التاريخ، حيث استهزؤوا برُسلهم، وبالذعاة المخلصين من أقوامهم، فقد قصَّ علينا القرآن الكريم استهزاء قوم سيدنا نوح ﷺ به، قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ إِلَّا عَلَمٌ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا بِآيَاتِنَا كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: 27]، وهكذا المجرمون إلى زماننا هذا؛ هدفهم إحراج القيادة، وإفقادها هيئتها، والنَّيْل من شخصيتها.

(1) انظر: فقه الدعوة في إنكار المنكر: لعبد الحميد البلالي: 34-55.

الفصل الثاني

أنواع القيادة، وسماتها في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: القيادة الراشدة في القرآن الكريم؛ مفهومها، ومستلزماتها.
- المبحث الثاني: سمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: القيادة الفاسدة، مفهومها، وسماتها في القرآن الكريم.

المبحث الأول

القيادة الراشدة في القرآن الكريم؛ مفهومها، ومستلزماتها

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مفهوم القيادة الراشدة.
- المطلب الثاني: مستلزمات القيادة الراشدة.

المبحث الأول

القيادة الراشدة في القرآن الكريم؛ مفهومها، ومستلزماتها

تمهيد:

إنَّ المتدبّر لآيات القرآن الكريم، المتعلقة بموضوع القيادة، يجد أنَّها تدور حول نوعين من القيادة؛ القيادة الراشدة، والقيادة الفاسدة، وقد قمتُ بتحديد مفهوم كل من القيادة الراشدة، والقيادة الفاسدة، وبيان صفات كل منهما، مستندًا إلى الآيات القرآنية، وإلى أقوال المفسرين، والكتب ذات العلاقة بالموضوع.

وفي هذا المبحث سأتحدّث عن النوع الأول من القيادة في القرآن الكريم، وهو القيادة الراشدة.

تتأكد الحاجة إلى القيادة الراشدة في المراحل الصعبة، والأحوال القاسية، والظروف المظلمة التي تمر بالأمة الإسلامية، تلك القيادة الربانية الراشدة التي تقود الناس وفق منهج الله ﷻ، وتسوس أمورهم بما يحقق لهم السعادة والهناء في الدنيا والآخرة، وتخرجهم من ظلمات الشرك، والظلم، والجهل، إلى نور الإسلام، والعدل، والمعرفة⁽¹⁾، فما هي القيادة الراشدة، وما هي مستلزماتها؟، لذلك وقع هذا المبحث في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم القيادة الراشدة:

إنَّ مصطلح القيادة الراشدة مُكوّن من كلمتين؛ القيادة، والراشدة، ولقد بيّنتُ في المبحث الأول معنى القيادة لغةً واصطلاحًا⁽²⁾، وأبيّنُ هنا معنى الكلمة الثانية وهي (الراشدة).
أولاً: الرّشاد لغةً:

الأصل اللغوي لكلمة الراشدة مأخوذ من مادة (رَشَدَ)، يقول ابن فارس: "الراء والشين والذال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامة الطريق"⁽³⁾.

والرُّشْدُ بالضّمّ الصّلاح، وهو خلاف الغيِّ والضلال، وهو إصابة الصواب، ووضوح الأمر في الهدى والاستقامة، وإرشاد الناس إلى مصالحهم، فالرّاشِدُ: هو المستقيم على طريق الحق مع تصلّب فيه، ومنه الخلفاء الراشدون، والرّشيد: الذي حسنَ تَقْدِيرُهُ فيما قَدَّرَ، والمرشِدُ مقاصدُ الطرق، والطريقُ الرّشِدُ نحو الأَقْصَدِ.⁽⁴⁾

(1) مجلة البيان: العدد: 235: أحاديث القرآن والسنة عن القادة: لأنور قاسم الخضري: 4.

(2) انظر: المبحث الأول: 3.

(3) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (2: 398).

(4) انظر: لسان العرب: لابن منظور: (3: 175)، تاج العروس: لمرتضى الزبيدي: (8: 95-96)، المعجم

الوسيط: مجمع اللغة العربية: (1: 346)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس أحمد بن

محمد المقري الفيومي: (1: 227)، النهاية في غريب الأثر: لابن الأثير: (2: 117، 2: 543).

ثانيًا: الرِّشَاد اصطلاحًا:

هو إصابة الطريق السوي المستقيم، والثبات عليه، والتمسك به في كل الأحوال، وإرشاد الناس إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم، مع حُسْن التصرف في الأمور الحسية والمعنوية، الدينية والدنيوية، وسبيل تحقيق ذلك العلم الصحيح، والعمل الخالص لله ﷻ⁽¹⁾.
بعد التعرّف على معنى كلمتي القيادة الراشدة لغةً واصطلاحًا، نخلص إلى التعريف الاصطلاحي التالي:

القيادة الراشدة هي: القيادة الريانية القدوة، السائرة على نهج الأنبياء والمرسلين، القادرة على ابتكار الرؤية الواضحة المستقيمة السديدة الدائمة؛ لإرشاد الآخرين للحق والصواب، المستنهضة لهمم الرعية، المتحصلة على ثقة الرعية، واحترامها، وتعاونها المخلص؛ لتجعل منها جماعة منتجة خلّاقة؛ لتحقيق الأهداف المرسومة من القيام بوظيفة الأنبياء، وتحقيق العدل، وهي الحكمة في إدارة الأمور الطارئة، المتسلحة بالعلم النافع من علوم الدين والدنيا، بما يحقق مصالح الرعية في الدنيا والآخرة.⁽²⁾

المطلب الثاني: مستلزمات القيادة الراشدة:

إنّ المتأمل للتعريف السابق يتبيّن له أنّ للقيادة الراشدة ثلاثة مستلزمات وهي:

1. إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن تسلط النظم والفلسفات المادية إلى آفاق الحرية الحقة في رحاب الإسلام.⁽³⁾
2. "توقع الاحتمالات، إعادة ترتيب الأولويات، تغيير الخطة، وضع الحلول البديلة، توسيع دائرة الوسائل، تقدير المخاطر، اختيار الصف القيادي الثاني، وغير ذلك من القضايا، وفي ذلك توظيف لطاقتهم الكبيرة، واستغلال لمواهبهم المتعددة"⁽⁴⁾.
3. قيادة الجماهير نحو تحقيق الأهداف العليا للأمة الإسلامية، من خلال توجيهها إلى الأفعال الإيجابية التي تُمكن الجماهير من استغلال إمكاناتها، وتوظيف طاقتها، وضبط إيقاع الجماهير بما يضمن تحقيق الأهداف.⁽⁵⁾

(1) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (15: 267، 26: 237)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 800، خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (14: 8848)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (13: 307)، تفسير المنتخب: لجنة من علماء الأزهر: (2: 403)، التعريف: لمحمد الميناوي: 365.
(2) انظر: المؤلفات في الهامش رقم (1) الصفحة السابقة بالإضافة إلى: دليل التدريب القيادي: لهشام الطالب: 52، فنون القيادة المتميزة: لمحمد ديماس: 13.
(3) انظر: مجلة البيان: العدد: 235: أحاديث القرآن والسنة عن القادة: لأنور قاسم الخضري: 4.
(4) الجوانب الإعلامية في خطب النبي: لسعيد بن علي ثابت: (1: 33).
(5) بلاغ عام إلى الشارع الإسلامي: لعلاء سعد حسن. (مقال).

المبحث الثاني

سمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: السمات العقدية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: السمات الأخلاقية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: السمات الشخصية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.
- المطلب الرابع: السمات الإدارية للقيادة الراشدة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

سمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم

يحسن في هذا المقام، وقبل البدء ببيان سمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم، أن أذكر المقصود بالسمات القيادية؛ وهي: "المواهب الشخصية التي وهبها الله ﷻ لعباده، وقد تكون موروثية، وقد يكون بعضها مكتسباً" (1).

إن قيادة الناس أمانة كبيرة في عنق القيادة، وهي مهمة صعبة؛ لاختلاف الناس في عاداتهم وتقاليدهم وظروفهم المحيطة بهم، ومن أجل هذا وغيره فلا بد للقيادة أن تتمتع بصفات تؤهلها للمكانة العظيمة التي تبوأتها من سياسة أمور الناس، وقيادتهم للوصول إلى الأهداف المنشودة. (2)

إن الصفات التي تتصف بها القيادة الإسلامية الراشدة تميزها عن أي قيادة أخرى؛ لأن هذه الصفات تتبع من كونها قيادة مؤمنة بالله ﷻ، ملتزمة بتطبيق شريعته، هدفها أن تتعم هي ورعيته بالسعادة في الدنيا والآخرة.

وقد تناول الباحث سمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم من أربعة محاور:

1- السمات العقدية.

2- السمات الأخلاقية.

3- السمات الشخصية.

4- السمات الإدارية.

وفيما يلي بيانها بالتفصيل في المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: السمات العقدية للقيادة الراشدة:

إن العقيدة الصحيحة الراسخة لها أثر كبير في شخصية القائد، فهي تمثل النبض والشعاع لقائدٍ شامخٍ يتقد همة وعطاءً، فمن أجل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يضحي؛ فهي منهج حياته، وهدفه، وضابطه في كل مجالات الحياة. (3)

وتحت هذا المحور يمكن رصد السمات السبع التالية:

السمة الأولى: الإيمان بالله ﷻ:

إن الإيمان بالله ﷻ هو اللبنة الأساسية لبناء قيادة إسلامية راشدة، فهو القضية الأولى في حياة كل مسلم، وهو الحقيقة الكبرى في هذا الكون التي لا تستقيم الحقائق الكونية بدونها،

(1) القيادة العسكرية في ضوء القرآن الكريم: للواء المتقاعد: فيصل بن جعفر بالي: 7.

(2) انظر: ثلاثون وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً: لأمير بن محمد المدري: 7.

(3) انظر: تنمية وتفعيل الشخصية القيادية في السنة والسيرة النبوية: لهداية الله أحمد الشاش: 18.

وهو الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، ومن أجلها بعث الله ﷻ الرسل مبشرين ومنذرين. (1)
وتظهر هذه السمة في كثير من آيات القرآن الكريم، سأكتفي بذكر شاهدين من القرآن
الكريم؛ للاختصار، ولظهور المعنى بهما.

الشاهد الأول:

تحدث فيه القرآن الكريم عن النبي ﷺ، وعن المؤمنين، في معرض مدحهم بالإخبار عن
صفات الخيرية فيهم، وهي سبب شرفهم، وعلو شأنهم وقدرهم عند الله ﷻ، حيث مدحهم
بالتصديق بأركان الإيمان جميعها، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

والمعنى: "أن رسول ﷺ صدق وأيقن بما أوحى إليه من ربه، وحق له أن يُوقن،
والمؤمنون كذلك صدقوا وعملوا بالقرآن العظيم، كل منهم صدق بالله ﷻ رباً وإلهاً متصفاً بصفات
الجلال والكمال، وأن لله ﷻ ملائكة كراماً، وأنه أنزل كتباً، وأرسل إلى خلقه رسلاً نؤمن بهم
جميعاً" (2)، وأن الناس جميعاً مصيرهم إلى الله ﷻ في يوم القيامة، وأنه سيحاسب كل إنسان
حساباً عادلاً في هذا اليوم.

الشاهد الثاني:

إن عيسى عليه السلام أعلن لبني إسرائيل قراره الحاسم بالإيمان بالله ﷻ، فقال ﷺ على لسانه:
﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: 51]، ومن ثم إعلان الحواريين الإيمان
بالله ﷻ دليل على صدق انتمائهم للإسلام، وتصديقهم بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿... قَالَكُمُ
الْحَوَارِيُّونَ مَنَ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52، 53].

فقد علل الحواريون نصرتهم لعيسى عليه السلام بإيمانهم بالله ﷻ؛ حيث طلبوا من عيسى عليه السلام
أن يكون شاهداً على إيمانهم وإسلامهم، كما توجهوا لله ﷻ بإعلان إيمانهم، وبيان دليل صدقهم
في أقوالهم بمتابعة النبي عيسى عليه السلام، وأتبعوا ذلك بالدعاء لله ﷻ أن يكتبهم مع الشاهدين؛ الذين
يشهدون له ﷻ بالوحدانية، العاملين بشريعته وأحكامه، المتجنبيين لنواهيه وحدوده.

وقد أحسن الحواريون في ترتيب إعلانهم بالإيمان بالله ﷻ ومقتضياته؛ من الالتزام
بالعمل الصالح، واتباع الرسل، وهذا يدل على حسن الأدب في الطرح والتوجه إلى الله ﷻ؛ حيث
قدّموا بين يديّ ضراعتهم الاعتراف لله ﷻ بالربوبية، ثم أعلنوا الإيمان بالله ﷻ، والتصديق بما

(1) انظر: أضواء على طريق النجاة: للدكتور عدنان النحوي: (40- 45).

(2) التفسير الميسر: لمجموعة من أساتذة التفسير تحت إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: 49.

أنزل على رسله، والالتزام بنهج النبي والأخذ بسنته، ثم تضرعوا له ﷺ أن يجعلهم من عباده المتقين الراشدين.(1)

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يتبين له وجوب اتصاف الفرد المسلم بالإيمان فضلاً عن القائد؛ لأن الإيمان بالله ﷻ هو أصل كل عمل، فهو نقطة البدء في حياة المسلمين نحو تحقيق أهدافهم المنشودة في الدنيا، ودخول الجنة، والبعد عن النار في الآخرة، وينبغي على الأمة ألا تُصدّر لقيادتها إلا القائد المؤمن بالله ﷻ، المستتبع ذلك بما يصدق إيمانه من العمل الصالح.

السمة الثانية: الثقة بالله ﷻ:

إن من أهم سمات القيادة الراشدة الثقة بالله ﷻ؛ فهي صفة الأولياء، وسبب نجاة العبد من الهلاك، ونيله أفضل العطايا والمكافآت في الدنيا والآخرة، والدليل على قوة الإيمان، والدعامة القوية للقيام بأداء الأمانة، وتكاليف الإسلام، وأهم أسباب النصر والتمكين على الأعداء الكافرين، فهي تُوجد القوة في قلوب المؤمنين، وعدم المبالاة بالأعداء.(2)

ولا تغييب الثقة بالله ﷻ إلا من قلب ضعيف الإيمان، شاكُّ بقدرته الله ﷻ، امتلاً بالنفاق، وسيطرت عليه الظنون الفاسدة.

ومواقف الثقة بالله ﷻ التي ذكرها القرآن الكريم متعددة؛ أذكر منها هذه الخمسة:

1. إبراهيم عليه السلام أسكن زوجته وولده في أرض لا ماء فيها ولا أنيس، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].
2. أم موسى عليه السلام وثقت بوعده الله ﷻ؛ بإرجاع ولدها إليها، فألقته في اليم وهو رضيع صغير، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحزني إِنَّا نَرَاهُ إِلَيْنَا نَحْمَدُهِ وَنَحْمَدُكَ﴾ [القصص: 7].
3. موسى عليه السلام وثق بنصر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قال كلاً إن معي ربي سيهدين ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 61-63].

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (2: 120).

(2) انظر: حقائق التفسير: لمحمد بن الحسين السلمي: (1: 453)، تفسير النسفي: لعبد الله بن أحمد النسفي

(3: 271)، مفاتيح الغيب: للإمام الرازي: (1: 340)، روح المعاني: (4: 67)، بيان المعاني: للشيخ

العلامة عبد القادر ملاحويش: (5: 324).

4. الفئة المؤمنة القليلة مع طالوت وثقت بنصر الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَّرُوا لِبَحْلٍ وَجُنُودِهِمْ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَثَبَّتْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250].

5. النبي محمد ﷺ وثق بالله ﷻ وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

السمة الثالثة: التوكل على الله ﷻ:

إن القيادة الراشدة مع أخذها بالأسباب البشرية؛ من تخطيط وإعداد، وتوزيع المهام، ومتابعة الأعمال، وتمتعها بالكفاءة الإدارية لإنجاح الأعمال الموكلة بها، إلا أنها مع كل ذلك لا تعتمد على قدراتها وقوتها وذكائها، فهي تطلب العون والتوفيق دائماً من الله ﷻ الذي بيده كل شيء، شعارها قوله تعالى: ﴿...وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

إن التوكل على الله ﷻ هو ثقة العبد بربه في جميع الأحوال والظروف، واستسلامه لقضاء الله ﷻ وقدره، والإيقان بأن قضاءه ﷻ ماضٍ، فيأخذ بالأسباب التي أمر الله ﷻ بها، ويتبع النبي ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب، فقال تعالى: ﴿...وَكَزَّوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ...﴾ [البقرة: 197].

أمر الله ﷻ المؤمنين بالترود في أسفارهم، وحرّم الإسلام على المسلمين أن يلقوا عدوهم بغير سلاح ولا عُدّة، ويجعلوا ذلك توكلاً؛ فقد أخذ النبي ﷺ بكل الأسباب المادية في الهجرة، كما لبس في الحرب درعه، ووضع الخطط، وأخذ بالمشورة في معاركه وغزواته الحربية.⁽¹⁾ "إن سر التوكل وحقيقته؛ هو اعتماد القلب على الله ﷻ وحده؛ فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها، والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله ﷻ مع اعتماده على غيره، وركونه إليه، وثقته به، فتوكلُ اللسان شيء، وتوكل القلب شيء".⁽²⁾

السمة الرابعة: الاعتصام بالله ﷻ:

إن القيادة الراشدة معتصمة بالله ﷻ، موقنة بمعيته ﷻ لها في السلم والحرب، واليسر والعسر؛ لأنها تعلم أن الأمر كله بيد الله ﷻ، لا راداً لقضائه، ولا معقّب لحكمه، صاحب العزة

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم: للقرطبي: (4: 189)، الهداية إلى بلوغ النهاية: لمكي بن أبي طالب: (4: 2728).

(2) الفوائد: لابن قيم الجوزية: 87.

التي لا تُغلب، والقدرة التي لا تُقهر؛ ولذلك فهي لا تستسلم لليأس، أو الخوف، أو الحزن، وقد عرض لنا القرآن الكريم نماذج مشرقة للقيادة المسلمة الراشدة في اعتصامها بالله ﷻ، تُظهر قوة رسوخ العقيدة الصحيحة في قلبها وسلوكها، منها النموذجان التاليان:

النموذج الأول: اعتصام النبي ﷺ، وصحابته الكرام بالله ﷻ في غزوة حمرأ الأسد⁽¹⁾:

فقد أبدى بعض المشركين النصيحة للمؤمنين، تحمل في طياتها التخويف لهم بعدم الخروج لقتال المشركين؛ حيث إن أعداد المشركين كبيرة لا طاقة للمسلمين بها، لكن هذا التخويف لم يفت في عضد المسلمين؛ لأنهم يعلمون أن القوة والخير، والنجاح والفلاح، والسلامة من السوء في الاعتصام بالله ﷻ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿173﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ أَرْضِهِمْ لَم يَضِلُّ لَهُمْ سَبِيلٌ لِّمَا وَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ وَرَضُوا بِاللَّهِ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَأَسْلَبُوا إِلَهُهُم بِالْحَقِّ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿174﴾﴾ [آل عمران: 173-174].

فقد زاد هذا التخويف المؤمنين إيمانًا و يقينًا وتصديقًا بوعد الله ﷻ لهم بالنصر، ولم يُضْعَفْ من ثقتهم بأنفسهم، ولم يَنْتَهَبْ عَنْ عَزْمِهِمْ، فساروا إلى حيث شاء الله ﷻ، وقالوا: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، فالله ﷻ حسبنا وكافينا، فهو نعم المولى ونعم النصير والوكيل⁽²⁾، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

النموذج الثاني: لجوء مؤمن آل فرعون إلى الله ﷻ:

قصَّ القرآن الكريم الموقف الرائع لمؤمن آل فرعون في صدِّعه بإيمانه بالله ﷻ، ونصحه لقومه باتباع موسى ﷺ، أو ترك موسى ﷻ، ودعوته، وتحذيرهم من عاقبة الكفر والطغيان، ثم اختتم نصحه وتحذيره لهم بخاتمة بليغة تدل على أمرين:

الأول: إشفاقه الشديد على قومه لعدم استجابتهم للحق، قال تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ...﴾ [غافر: 44].

الثاني: تفويض أمره إلى الله ﷻ، واعتصامه به ﷻ فيما يتوقع من مكر قومه به؛ ليلحقوا به الأذى والضرر جزاء نصحه وخوفه عليهم، قال تعالى: ﴿...وَأَفْرِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: 44].

(1) وقعت غزوة حمرأ الأسد في اليوم التالي لغزوة أحد، في يوم الأحد الثامن من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، وحمرأ الأسد مكانٌ يبعد عن المدينة المنورة ثمانية أميال، وعسكر فيه النبي ﷺ ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة المنورة، وهي غزوة لم يحدث فيها قتال، وتُعد متممة لغزوة أحد، وليست بغزوة مستقلة. انظر: الرحيق المختوم: لصفي الرحمن المباركفوري: 253-255.

(2) انظر: لمجموعة من أساتذة التفسير تحت إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: 72.

فقد كانت عاقبة الإيمان، والجهر بالحق، والاعتصام بالله ﷺ، هي الحفظ من الله ﷻ له؛ حيث وقاه الله ﷻ من سوء مكرهم، ونَجَّاه من شرورهم، وأنزل بأعدائه الظالمين (فرعون وجنده) أشد العذاب⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [غافر:45].

فائدة:

إنَّ المؤمن الذي يقوم بواجبه تجاه الدين الحق يتحصل على حفظ الله ﷻ، ونصرته ومعيته سبحانه، ويرُدُّ الله ﷻ عنه كيد الأعداء الكافرين، والمنافقين الحاقدين.

السمة الخامسة: الاستجابة لأمر الله ﷻ:

إنَّ الاستجابة لأمر الله ﷻ من أهم مقتضيات العقيدة الصحيحة السليمة، وهو ما يجب أن تتصف به القيادة الراشدة؛ من الانقياد إلى أمر الله ﷻ، والالتزام به، والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:36].

فلا ينبغي ولا يليق بمن يتصف بالإيمان، إلاَّ الإسراع في الاستجابة لأمر الله ﷻ؛ للحصول على مرضاة الله ﷻ، ومرضاة رسوله ﷺ، والهرب من سخط الله ﷻ، وسخط رسوله ﷺ، وامتنال الأوامر، واجتناب النواهي⁽²⁾، وهذا ما يظهر واضحًا في مواقف القيادة الراشدة في القرآن الكريم، حيث الاستجابة المطلقة، والانقياد التام لحكم الله ﷻ، وقد اخترت موقفاً يشتمل على جميع معاني الاستجابة، والاستسلام لأمر الله ﷻ، وهو:

إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) يستجيبان لأمر الذَّبْحِ:

إنَّ قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام تدلُّ على أعلى مراتب الاستجابة لأمر الله ﷻ، والانقياد له؛ فمع شدة الأمر على كلِّ منهما، كان الامتنال الصادق من الطرفين:

أولاً: امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر الله ﷻ، والشروع في أمر الذبح، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ﴿وَتَدَبُّنَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ يُرْسِئُ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 103-105].

ثانياً: امتثال إسماعيل عليه السلام لأمر الله ﷻ، حيث مكن أباه منه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ آتِيَّكَ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ بَتَّابِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (12: 295).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 665.

إنَّ الخير العميم، والجزاء العظيم في الانقياد لأمر الله ﷻ، رغم اشتماله في الظاهر على الشدة، والمشقة على النفس الإنسانية، مع التضحية البالغة؛ فقد استحقا الثناء الكبير من الله ﷻ، والتكريم، والرعاية⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّابِرْهِمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتَ الرُّبِّيًّا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْبَتُوا الْمُنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات: 103-111].

السمة السادسة: الاستسلام لقضاء الله ﷻ وقدره:

إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، فمن لم يؤمن بهذه العقيدة لا يكون مؤمناً، فالإيمان بالقضاء والقدر من صميم العقيدة الإسلامية، ففي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما سُئِلَ النبي ﷺ عن الإيمان قال: (الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)⁽²⁾.

إنَّ القيادة الراشدة مؤمنة بالله ﷻ، مستسلمة لقضائه ﷻ وقدره الحالُّ بها من خيرٍ أو شر، وذلك بعد أخذها بالأسباب المشروعة حسب الطاقة والوسع، سبيلها قول الله ﷻ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

إنَّه لن يصيب المؤمنين إلا ما كتبه الله ﷻ، وأجبه عليهم بوعده في كتابه، وما قدره لنظام سننه في خلقه؛ ولذلك فالقيادة الراشدة منهجها في سياستها لأمر الناس عدم اليأس عند الشدة، وعدم البطر عند النعمة؛ لأنها تعلم أنَّ ما أصابها من خير أو شر إنما هو بتقدير الله ﷻ لمصلحة المسلمين في ذلك، وإنما هي سبب لجلب الخير أو دفع الشر⁽³⁾، موقنة بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 139-140].

إنَّ إيمان القيادة بالقضاء والقدر يُكسبها قوة الشكيمة، ومضاء العزيمة، وشجاعة القلب، ورشاد العقل؛ لأنها اطمأنت إلى أنَّ ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها.⁽⁴⁾

(1) انظر: التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: (4: 223).

(2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، (ح: 8، ج: 1، ص: 36).

(3) انظر: تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (10: 556-557)، التحرير والتنوير: للظاهر بن عاشور: (10: 223).

(4) انظر: الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان: للدكتور عبد اللطيف بن خالد آل موسى: 471.

السمة السابعة: الولاء والبراء:

إنَّ عقيدة الولاء والبراء أصل من أصول الإسلام، فهي الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي العملي للعقيدة الإسلامية، والولاء والبراء مظهران من مظاهر إخلاص المحبة لله ﷻ، ثم لأنبيائه وللمؤمنين، " ولن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء والبراء ممن يستحق البراء"⁽¹⁾؛ "فإنَّه لا يمكن أن يستقر في قلب واحد الإقرار بالتوحيد، وأنَّه دين الله ﷻ ثم يعاديه، ويعرف أنَّ الشرك هو الكفر، ثم يواليه، ويذبُّ عنه وعن أهله باللسان والمال والسنان؛ فهذا الفعل من أعظم الذنوب، وأكبر الآثام"⁽²⁾.

إنَّ القيادة الراشدة ولأوها الأول لله ﷻ، ثم لرسوله ﷺ، وللمؤمنين، ومن هذا الولاء ينبثق أي ولاء آخر، وأي عهد، وأي محبة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: 55-56].

إنَّ ولاية الله ﷻ لا تُدرَكُ إلا بالإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 177].

إنَّ كلَّ مؤمن تقي فهو لله ﷻ ولي، ومن كان ولياً لله ﷻ فهو ولي لرسوله ﷺ، وعلامة موالاة الله ﷻ، ومولاة نبيه ﷺ تولي من تولاهما؛ وهم المؤمنون حقاً، الذين آمنوا ظاهراً وباطناً، سراً وعلانية، وأخلصوا العبادة لله ﷻ، فالتزموا أمره، واجتنبوا نهيه، وأحسنوا إلى خلقه.⁽³⁾

المطلب الثاني: السمات الأخلاقية للقيادة الراشدة:

لقد اعتنى الإسلام بالأخلاق، وبالذعوة إليها، عنايةً كبيرةً، وامتدح القرآن الكريم صاحب الأخلاق الحميدة، فقال الله ﷻ مادحاً النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)⁽⁴⁾.

وتظهر أهمية اتصاف القيادة الراشدة بأخلاق الإسلام؛ من حيث إنَّها تُمثِّل القدوة لرعيتهَا، ومحط أنظار الجميع، ورعيتهَا تبع لها، كما أنَّ اتصافها بالأخلاق الحميدة أدعى لاستجابة الرعية لأوامرها وأحكامها.

(1) الولاء والبراء في الإسلام: لمحمد بن سعيد القحطاني: 13.

(2) الدرر السننية في الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل، ومسائل لعلماء نجد الأعلام: (1: 96).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 236.

(4) السنن الكبرى: للبيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي: لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها...: (ح: 21301، ج: 10، ص: 191)، والحديث صحيح، وإسناده قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعه، وهو قوي الحديث. انظر: مسند الإمام أحمد: بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون: (ح: 8952، ج: 14، ص: 513).

يقول الماوردي: "فحقّ على ذي الإمرة والسلطان أن يهتم بمراعاة أخلاقه، وإصلاح شيمه؛ لأنها آلة سلطانه، وأُسُّ إمرته"⁽¹⁾.

وتتحصل القيادة الراشدة على الأخلاق الحميدة بالزّام نفسها بريضة النفس، رياضة تقويم وتهذيب، وتدريب، وتدريب وتأديب.

وتحت هذا المحور يمكن رصد السمات العشر التالية:

السمة الأولى: العدل:

إنّ العدل من صفات الله ﷻ، وقد أمر به في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾ [النحل:90]، وهو من أهم صفات القيادة الراشدة؛ للمحافظة على استمرار حكمها وقيادتها للناس، وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع، وإصلاح حال الرعية، ولإيصال الحقوق إلى أصحابها كاملة غير منقوصة، فهو أساس الملّك وركنه.

فيجب على كلّ من حكمه الله ﷻ في الناس، وملّكه بالسلطة رقابهم، أن يجعل العدل أُسَّ مُلّكه؛ لما فيه من مصلحة للعباد، وعمارة للبلاد، وبالعدل يشكر القائد الله ﷻ على نعمة الحكم والسلطان.⁽²⁾

وينبغي على القيادة الراشدة مراعاة العدل في جميع أحوالها ومواقفها؛ أخصها في البنود الستة التالية:

1. العدل في الحكم والقضاء بين الناس:

أمر الله ﷻ كل من يتولى قضية أن يحكم فيها بالعدل والقسط؛ لأنّ العدل من العلامات الدالة على أمانة الحاكم، أو القاضي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58].

2. العدل في القول:

أوجب الله ﷻ على كلّ من يشهد شهادة، أو يحكم حُكْمًا بين الناس، أن يقول عدلاً، مع من يُحب، ومع من يكره، لأنّ العدل واجب في الأقوال، كما هو واجب في الأفعال، قال تعالى: ﴿... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ لِيُتَّقِيَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:152].

وكما أنّ العدل مطلوب في الحديث عن أهل الصلاح، فهو مطلوب في الحديث عن أهل المعاصي والبدع؛ فالإسلام يأمر المسلم بقول كلمة الحق والعدل، وأن يُعطي كل ذي حق حقه⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء:183].

(1) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: لشيخ الإسلام محمد بن إبراهيم بن جماعة: 69.

(2) انظر: تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (8: 192)، في ظلال القرآن: لسيد قطب: (3: 1233)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 280.

(3) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك: لأبي الحسن الماوردي: 4.

3. العدل مع الأعداء:

أمر القرآن الكريم المؤمنين أن يكونوا في أخلاقهم، وصفاتهم، قوامين لله ﷻ، شهداء بالعدل في أوليائهم، وأعدائهم، وألا يجوروا في أحكامهم، وأفعالهم، فيتجاوزوا ما قرره الشرع في أعدائهم؛ لعداوتهم إيّاهم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

4. العدل مع المخالفين، وأصحاب المعاصي من المسلمين:

إنّ آية سورة المائدة السابقة تُشير إلى هذا المعنى بقوة، ووضوح؛ حيث نهى الله ﷻ المؤمنين عن أن يحملهم بغضهم للمشركين على عدم العدل معهم، فمن باب أولى أن تعدل القيادة الراشدة في أقوالها، وأفعالها، مع أهل المعاصي والفسوق، والمبتدعين المتأولين من أهل الإيمان، وألا يحملها بغضها إيّاهم على ظلمهم، والجور عليهم.⁽²⁾

5. العدل مع الناس في المعاملات والأموال، وإعطائهم كامل حقوقهم:

يجب على القيادة الراشدة معاملة الرعية بالعدل في المعاملات الخدمية، والأموال، فقد عاب الله ﷻ المطففين الذين يبخسون الناس أشياءهم عند العطاء، ويستوفون من الناس عند الأخذ، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ؕ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ؕ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 1-3].

ويُفهم من الآية أنّ القيادة الراشدة كما تُحب من الرعية أن تؤدي ما عليها من التزامات تجاه قيادتها؛ من السمع والطاعة، والتزام القانون والنظام، فيجب عليها أن تعطيهم كامل حقوقهم، ومتطلباتهم في المعاملات الخدمية والمالية كافةً.

6. قبول الحق من قائله؛ مهما كانت مكانته، أو ديانتته:

إنّ القيادة الراشدة تقبل الحق من المسلم الصادق، ومن المسلم المتأول أو المبتدع، وحتى من الكافر، ويمكن الاستدلال على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ؕ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي ؕ إِلَّا أَن يَهْدِيَٰ فَا لَكُرْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: 35].

إنّ الآية، وإن كانت في سياق الحديث عن هداية الله ﷻ الناس إلى الحق والرشاد، مقابلةً بما يكون من معبودات المشركين من عدم القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وأنّ

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (10: 95).

(2) انظر: الاستقامة: لابن تيمية: 38.

الهادي إلى سواء السبيل هو الأحق بالاتباع من الذي لا يستطيع هداية نفسه، فإنّها تشير إلى ضرورة الاستجابة للحق، وأنّ الحق يجب على المؤمن الصادق قبوله، بغضّ النظر عن قائله. يقول ابن تيمية: " والله ﷻ قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي، أو نصراني، فضلاً عن الرافضي، قولاً فيه حقٌّ أن نتركه أو نرده كله، بل لا نردُّ إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق"(1).

السمة الثانية: الصدق:

إنّ الصدق من أهم الأخلاق التي يجب على القيادة الراشدة الاتصافُ بها، فالصدق علامة المؤمن الحقيقي المخلص، ودليل على رسوخ الإيمان في القلب، والالتزام بالحق، وهو خصلة محمودة، وسجية مدوحة، تُعدُّ أصلاً لبعض الأخلاق الحميدة. يقول الحارث المحاسبي(2): "واعلم (مرحك الله) أنّ الصدق والإخلاص أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر، والقناعة، والزهد، والرضى، والأنس"(3).

وقد أمر الله ﷻ المؤمنين بالصدق في جميع أحوالهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

أي: اتبعوا ما أمر الله ﷻ به بقدر استطاعتكم، وانتهوا عمّا نهى الله عنه ، وكونوا بذلك من جماعة الصادقين المعتصمين بالصدق في جهادهم، ووعودهم، وعهودهم، وأقوالهم، وتوبتهم، ولا تكونوا من المنافقين الذين يبررون معاصيهم وذنوبهم بالحلف الكاذب.(4)

إنّ صدق القيادة الراشدة له وجوه متعددة أجمالها في الأربعة التالية:

الأول: موافقة أقوالها لأفعالها:

أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بأن تكون أفعالهم مطابقة لأقوالهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: 2،3]، وقد عاب القرآن الكريم في المقابل على المنافقين مخالفة أفعالهم لأقوالهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن

(1) منهاج السنة النبوية: لابن تيمية: (2: 342).

(2) هو الحارث بن أسد المحاسبي البصري، وكنيته أبو عبد الله، من علماء مشايخ القوم بعلم الظاهر، وعلوم المعاملات والإشارات (الباطن)، وكان من أهل الزهد، وللحارث كتب كثيرة في الزهد، وفي أصول الديانات والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وغيرهما، وكتبه كثيرة الفوائد جمة المنافع، وهو أستاذ أكثر البغداديين؛ مات ببغداد، سنة (243هـ)، اختلف الناس فيه ما بين مادح، وقادح. انظر: طبقات الصوفية: لمحمد بن الحسين السلمي: 58، تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (9: 104-110).

(3) رسالة المسترشدين: للحارث المحاسبي: 170.

(4) انظر: تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (11: 72).

يُعِجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿ [البقرة: 204، 205].

إنَّ المنافقين يُقْرُونَ بالإيمان في العلانية، ويبطنون الكفر والجحود، والله ﷻ مطلع على ما في قلوبهم، فأفعالهم تُظهر ما يبطنون، حيث إنَّهم إذا فارقوا المؤمنين سَعَوْا في الأرض ليفسدها بإهلاك الحرث والنسل؛ فيقتلون دوابَّ الناس، ويحرقون زرعهم، ويقطعون الأرحام. قال الكلبي⁽¹⁾: "نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي⁽²⁾، وكان شديد الخصام؛ فأما إهلاكه الحرث والنسل فيعني قطع الرحم الذي كان بينه وبين ثقيف؛ فبينهم ليلاً فأهلك مواشيهم، وأحرق حرثهم، وكان حسن العلانية، سيئ السريرة"⁽³⁾.

الثاني: موافقة الظاهر للباطن:

إنَّ القيادة الراشدة يجب أن يوافق ظاهرها باطنها، بل لا بد أن يكون سرها أفضل من علانياتها، في كافة أحوالها ومواقفها، كما يجب عليها أن تحذر من مخالفة ظاهرها باطنها؛ لأنَّ هذه الحال هي حال المنافقين في كل زمان ومكان، أن تخالف ظواهرهم بواطنهم، فيظهرون خلاف ما يبطنون؛ حيث يعلنون الالتزام والطاعة المطلقة أمام المؤمنين، مع إضمارهم في أنفسهم المخالفة والعصيان، فإذا خلا بعضهم إلى بعض أظهروا كيدهم على الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِكُنُوزِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿ [البقرة: 14].

ونظير الآية السابقة قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ [النساء: 81].

- (1) الكلبي: العلامة الإخباري، أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر، وكان أيضا رأسًا في الأنساب، إلا أنه شيعي متروك الحديث، توفي سنة: 146هـ. سير أعلام النبلاء: للذهبي (6: 248-249).
- (2) هو الأخنس بن شريق بن عمرو الثقفي، أبو ثعلبة حليف بني زهرة اسمه أبي، وإنما لُقِّب الأخنس؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أنَّ أبا سفيان نجا بالعيير، فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفات، وشهد حنينًا، ومات في أول خلافة عمر ﷺ، وروي أنَّ الأخنس جاء إلى النبي ﷺ، فأظهر الإسلام، وقال: الله ﷻ يعلم أنني صادق، ثم هرب بعد ذلك وارتد، فمر بقوم من المسلمين، فحرق لهم زرعًا، وقتل حمراء، فنزلت الآية، وقد يكون رجع إلى الإسلام مرَّةً أخرى، وقيل: لم يثبت له إسلام، والله ﷻ أعلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: (1: 38).
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده: (ح: 3961، ج: 4، ص: 299)، وإسناده حسن، تفسير القرآن العزيز: لأبي عبد الله محمد بن أبي زمنين المرِّي: (1: 213).

الثالث: تصديق كل ما من شأنه التصديق من الحق:

أخبر القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام، وإدريس عليه السلام، بأنهما اتصفا مع صدق القول والفعل، بالتصديق بالحق، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 56].

الرابع: الصدق في الوعد:

امتدح الله ﷻ إسماعيل عليه السلام بسجية الصدق في الوعد، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54].
السمة الثالثة: الأمانة:

إنَّ خُلُقَ الأمانة هو الركن الرئيس في حياة القيادة الراشدة؛ لأنَّ ثقة الرعية بالقيادة تُبنى عليه، ولأنَّه يَحْمِلُ بين ثناياه معنى التكليف للقيادة الراشدة تجاه رعيته، وهو يُظهِر مدى قوة الإيمان لدى القيادة الراشدة، ومدى قيامها بواجبها تجاه الرعية؛ التزامًا منها بأمر الله ﷻ لها بأداء الأمانة التي حملتها؛ من سياسة أمور الناس، والسهر على مصالحهم، والقيام بحقوقهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النساء: 58].

وقد رجَّح الإمام الطبري أنها في ولاة الأمر؛ حيث قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: هو خطاب من الله ﷻ ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية؛ يدل على ذلك ما وَعَظَ به الرعية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [النساء: 59]، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الزاعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة"⁽¹⁾.

إنَّ الأمانات التي يجب على القيادة الراشدة أدائها متعددة، أُلْخِصَهَا في الثماني التالية:
الأولى: القيام بأمانة الدين؛ بإقامة أركانه، وشعائره؛ من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وأمرٍ بالمعروف، ونهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41].
الثانية: أداء حقوق الرعية ورعاية مصالح العباد؛ من قسمة أموال الفيء والغنائم بينهم بالحق، ورد المظالم لأصحابها، والعدل بينهم في القضاء والحكم.⁽²⁾

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (8: 492).

(2) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: (2: 71).

الثالثة: الشهادة بالحق وعدم كتمان الحقائق عن الرعية، والبعد عن الكذب والخيانة في القول؛ حيث تقدّم في سورة النساء ذكر خيانة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وشهادتهم بأن عبدة الأصنام من قريش أهدى سبيلاً من دين النبي محمد ﷺ (الإسلام)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِيسَابِئَةَ مِنْ آلِ كَثِبٍ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء: 51]، ذكر أنه ﷺ أتى هذه الأمة أمانة الملك والحكم، المقتضى شهادة قادتها بالحق، وعدم كتمان الحقائق في حق الأصدقاء والأعداء.⁽¹⁾

الرابعة: اختيار الموظفين الأمانة الأتقياء من أهل الصلاح والكفاءة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ فالأمانة تقتضي من القيادة الرشيدة أن تختار للأعمال أحسن الناس قياماً بها، وعدم العدول عنهم إلى غيرهم لهوى أو رشوة أو قرابة، وإلا تكُن قد ارتكبت بتولية العاجز والعدول عن القادر خيانة للأمة⁽²⁾، ففي الحديث الذي يرويه ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ، وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مِنْهُ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ ﷻ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ ﷻ، وَخَانَ رَسُولَهُ ﷺ، وَخَانَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ).⁽³⁾

إنّ تولية الضعيف خيانة للأمانة التي حملتها القيادة؛ "لأنّ الولاية تفيد قوة بعد ضعف، وقدرة بعد عجز، تتخذها النفس المجرّبة على الشر وسيلة إلى الانتقام من العدو، والنظر للصديق، وتتبع الأغراض الفاسدة، ولا يوثق بحسن عاقبتها"⁽⁴⁾، وبذلك تقسد مصالح المسلمين وأحوالهم، وتنتشر الوساطة في المجتمع، ويُهمل أصحاب الكفاءة، وتضيع حقوق الرعية، وهذا أعظم الخيانة.

كما أنّ توسيد الأمر لغير أهله من علامات قيام الساعة، فعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)⁽⁵⁾.

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي: (2: 270).

(2) انظر: خلق المسلم: للشيخ محمد الغزالي: 47.

(3) المستدرک على الصحيحين: للحاكم: كتاب الأحكام، (ح: 7023، ج: 4، ص: 92-93)، وقال: صحيح الإسناد، وفي سننه حسين بن قيس المعروف بحنش، مختلف فيه؛ فضعه جماعة؛ كالذهبي، والمنذري، وابن حجر، ووثقه ابن نمير، وحسن له الترمذي، وصحّ له الحاكم، ولا يضُرُّ في المتابعات، وحديثنا لم ينفرد به حسين بن قيس، فقد تابعه يزيد بن أبي حبيب. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمناوي: (6: 74)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: لأحمد بن أبي بكر البوصيري: (5: 389).

(4) سبل السلام شرح بلوغ المرام: لمحمد بن إسماعيل الصنعاني: (4: 117).

(5) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (ح: 6496، ج: 8، ص: 104).

الخامسة: قيام القيادة الراشدة بجميع الأعمال الموكلة بها (عظيمها وحقيرتها) على أكمل وجه؛ مع السهر الدائم على حقوق الرعية، واستنفاد الوسع والطاقة في سبيل الوصول إلى الإحسان في العمل، والحفاظ على مصالح الرعية، "فليس أعظم خيانة، ولا أسوأ عاقبة، من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها"⁽¹⁾.

السادسة: الحفاظ على أسرار المسلمين وعدم إفشائها للأعداء الكافرين، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:27].

فقد كانت خيانة المنافقين لله ﷻ، ولسوله ﷺ؛ بإظهار الإيمان بالإسلام، والالتزام شعائره في الظاهر، وإسداء النصح الكاذب، وهم في الحقيقة يستسرون الكفر، والغش، والخداع، ويدلون المشركين على عورات المسلمين، ويخبرونهم بما خفي عليهم من أخبارهم.⁽²⁾

السابعة: عدم اتخاذ الأعداء الكافرين أولياء ونصراء وبطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ قُتْلًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:28].

نهى الإسلام عن اتخاذ الأعداء الكافرين أولياء من دون المؤمنين؛ لأن الكافرين يهدفون من إظهار المودة للمؤمنين استئمان المؤمنين، والدخول إليهم بلطف ودقة، ليطمئن المؤمنون لهم، فينالوا من الإسلام وأهله، فالكافرون ليسوا صادقين في مودتهم ونصرتهم؛ لأنه ليس هناك النقاء في الأصل بين الإيمان والكفر⁽³⁾، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبًا وَلَا وُدًّا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ...﴾ [آل عمران:118].

إن من يتخذ الأعداء الكافرين أولياء يُحرم من نصرة الله ﷻ؛ لاعتقاده بأن أهل الكفر قادرون على تحقيق مصالح شعبه وأمنه، ودفع الضرر والمصائب عنهم، يقول الله ﷻ في حق هؤلاء الذين اغتروا بقوة الكافرين: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [المائدة:52].

الثامنة: النصح الصادق المخلص للرعية، والحرص على قبولهم النصح:

يجب على القيادة الراشدة أن تسلك كافة السبل، مع استنفاذ الجهد والطاقة؛ لإيصال النصيحة الصادقة إلى الرعية؛ لتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة، ولقطع الحجّة عليهم يوم

(1) خلق المسلم: للغزالي: 48.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (13: 480).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (3: 1411).

القيامة، ولقد قصَّ القرآن الكريم حرص النبي محمد ﷺ في إبلاغ رسالة التوحيد إلى قومه، وبذله أقصى جهده وقوته في سبيلها، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَبُحَّ بِحُجَّتِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنَّكَ لَأَرَىٰ يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:6].

السمة الرابعة: الحكمة:

إنَّ الحكمة هي أساس المعرفة السليمة النافعة، الموافقة للحق، القائدة إلى الفقه في الدين ومعرفة أسرار تشريعاته وحكمها، الموجَّهة نحو عمل الخير، المانعة من عمل الشر، يُصيب بها الإنسان الحق في القول والفعل، ويُنزِل الأمور منازلها في نفسه وغيره، تضبط سير الإنسان نحو الكمال والاستقامة، بتوفيقٍ من الله ﷻ ورحمته وفضله، فينال الخير العميم، ويفوز بسعادة الدارين وينجو من شقاوتهما⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 269].

كتب عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى ﷺ: "إن الحكمة ليست عن كبر السن، ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء، فإياك ودناءة الأمور، ومداني الأخلاق"⁽²⁾، فالحكمة عِلْمٌ، وفقهٌ، وعملٌ، بتوفيقٍ من الله ﷻ، لا علاقة لها بنسب، ولا كِبَرِ سِنٍّ، ولا منصب.

إنَّ الحكمة لا تُدْرِكُ بكثرة المطالعة، والعلم بالثقافات المختلفة، وإنما لا يبد لها من العمل مع العلم والثقافة، ولهذا قيل: " تتضاءل المعلومات عندما تكبر الحكمة؛ حيث تبتلع المبادئ الكثير من التفاصيل، إنَّ التفاصيل تأتيك بطريقة عملية أثناء ممارسة الحياة"⁽³⁾.

إنَّ الله ﷻ امتنَّ على الأنبياء بصفة الحكمة، فقال سبحانه في حق داود ﷺ: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنزَلْنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلْنَا الْخُطَابَ ﴾ [ص: 20]، وفي حق لقمان ﷺ: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: 12]، وفي حق إبراهيم ﷺ: ﴿ ... فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 54].

إنَّ القيادة الراشدة أحقُّ الخلق بالاتصاف بخلق الحكمة؛ لأنه لون من ألوان الذكاء والفتنة التي تأخذ بيدها إلى الرأي الرشيد، والقول السديد، وهذا الخلق الفاضل له مظاهر متعددة، تظهر في تصرفات القيادة الراشدة، منها هذه التسعة:

الأول: مخافة الله ﷻ في السر والعلن، فهي رأس الحكمة.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (1: 700)، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي:

115، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 619).

(2) أخبار القضاة: للقاضي أبي بكر الصَّبَّيِّ البَغْدَادِيِّ: (1: 185).

(3) إدارة الأولويات: لستيفن كوفي، وآخرون: 100.

الثاني: استعمال أسلوب اللين والتلطف عند التعامل مع الرعية، فقد قص علينا القرآن الكريم تلتف إبراهيم عليه السلام مع أبيه في دعوته، فقال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 41-45]، وفي هذه الآيات يظهر مدى التلطف والتحنن الذي أبداه إبراهيم عليه السلام لأبيه من خلال مناداته له (يا أبت).

الثالث: استخدام أسلوب الشدة والقهر مع الخارجين عن النظام؛ حتى لا يتجراً الآخرون على العبث بالنظام العام، فقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَقَفْتُمُ الْحَرْبَ فَشَرَدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 57]، أي: لا بد من التعامل بكل صرامة مع المُسْتَخْفِيين بقوة الدولة الإسلامية في الداخل أو الخارج؛ ليكونوا عبرة لغيرهم؛ فلا يُقدمون على الكيد للإسلام وأهله.

الرابع: إنزال العقوبة المناسبة للمخالفة الشرعية أو القانونية على من وقع منه الخطأ من أبناء الأمة، مع وقوعها في الوقت المناسب، دون تأخيرها عن وقتها؛ لتكسب القيادة الراشدة ثقة الرعية واحترامها، قال تعالى: ﴿وَلَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ [النحل: 126].

وهنا نأخذ الوصية من سابور⁽¹⁾، وقد جمع أولاده يوصيهم قائلاً: " يا بني إذا أعجزكم أن تملؤوا قلوب الرعية حياءً فاملؤوها خوفاً، وليس ذلك بأن تحمل العقوبة على من لا يستحقها، ولكن تعجيلها لمن يستحقها".⁽²⁾

الخامس: طيب الكلام، وطلاقة الوجه، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

السادس: الإعراض عن الجاهلين، فقد أخبر القرآن الكريم عن أهل الإيمان أن من أخلاقهم الأصيلة الإعراض عن الجاهلين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55].

(1) هو سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك، قيل ملك بوضعية أبيه له، حيث كان جنياً في بطن أمه، عُرف بنجابته منذ صغره، ولمّا بلغ ستة عشر عاماً، قاد الجند ليعاقب كل من اعتدى على دولته في صغره، وكان ينزع أكتاف زعماء من يقاتلهم؛ فسموه سابور ذا الأكتاف، واستمر سابور على ملكه حتى بعد اثنتين وسبعين سنة، وهي مدة ملكه، ومدة عمره، فيكون موت سابور لمضي سبعة أشهر من سنة خمس وسبعين وستمئة للإسكندر، وهو باني الإيوان بالمدائن. انظر: المعارف: لابن قتيبة: (656-659)، الكامل في التاريخ: لابن الأثير: (1: 301-302)، المختصر في أخبار البشر: لأبي الفدا: (1: 69-70).

(2) سراج الملوك: للطرطوشي: 62.

إنَّ القيادة الراشدة لا تتعامل مع الناس بمقتضى جهلهم وسفههم، وإنما تتعامل بأخلاقها الإسلامية الحميدة.

السابع: التدرج في طلب التكاليف والواجبات من الرعية، وإلزام الأمة بها شيئاً فشيئاً، مستبصرة في هذا بمنهج القرآن الكريم في فرضه الأحكام الشرعية على الناس بالتدرج، وفي الدعوة إلى الله ﷻ، وهي أعظم واجب على المسلم، قال تعالى: ﴿وَلَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ [النحل: 126].

الثامن: العمل على جمع كلمة الأمة في فهم أمور دينها، وأحكام شريعته، والحرز من الاختلاف المذموم الذي يؤدي إلى الفرقة والتشردم، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

فقد أوصى الله ﷻ الأنبياء جميعاً بإقامة دين التوحيد، وحفظه وحمایته من الأفعال الخاطئة، والقلوب المريضة، وبأن يكونوا على قول واحد في أصول الشريعة ومبادئها⁽¹⁾.

التاسع: عدم البث في الأمور المشكّلة، أو إصدار الأحكام فيها، عندما تكون القيادة الراشدة لا خبرة لها بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، مع وجوب الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص، ليقرروا الحكم المناسب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43].

السمة الخامسة: الوفاء:

إنَّ خُلُقَ الوفاء قيمة إنسانية عظيمة؛ فهو يُرسي دعائم النِّقَّة بين الأفراد، ويؤكد أواصر التَّعاون في المجتمع، يختص بالإنسان، فمن فقد هذا الخُلُق الكريم فقد الإنسانية، فالإنسان بطبعه اجتماعي متعاون، فلا تصح أحواله، ولا تنضبط معاشه، إلا بمراعاة العهد والوفاء به، وإلا انعدم التعايش والتعاون بين أفراد المجتمع⁽²⁾.

إنَّ القيادة الراشدة هي أولى الناس بالتزام هذا الخُلُق الفاضل؛ ليكون لها شرف الانتساب إلى القليل القادر على الوفاء بدافع من التقوى والإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102]؛ ولتبنى مجتمعاً متعاوناً مترابطاً، تسوده المودة

(1) انظر: أيسر التفاسير: لأسعد حومد: 4164.

(2) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ : لعدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح ابن

عبد الله بن حميد: (8: 3639).

والمحبة، والتعاشيش الصادق البنياء، بعيداً عن الغدر والخيانة، وترصد أفرادهم بعضاً بعضاً؛ لإشباع شهوة الحقد والانتقام.

وتتصل القيادة الراشدة على هذا الخلق العظيم باجتماع أمرين هامين، ذكرهما الله ﷻ في الحديث عن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُعِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ [طه:115]، فمعنى الآية يفيد بأن خلق الوفاء يحتاج إلى أمرين هامين، وهما: الأول: قوة الذاكرة التي تُذكر صاحبها بوجوب الوفاء في كل أمر قطعه على نفسه؛ فالذكر المُطرد اليقظ ضرورة لازمة للوفاء، فمن أين لناسي العهد أن يفِي به؟ لذلك ختمت آية العهد بعنصر التذكير⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿...وَيَهْدِي اللَّهُ أَوْفُواً ذَلِكُمْ وَصَنَّتُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:152].

الثاني: قوة العزيمة التي تعين صاحبها على مواجهة الصعاب والتحديات في سبيل الوفاء بما أُلزم به نفسه.
فائدة:

إن القيادة الراشدة إذا توقعت غدر المعاهدين لها من الأعداء، بدلائل واضحة ظاهرة، فيجب عليها أن تُعلم الأعداء بانتهاء العهد المُوثق بينهم، فتكون القيادة الراشدة حينئذٍ متساوية في العلم بنقض العهد وأعدائها، فالله ﷻ يكره الخيانة ولو كانت في حق الكفار.⁽²⁾ فقد رتب الله ﷻ نبذ العهد مع الأعداء على خوف الخيانة دون وقوعها؛ لأن الشان في المعاملات السياسية والحربية على التوقعات وقرائن الأحوال، فلا تنتظر القيادة الراشدة وقوع الأمر؛ لأنها بهذا تُعرض الأمة للخطر من التورط في غفلة أو الضياع لمصلحة، وإذا ضاعت مصالح الأمة تمكّن منها عدوها⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَلِمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانذَرْنَاهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال:58].

السمة السادسة: التواضع:

إن خلق التواضع هو خلق عباد الله المؤمنين الصادقين، فقد أخبر الله ﷻ عنهم في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾ [الفرقان:63]، أي: ساكنين متواضعين لله ﷻ وللخلق، فالمؤمنون هم أهل الوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده⁽⁴⁾.

(1) خلق المسلم: للشيخ محمد الغزالي: 56.

(2) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (10: 44).

(3) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (10: 52).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 586.

وقد وصف الله ﷺ به عباده الذين هداهم للإيمان وثبتوا عليه، فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرِّتَدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوِيٍّ يُؤَيِّدُ بِهِمُ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ [المائدة: 54].

وقد علَّلَ المفسرون استعمال القرآن الكريم حرف الجر (على) في قوله تعالى: (أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) على معنيين⁽¹⁾:

الأول: يتضمن معنى العطف والحنو؛ فهم يعطفون على المؤمنين تواضعًا وتذللًا.

الثاني: يتضمن معنى علو المنزلة، ورفعة المقام؛ فهم على الرغم من فضلهم ومكانتهم وعزتهم، يتواضعون ويخضعون لمن هم أقل منزلة ومكانة منهم.

إنَّ التواضع خُلقُ أمر الله ﷺ به النبي ﷺ في التعامل مع المؤمنين، فقال تعالى:

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ءَاتَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215].

إنَّ الآية فيها خطاب للنبي ﷺ ولأمته من بعده، وعلى جهة الخصوص للقادة والرؤساء

والزعماء الذين ملكوا أمور العامة، وتسلَّطوا على رقابهم.

❖ ويظهر تواضع القيادة الراشدة في الأمور الثمانية التالية:

الأول: الانقياد لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، والاستسلام لهما، فلا ترى لحكماها، أو رأيها مكانًا في التقدم عليهما، أو مخالفتها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقَرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1].

الثاني: الاعتراف لأصحاب الفضل بفضلهم، وتقدير أعمالهم، وجهودهم؛ العظيمة منها، والحقيرة، ما دامت في خدمة الأمة، قال تعالى: ﴿وَرِنُّوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: 182-183].

الثالث: عدم الإعجاب بالنفس، أو الاعتداد بالرأي، فهي لا تنسب لذاتها زكاء العمل، من زيادة فعل الخير والطاعات، ولا تعتقد صواب رأيها، بل تعتقد أنَّ ما عملته من العمل الصالح إنما هو بتوفيق الله ﷺ وتأبيده⁽²⁾، قال تعالى: ﴿...فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32].

الرابع: عدم التميز عن الرعية في الملبس، والمأكل، والمشرب، والمسكن، فلقد عاب القرآن الكريم على قارون خروجه على قومه بزينته وبهرجته، قال الله ﷺ في سياق الإخبار عن استعلاء

(1) انظر: البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي: (3: 524).

(2) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري: (5: 646).

قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّاهِلِكَ مِنْ قَبْلِهِ ۗ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 78-79].

إن القيادة الراشدة تساوي نفسها برعيتها، فلا تتفاخر بزينة الحياة الدنيا ومظاهرها الخداعة، من سيارات فارهة، ومواكب ضخمة، وعقارات، وخدم، وحرس، فلا تصيب من ذلك إلا بقدر ما يعينها على تحقيق مصالح العباد والبلاد.

الخامس: قبول الحق ممن تُحب، وممن تبغض، فالقيادة الراشدة تقبل الحق من عدوها، كما تقبله من وليها، قال تعالى: ﴿...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَأَلْكَو كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس: 35]، فالقيادة الراشدة تقبل الحق؛ لأنها تقصد رضى الله ﷻ، فمن كان هذا قصده هان عليه الانقياد للحق. (1)

السادس: قبول عذر المعتذر، والنظر إليه بعين الرحمة، والشفقة، لا بالتسلط والقهر والاستعباد، ويظهر هذا المعنى جلياً في موقف يوسف ﷺ مع إخوته؛ حيث قبل عذرهم، وعفا عنهم، رغم قسوة ما فعلوه به، قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴾ ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغُفْرَ اللَّهِ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: 91-92].

السابع: الإقبال على الرعية بالوجه الطلق، والمشى بسكينة ووقار، قال ﷺ على لسان لقمان ﷺ يوصي ابنه بعدم الكبر والتفاخر: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: 18]، وفي المقابل وصف عباد الرحمن بالمشى الهين، فقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: 63]، أي: سير الإنسان على سجيته دون افتعال للعظمة أو الكبر، ودون ذلة وانكسار، يسير معتزاً بدينه، مستعلياً بعقيدته. (2)

الثامن: مخالطة الرعية، والنزول إلى شوارعها، وأسواقها، وأماكن عملها، ليلاً أو نهاراً؛ فهي تُخالط الناس بوقارٍ من غير كبرٍ ولا بطر، ولا تتناول على الرعية؛ فهي لا تتكبر، ولا تتجبر، ولا تُريد علواً في الأرض، ولا فساداً. (3)

(1) انظر: الأخلاق بين الطبع والتطبع: لفصيل بن عبده قائد الحاشدي: 137.

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي: (17: 10502).

(3) التفسير الواضح: لمحمد حجازي: (2: 735).

يُفهم هذا المعنى من قوله ﷺ على لسان كفار مكة: ﴿ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
 الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ... ﴾ [الفرقان:7]؛ حيث تصوّروا أنّ صاحب الزعامة، والمكانة، والنبوة، ذو
 طبيعة تختلف عن الناس، ويجب عليه ألا يأكل الطعام، أو على الأقل لا يمشي في الأسواق؛
 لكسب عيشه، ورزقه، لذلك نجدهم يطلبون أوصافاً للقائد المناسب من وجهة نظرهم، وهي الواردة
 في قوله تعالى: ﴿...لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧٩﴾ أَوْ يُنْفِقَ إِلَيْنَا كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ
 يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ
 فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:7-9]، فهذه المعاني هي التي عاشتها القيادات الفاسدة على
 مرّ التاريخ.

السمة السابعة: الحلم:

"إِنَّ الْحِلْمَ آيَةٌ حُسْنِ الْخُلُقِ، وعنوان علو الهمة، فهو من أشرف الأخلاق، وأحفظها بذوي
 الألباب؛ لما جعل الله ﷻ فيه من الطمأنينة، والسكينة، والحلاوة، وسلامة العرض، وراحة
 الجسد، واجتلاب الحمد، ورفع النفس عن تشفيها بالانتقام، فلا ينبل الرجل حتى يكون متخلفاً
 بهذا الخلق العظيم"⁽¹⁾.

والحليم من يضبط النَّفْسَ والطَّيْعَ عند شدة الغضب، ويترك الانتقام من الجهّال والسفهاء
 مع القدرة عليهم⁽²⁾، مُتَخَلِّفًا بما اتصف الله ﷻ به من الحلم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُولَآئِدُ اللَّهُ
 النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى... ﴾ [النحل:61].

إنّ الحلم من الأخلاق المهمة للقيادة الراشدة في مسيرتها القيادية؛ لأنّها تتعامل مع رعية
 تختلف طبائع أفرادها، وأهواؤهم، وأمزجتهم، ومشاربهم، فهم ما بين ناصح مخلص، وناقد هادم،
 وصاحب مصلحة متسلّق، وجاهل فاقدهم للباقة واللياقة، وعالم خبيث النفس حُلُو اللسان لنيم، إلى
 غير ذلك.

ولحلم القيادة الراشدة صور متعددة منها هذه الأربع:

الأولى: الإعراض عن الجاهلين، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
 خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان:63].

(1) الأخلاق بين الطبع والتطبع: لفيصل الحاشدي: 138.

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني: 129، تهذيب الأخلاق: للجاحظ: 23.

إنَّ القيادة الراشدة إذا اعترض طريقها السفهاء، وتوجهوا إليها بالسباب واللعان، وأذوها بفحش الكلام، أعرضت عنهم ولم تقابلهم بمثل كلامهم، بل تعفو وتصفح، فهي أهل للحلم والصفح، فليس سبيلها الجهالة والسفاهة.(1)

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا بِنَعْيِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الفصص:55]، وقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:199].

أمَّا إن اشدت السفهاء في سفاهتهم، وتجاوزوا الحدَّ في مقاتلتهم، وتجبروا وطغوا في فعلهم، معتقدين عدم الردِّ ضعفاً، كان لابد من الردِّ الحاسم بقوة وغلظة؛ ليبرِّوا الفرق بين الضعف، وكرم الخلق.(2)

الثانية: مقابلة الإساءة بالإحسان، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:34].

إنَّ الآية فيها ترغيب كبير في الحسنات، والصبر على أذى الأعداء من المسلمين والكافرين على حدٍّ سواء، ومقابلة إساءتهم بالإحسان إليهم؛ لأنَّه لا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة، فإنَّ ترك الانتقام منهم وعدم الالتفات إلى سفاهتهم، يستوجب المكانة الرفيعة في الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة.(3)

الثالثة: كظم الغيظ، والعفو عن المسيء مع القدرة عليه، قال تعالى: ﴿...وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:134].

إنَّ العفو عن المسيء عند المقدرة هو من شيم الكرام، وليس فيه ما يدل على الذلِّ والمهانة، بل هو عين العزة والرفعة والمكانة، فما انتقم أحدٌ لنفسه إلا ذلَّ.(4)

الرابعة: إكرام المسيء رغم إساءته، طاعة لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور:22].

(1) انظر: تفسير القطان: لإبراهيم القطان: (3: 17).

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10504).

(3) روح البيان: لإسماعيل حقي: (13: 13).

(4) انظر: الأخلاق بين الطبع والتطبع: لفیصل الحاشدي: 147.

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فبعد حديث الإفك، وبراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها، رضي الله عنها ألا يُنفق على مسطح⁽¹⁾؛ لخوضه في عرض عائشة رضي الله عنها؛ حيث قال: " والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال"، فأُنزل الله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ) إلى قوله تعالى: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)، فقال أبو بكر رضي الله عنه: " والله إنني أحب أن يغفر الله صلى الله عليه وسلم لي"، فرجع إلى مسطح النفقة التي كانت عليه وقال: " لا أنزعها منه أبداً".⁽²⁾

السمة الثامنة: الصبر:

"الصبر سيد الأخلاق، وبه ترتبط مقامات الدين، فما من خلق فاضل إلا يمرُّ بقنطرة من الصبر، وإن تحول إلى اسم آخر"⁽³⁾، وهو الطريق إلى القيادة والإمامة في الدين. يقول ابن القيم: " سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين"⁽⁴⁾، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا مَرْيَمُ لِمَا صَبَرْتِ لِمَا وَكُنَّا بِبَابِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:24].

إنَّ الآية تدلُّ على أنَّ النَّحْصُلَ على القيادة والإمامة مرتبط بالصبر على أوامر الله صلى الله عليه وسلم وعلى ترك نواهيه وزواجه، وتصديق رسله واتباعهم، والصبر في الهداية إلى الحق، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.⁽⁵⁾

❖ مظاهر صبر القيادة الراشدة:

إنَّ خُلُقَ الصبر هامٌ جداً للقيادة الراشدة؛ لأنها تتعامل مع مجتمع قد تباينت درجاته، وأفهامه، ومصالحه؛ ومن مظاهر صبر القيادة الراشدة على رعيته الستة التالية:

الأول: الصبر على الأتباع، والمعاونين، وأصحاب المهمات، حيث نجد أنَّ موسى صلى الله عليه وسلم صبر

-
- (1) هو عوف بن أثانة بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مناف، ومسطح لقبه، كنيته أبو عبادة، ممن شهد بدرًا، وهو ممن خاض في حديث الإفك، توفي بالمدينة سنة أربع وثلاثين للهجرة، وقيل: سبع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة. انظر: مشاهير علماء الأمصار: لابن حبان: 19، الإصابة في تمييز الصحابة: (6: 93).
 - (2) صحيح مسلم: كتاب التوبة: باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث(2770)، ص: 1112-1115، انظر: أسباب النزول: للواحدي: 217.
 - (3) عدة الصابرين: لابن قيم الجوزية: 27.
 - (4) مدارج السالكين: لابن قيم الجوزية: (1: 554).
 - (5) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (11: 106).

على تلميذه يوشع بن نون⁽¹⁾، فلم يُعْتَفَ، أو يُؤَبَّخَ لَمَّا نَسِيَ أَنْ يُعَلِّمَهُ بِأَمْرِ نَزُولِ الْحَوْتِ الْمَاءِ، وكان رُدُّه أَنَّ هَذَا مَا كَانَا بِيَغْيَانِهِ، واستمرنا في السير بحثاً عن العبد الصالح، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْفَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿ [الكهف: 63-64].

الثاني: الصبر على مجالسة المؤمنين الصادقين المخلصين من الضعفاء والفقراء، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْمَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: 28].

إنَّ القيادة الراشدة مأمورة بأن تحبس نفسها مع المؤمنين الصادقين، العابدين لله ﷻ وحده؛ لنيل رضوانه وجنته، وعدم إهمالهم، ومجاورتهم إلى غيرهم من الأغنياء، حتى ولو كان الهدف الطمع في إسلام الكافرين، أو هداية الفاسقين العاصين.

الثالث: الصبر على متطلبات القيادة؛ كالصبر على الاتهامات المختلفة، والافتراءات المتعددة من قِبَلِ أفراد المجتمع عليها، فقد اتهم النبي محمد ﷺ بأبشع التهم والافتراءات، في نفسه، وأهل بيته، واتباعه، فصبر امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: 39].

الرابع: الصبر على تَلَوْنِ الأحوال من خوف، وفقر، وحرب، وحصار، وتآمر، وخديعة، وقتل الأعوان والأنصار، وإخراج من الوطن والأهل، فقد أخبر الله ﷻ عن كيد كفار مكة للنبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنْسِبُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال: 30].

فائدة:

إنَّ المجتمع الفلسطيني وخاصة في قطاع غزة العزلة يعيش في هذه الأيام واقعا قد تَلَوَّنَتْ فيه المصائب والصعاب؛ فهو يعيش حصاراً خانقاً قد شارك فيه العدو والصديق، كما أنَّ قيادته تعيش في جو محاطٍ بالتآمر والكيد لها؛ لحملها على التنازل عن حقوق أمتها وأبناء شعبها، كما أنَّ العدو الصهيوني يعمل ليل نهار على تتبع رموز هذا الشعب وقياداته بالاغتيالات والقتل، كما يخرج أسرانا البواسل من ديارهم بغير حق، ومن أجل هذا وغيره كان لزاماً على قيادة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة الصبر على هذا الحال سواء بسواء مع أبناء شعبها.

(1) هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم السلام - وقد ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم غير مصرح باسمه في قصة الخضر، وهو من حبس الله ﷻ له الشمس. انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (1: 372، 3: 137).

الخامس: الصبر في ساحة القتال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:200]، وقال سبحانه مخبراً عن الفئة القليلة المؤمنة مع طالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَّرُوا لِبَالُوتَ وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:250].

فقد توجهت الفئة المؤمنة من قوم طالوت إلى الله ﷻ يدعوهم "بأن يُفرغ على قلوبهم الصبر، ويثبت أقدامهم في مواقع القتال بثبات قلوبهم واطمئنانها بالإيمان والثقة به، وينصرهم على القوم الكافرين عبدة الأوثان، الذين تعلقت قلوبهم بالأوهام"⁽¹⁾.

السادس: الصبر على خذلان الأنصار والأعوان، حيث قصَّ علينا القرآن الكريم قصة يعقوب عليه السلام، وكيف صبر على أبنائه لما أضاعوا يوسف عليه السلام، فقال تعالى: ﴿...قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]، وقالها لما فقدَ ابنه الثاني بنيامين، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:83].

السمة التاسعة: العفة:

إنَّ من أعظم أسباب النَّجاح في التعاملات مع الناس، بل هو أعظمها على الإطلاق، أن تبني أعمالك، وتُنشئ تصرفاتك كلها معهم، على أساس من ابتغاء وجه الله ﷻ، طلباً لثوابه ومرضاته، وهذه المعاني وغيرها هي مرتكز خُلُق العفة؛ من القيام بالأمر على وفق الشرع، ومكارم الأخلاق، من الرضا بالقليل، وعدم الإفراط في الشيء، تهذيباً وتربية للنفس، ابتغاء ما عند الله ﷻ من الأجر والثواب، لا ما عند الناس.

إنَّ نجاح القيادة الراشدة في قيادتها الناس، واستقامة أحوالها، وتحقيق محبة الرعية لها، منوط باتصافها بخُلُق العفة، الذي يبعث الطمأنينة في قلوب الرعية على مصالحها ومقدراتها، ومن مظاهر ذلك البنود الستة التالية:

الأول: العفة عمّا في أيدي الناس:

إنَّ التعفف عمّا في أيدي الناس باب عظيم لجلب محبة الناس، ورفع الشأن عندهم، فعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دُلّني على عمل إذا عملته أحبني الله ﷻ، وأحبني الناس، فقال ﷺ: (أزهد في الدنيا يُحبك الله،

(1) تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (2: 389).

وَأَزْهَدَ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ⁽¹⁾؛ فَالتَّطَلُّعُ الدَّائِمُ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ خَيْرٍ؛ سَبَبٌ لِأَزْدِرَاءِ النَّاسِ الْقِيَادَةِ، وَاحْتِقَارِهِمْ لَهَا، فَالنَّاسُ يَحْبُونَ مِنْ يُعْطِيهِمْ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ.

يقول أيوب السخيتاني⁽²⁾: "لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عما يكون منهم"⁽³⁾.

فيجب على القيادة الراشدة الابتعاد عن أموال الناس، وعمّا يحققون به أرزاقهم ومعاشهم، وأن تقتصد في فرض التكاليف المالية عليهم؛ وذلك فيما يتعلق بأعمالهم، ومصالحهم اليومية، وإلا حظيت ببغضهم، وسخريتهم من مبادئها، وقيمها التي تدعو إليها.

الثاني: التعفف عن المظاهر البراقة، والزينة الكاذبة:

رسم القرآن الكريم للقيادة الراشدة أفضل الطرق وأحكامها، حتى تحيا حياة فاضلة كريمة، حياة تعتر فيها بالمعاني الحقيقية الشريفة الباقية، وتعف عن المظاهر الخداعة، والزخارف الكاذبة الزائلة⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ۗ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131].

إن القيادة الراشدة لا تنظر نظرة إعجاب واستحسان إلى أحوال الدنيا والمتمتعين بها بأنواع المتع المتعددة؛ من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والسيارات الفارهة، فهي تعلم حق العلم أن نعيم الدنيا إنما هو اختبار وفتنة؛ لِيَعْلَمَ اللَّهُ بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ عَلِمُوا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا، مِنَ الْمَدَّعِينَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ اغْتَرَوْا بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 7، 8].

(1) المستدرک: للحاکم: کتاب الرقاق: (ح: 7873، ج: 4، ص: 313)، وقال الحاکم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن ابن ماجه: (37) كتاب الزهد: (1) باب الزهد في الدنيا: (ح: 4102، ج: 2، ص: 1373)، صححه الألباني في (صحيح الجامع: 922).

(2) هو أيوب بن أبي تميمة، واسمه كيسان السخيتاني أبو بكر البصري، فقيه، محدث، قال عنه الحسن البصري: أيوب سيد شباب أهل البصرة، وقال شعبة: كان أيوب سيد الفقهاء، (68 - 131هـ). انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي: (3: 457-463).

(3) مشيخة ابن البخاري: لجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري الحنفي: (2: 1299)، معجم ابن المقرئ: لأبي بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني ابن المقرئ: (ح: 508، ج: 2، ص: 10)، مكارم الأخلاق: لابن أبي الدنيا: 28، والحديث متصل السند إلى أيوب.

(4) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (9: 169).

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 516-517.

الثالث: العفة عن المال الحرام:

- إنَّ من أخص سمات القيادة الراشدة التعفف عن الاستفادة من أموال الأمة بغير وجه حق مشروع، مثل الصور الأربع التالية:
1. أخذ المال بدون مقابل؛ كقبول الرشوة من الضعيف ليأخذ مكان القوي، وفرض الإتاوة على الغني القادر، وعلى التاجر الماهر؛ لتسهيل أموره، وتسخير الناس للعمل بدون مقابل، أو الإنقاص من أجورهم⁽¹⁾.
 2. ابتزاز الناس في بعض المعاملات الخدمية؛ لحملهم عن التنازل عن جزء من حقوقهم مقابل إتمام هذه المعاملات.
 3. استغلال موارد الدولة، ومؤسساتها، وموظفيها، وأدواتها لتحقيق المنافع الشخصية.
 4. فرض الضرائب على الأعمال المحرمة مقابل السماح لأصحابها بالعمل ضمن حماية القانون؛ كالترخيص للبنوك الربوية، ومحال الخمر، وأماكن اللهو والفجور؛ من كازينوهات، ومراقص، وبيوت دعارة، وغيرها.

إنَّ هذه المعاني وغيرها يتضمنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

الرابع: عفة البصر (عدم تتبع عورات المسلمين):

نهى الإسلام عن تتبع عورات المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾ [الحجرات: 12]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "نهى الله ﷻ المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن"⁽²⁾، فيحرم على القيادة الراشدة البحث عن عورات المسلمين ومعابيحهم، وإذاعة أسرارهم ومثالبهم، وفي الحديث عن معاوية رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ)⁽³⁾.

تنبيه:

يجوز للجهات المختصة أن تتتبع من اشتهر بالفساد، والتخريب؛ لتعمل على إزالة شره، ومنع فساد، وفقاً للضوابط الشرعية المباحة؛ لأنَّ الله ﷻ لا يحب الفساد.

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (2: 164).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (22: 304)، شعب الإيمان: لأبي بكر البيهقي: (ح: 6330، ج: 9، ص: 107)، والحديث صحيح الإسناد.

(3) سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في النهي عن التجسس، (ح: 4888، ص: 530)، والحديث صححه الألباني، قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح، غير راشد بن سعد فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة". صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: للأمير علاء الدين بن بلبان: (ح: 5760، ج: 13، ص: 72-73).

الخامس: العفة في اللسان:

إنَّ القيادة الراشدة لسانها مصون عن الحرام بشتى صورته؛ ومن ذلك الصور السبع التالية:

1. عفة اللسان عن السخرية والاستهزاء بالناس، "والسخرية لا تصدر إلا من إنسان ممثلي بمساوئ الأخلاق، متصف بكل خُلُق ذميم"⁽¹⁾، ولقد نهى القرآن الكريم عنها، فقال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا يَسَاءُ مَن نَّسَاءُ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ...﴾ [الحجرات:11]، فقَدَّرُ الناس ليس على حسب المظهر والمكانة والوظيفة، وإنما بقَدْر قوة الإيمان وحُسن العمل⁽²⁾، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

2. عفة اللسان عن الهمز واللمز والتنازب بالألقاب؛ فلا يجوز للقيادة الراشدة أن تذكر عيوب المسلمين، بهزمهم، أو لمزهم، أو مناداتهم بألقاب مذمومة يكرهونها؛ بقصد التقليل من شأنهم، وتحقيرهم، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ...﴾ [الحجرات:11].

3. عفة اللسان عن الغيبة؛ فقد حرَّم الإسلام أن ننهش أعراض إخواننا المسلمين، ونملأ أجوافنا من لحومهم، قال تعالى: ﴿... وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12]، فقد شبَّهت الآية حال من يغتاب أخاه المسلم بحال من يأكل لحم أخيه وهو ميت مستمتعًا بذلك، وهذا للتحذير من الغيبة، والتنفير منها.

يقول النووي (رحمه الله): "ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينجز بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان، فارق ذلك المجلس؛ فإن سمع غيبة شيخه، أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر"⁽³⁾.

فائدة:

إنَّ خُلُق الغيبة قبيح ذميم في حق العامة، ولكنّه في حق القيادة أكثر قبحًا، وذمامة.

4. عفة اللسان عن النميمة؛ فالنميمة من أخطر آفات اللسان، وقد حرّمها الإسلام أشد التحريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿هَٰذَا مَثَلٌ مِّمَّا يَبْمِيحُونَ﴾ [القلم:10-11]، وهي أشد شرًا من السحر، لهذا يُقال: "عملُ النَّمام أضر من عمل الشيطان؛ لأنَّ عمل الشيطان بالخيال والوسوسة، وعمل النَّمام بالمواجهة والمعاناة"⁽⁴⁾.

(1) الأخلاق بين الطبع والتطبع: لفصل الحاشدي: 315.

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (13: 311).

(3) الأذكار النووية: للنووي: 416.

(4) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين: للسمرقندي: 107.

فينبغي على القيادة الراشدة أن تكون أبعد الناس عن هذا الخلق الذميم، فلا يوجد لديها وقت حتى تُهدره للإيقاع بين الناس، والتحريش بينهم، بل هدفها جمع الناس، وإيجاد المحبة والمودة بينهم.

وكما أنه لا يجوز للقيادة الراشدة النميمة، فلا يجوز لها أيضًا أن تستمع للنميمة، فقد روي عن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) أنه دخل عليه رجل، فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿...إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ...﴾ [الحجرات:6]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿...هَذَا مَثَلٌ بَنِيْمٍ﴾ [القلم:11]، وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.⁽¹⁾

5. عفة اللسان عن البذاءة والتفحش في القول؛ فالقيادة الراشدة تُنزه لسانها عن الكلام البذيء، والقول الفاحش؛ من سب، وشتم، وقول الخنا، وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ [الأنعام:108].

ينهى الله ﷻ في الآية الكريمة المؤمنين عن أمر كان جائزاً في الأصل؛ وهو سب آلهة المشركين؛ لما يترتب عليه من سب المشركين لله رب العالمين، لوجوب تنزيه الله ﷻ عن كل عيب وسب⁽²⁾، فكيف بالأمر غير المشروع أصلاً.

تنبيه:

أباح الإسلام لمن يقع عليه ظلم وعدوان أن يرد الإساءة والظلم الذي يقع عليه، معاملة للظالم بالمثل، بأن يدعو على ظالمه، أو يشكو ظالمه للقاضي طالباً للنصرة والإنصاف من القاضي، أو يفضح أمر ظالمه بين الناس ويذكره بما فيه من سوء؛ ليحذر الناس من شره وكيد⁽³⁾، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:148].

6. عفة اللسان عن شهادة الزور، وقول الزور؛ فعلى القيادة الراشدة أن تحفظ لسانها عن تزوير الحقائق، وقلب المواقف؛ لتضليل الرعية؛ لما يترتب على شهادة الزور من تخليص المجرم من العقاب، وتزكية لأناس ليسوا أهلاً للتركية، ولما يترتب عليها من قطع روابط الحب بين الناس، وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، فقد وصف الله ﷻ المؤمنين الصادقين بأنهم لا يشهدون الزور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:72].

(1) انظر: إحياء علوم الدين: للإمام الغزالي: (3: 166).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 268، 269.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود: (2: 248).

7. عفة اللسان عن إفشاء الأسرار، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن تطرح القيادة الراشدة أسرار الأمة على من تعرف ومن لا تعرف؛ لأنَّ هذا درب من دروب الخيانة، وعفة اللسان عن الأسرار أمر صعب؛ "لأنَّ الإنسان قد يُذيع سرَّ نفسه ببادرة لسانه، وسَقَطَ كلامه،.. فمن أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشدَّ تعذراً، وأقلَّ وجوداً من أمناء الأموال"⁽¹⁾.

السادس: العفة في السمع:

إنَّ القيادة الراشدة تعفُّ سمعها عمَّا لا يجوز لها سماعه، ومن ذلك الصورتان التاليتان:

1. العفة عن سماع المحرمات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ

أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:55]، فهذه صفة من صفات عباد الرحمن المؤمنين

الصادقين، أنَّهم إذا سمعوا الكلام التافه الذي لا فائدة منه، تركوه ولم يلتفتوا له.⁽²⁾

2. العفة عن سماع المباح، فلا ينبغي للقيادة أن تتسمَّع لكلام قوم يكرهون استماعها له، وأن

تطلَّع عليه، ففي الحديث الذي رواه ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ

كُلَّفَ أَنْ يَعْفِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ

يَفْرُونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)⁽³⁾.

السمة العاشرة: العفو:

إنَّ "العفو" صفة من صفات الله ﷻ، وهو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي،

وهو قريب من الغفور، ولكنَّه أبلغ منه فإنَّ الغفران يُنْبِئُ عن السِّتْرِ، والعفو يُنْبِئُ عن المحو،

والمحو أبلغ من السِّتْرِ، وحظُّ العبد من ذلك لا يخفى، وهو أن يعفو عن كلِّ من ظلمه؛ بل

يحسنُ إليه كما يرى الله ﷻ محسناً في الدنيا إلى العصاة والكفرة، غير معاجلي لهم بالعقوبة، بل

ربَّما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محاسناتهم؛ إذ التائب من الذنب كمن لا

ذنب له، وهذا غاية المحو للجناية"⁽⁴⁾.

إنَّ الله ﷻ أمر النبي ﷺ، وأُمَّته من بعده بأن يكون العفو هو خُلُقهم في التعامل مع

الناس، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199].

ويندرج تحت مفهوم العفو أمور متعددة، منها هذه الأربعة:

الأول: التعامل مع الرعية بالرفق والمسامحة، وترك الغلظة والفظاظة مع المؤمنين؛ حيث أمر

الله ﷻ النبي ﷺ بالمعاملة اللينة للمؤمنين، والعفو عنهم إن وقعوا في الخطأ والزلل، قال تعالى:

(1) أدب الدنيا والدين: لابن أبي الدنيا: 388.

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (18: 10962).

(3) صحيح البخاري: كتاب التعبير، باب مَنْ كَذَّبَ فِي حُلْمِهِ، (ح:7042، ج:9، ص:42).

(4) المقصد الأسنى في شرح معاني الله الحسنی: لأبي حامد الغزالي: 140.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْلَا كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ...﴾ [آل عمران: 159].
وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يسرُّوا ولا تَعَسُّوا وبشِّروا ولا تُنْفَرُوا)⁽¹⁾.

الثاني: الدعوة إلى الله صلى الله عليه وسلم بالرفق واللين، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

الثالث: استيفاء الحقوق من الرعية بالطرق الأوفق والأرفق بها، وعدم التشدد معها وخاصة فيما يتعلق بالحقوق المادية.

الرابع: العفو عن المذنبين، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13].

إنَّ ظاهر الآية السابقة يفيد الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأُمَّته من بعده بالعفو والصفح عن المخالفين في الدين؛ إذا وقع منهم السوء في حق المسلمين، فمن باب أولى العفو عن المذنبين من المسلمين، والصفح عنهم، والتجاوز عن سيئاتهم، بما لا يُعرض أفراد المجتمع للخطر.

المطلب الثالث: السمات الشخصية للقيادة الراشدة:

الشخصية هي: "حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة"⁽²⁾.
إنَّ نجاح القيادة الراشدة في قيادة الأمة نحو الصلاح والإصلاح، منوط بما تمتلكه من سمات شخصية واضحة، بالإضافة إلى ما تمتلكه من أخلاق فاضلة، ومعارف، وخبرات، ومهارات، تعطئها القدرة على ممارسة دورها بفاعلية وإتقان.

وفي هذا المحور ذكرت جملة من السمات الشخصية للقيادة الراشدة، والتي يظهر لها الأثر الكبير في نجاح القيادة الراشدة، وهي إحدى عشرة كالتالي:
السمة الأولى: القوة:

إنَّ من أهم صفات القيادة الراشدة القوة؛ ولا نعني بها الحدة والشدة والعنف، وإنَّما المراد بالقوة الكفاءة، والذكاء، والقدرة على أداء المهمة⁽³⁾، وتوظيف القائد الناجح الموقف المناسب في

(1) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب: باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (ج: 69، ص: 1، ص: 25).

(2) معالم شخصية المسلم: يحيى هاشم حسن فرغل: ص 7.

(3) انظر: صناعة القائد: للدكتور طارق محمد السويدي، والأستاذ فيصل عمر باشراحيل: 52.

الوقت المناسب، سواء أكان الموقف يستلزم الشدة والحدّة، أم اللين والمسامحة والمداهنة والمداراة، فليس القوي بشدته وتعنيفه، وليس الضعيف بلينه ورفقه وعفوه، فالقوة المطلوبة تختلف باختلاف طبيعة المهمة.

إنّ القوة التي يريدها الإسلام؛ هي القوة المضبوطة بالأمانة، فلا خير في قوة لا أمانة لصاحبها، يُستنبط هذا المعنى من تعليل ابنة نبي الله شعيب عليه السلام استئجار نبي الله موسى عليه السلام ليعمل عند والدها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدَثُهَا يَتَأْتِي أَسْتَجِرُهُ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتِ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:26]؛ فقد جمع موسى عليه السلام مع صفة القوة صفة الأمانة؛ فلا تُطلب القوة فيمن يتولى عملاً، صغيراً كان أم كبيراً، إلا والأمانة مقترنة بها. (1)

إنّ سمة القوة المُراد تحققها في القيادة الراشدة لها مظاهر متعددة، منها هذه الخمسة:

1. القوة الإيمانية:

وهي ما تتمتع به القيادة الراشدة من طاقة إيمانية عظيمة؛ من رسوخ الإيمان في القلب، وصدق التوكل على الله تعالى، والثقة بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين ومعينته لهم.

إنّ القوة الإيمانية لها ثمار عظيمة في حياة القيادة الراشدة، أخصها في الخمس التالية:

أولاً: يبرزها الله تعالى الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب:23].

تجعل القوة الإيمانية القيادة الراشدة تَمْتَلِ أمر الله تعالى، وتجتنب نهيه، برضى وتسليم، وصبر وتضحية، فتدفع إلى التضحية بالنفس والنفيس؛ لرفعة الإسلام وأهله، وللدفاع عن خيرات الأمة ومقدراتها، وللتصدي للباطل وأهله؛ ليُرَدَّ العدو خاسئاً ذليلاً (2).

يدلّ على ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير...) (3).

ثانياً: تُعين القيادة الراشدة على مخالطة الناس، والصبر عليهم، ومجادلتهم بالنبي هي أحسن؛ دفاعاً عن الحق، ونصرةً لأهله، وهو ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يُخالطهم ولا يصبر على أذاهم) (4).

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 614.

(2) انظر: القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل (دراسة قرآنية): للدكتور عبد السلام اللوح، والأستاذ ضيائي نعمان السوسي: 6.

(3) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله تعالى، وتفويض المقادير لله تعالى، (ح: 2664، ص: 1069).

(4) مسند أحمد بن حنبل: مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا)، (ح: 5022، ج: 9، ص: 64)، وصحيح الأدب المفرد للبخاري: للألباني: باب الذي يصبر على أذى الناس: (ح: 388 / 300، ص: 153-154).

ثالثاً: تدفع قوة الإيمان القيادة الراشدة إلى الصبر في مواجهة أصعب التحديات والمواقف؛ فالإيمان هو الذي دفع الفئة المؤمنة مع طالوت إلى الصبر رغم قوة جالوت وجنوده، قال تعالى: ﴿... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:249]، فالفئة المؤمنة توكلت على ربها، ووثقت بنصره، فاستهانت بعدوها، وانطلقت بقوة في القضاء على عدوها، والنيل منه، وقد تحقق لها ما أرادت.

رابعاً: تمنح القيادة الراشدة قوة معنوية عالية؛ حيث تتبع القوة المعنوية من الاعتصام بالله ﷻ، والتمسك بدينه، والسير على نهج النبي ﷺ، مع العلم بمكانة المؤمن الرفيعة عند الله ﷻ، وأنه لا يجوز للمسلم الضعف ولا الخور؛ فيحافظ على مكانة أمته بين الأمم، ويعلي من شأنها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:139].

خامساً: تمنح القيادة قوة القلب؛ من الثبات على الحق، والصلابة فيه؛ وذلك بثقتها بربها ﷻ، وقوة إيمانها، فلا تتأثر بالخيالات والأوهام⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:14].

إن قوة القلب تولد عند القيادة الراشدة رباطة الجأش، وطمأنينة النفس؛ فتخاطب الرعية بكل ثبات ويقين، فلا تضعف أو تجبن في مواجهة الحقائق؛ ممّا ي أهلها لقيادة الأمة نحو النصر والتمكين، تتحرك بين الناس بعزيمة قوية، وموقف ثابت واضح، لا تتأثر بإرجاف المرجفين، ولا تضعف أمام تهديد الأعداء الكافرين.

2. قوة الشخصية:

وهي من أبرز صفات القائد؛ حيث تمتلك القيادة الراشدة مجموعة من السمات والقيم المثلى، والمهارات العالية؛ تجذب بها لبّ الآخرين، وتكسب طابع التأثير فيهم.⁽²⁾ إن قوة الشخصية تمنح القيادة الراشدة أربع ميزات هامة، وهي:

الأولى: الثقة بالنفس:

نجد هذا المعنى في شخصية الخضر عليه السلام، من خلال إملائه للشروط على موسى عليه السلام للقبول بتعليمه، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَأْذِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:70]؛ حيث وقف موقف المعلم المرئي، شديد الثقة بنفسه في عرضه للحقائق الغيبية⁽³⁾، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:78].

(1) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: للسعدي: 9.

(2) انظر: ثلاثون وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً: لأمير بن محمد المدري: 27.

(3) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: للدكتور مصطفى مسلم: 271-272.

الثانية: قوة الإرادة والتصميم:

وهي مضاء القيادة الراشدة في تحقيق أهدافها بثبات، وعزيمة، وتصميم، لا تعرف الفتور أو الاستسلام، ويظهر هذا المعنى في مقالة نبي الله موسى ﷺ لتلميذه يوشع بن نون ﷺ في معرض بحثه عن العبد الصالح، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف:60].

فقد أخبر أنه لا يزال مسافرًا وإن طال عليه الشقة، ولحقت به المشقة، حتى يحقق هدفه الذي خرج لأجله، وهو الوصول إلى مجمع البحرين والعتور على العبد الصالح.⁽¹⁾

الثالثة: قبول التحدي:

إنَّ ضعيف الشخصية لا يمكنه دعوة الناس إلى أفكاره ومبادئه، ولا تحدي المعارضين لمنهجه، ولا أن يُحَقِّقَ حَقًّا، أو أن يُبْطِلَ باطلاً؛ لأنَّ هذا الأمر يحتاج إلى شخصية قوية، واثقة بربها، مطمئنة إلى إمكانياتها، وإلى صدق منهجها، لا ترى للباطل وإن انتفخ وتعاضم قيمة؛ فالنصر حليفها؛ لأنها تعتمد على ربها ﷻ القوي العزيز.⁽²⁾

وقد ظهر هذا المعنى في موقف التحدي الكبير بين موسى ﷺ ، وبين فرعون، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ يَمِينًا وَبَيْنًا وَمَوْعِدًا لَّا تُخْلِفُهُ ۚ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ ﴾ [طه:56-59].

يُبرز هذا المعنى الأستاذ سيد قطب فيقول: "وقبل موسى ﷺ تحدي فرعون له، واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ)، وطلب أن يجمع الناس ضحى، ليكون المكان مكشوفًا، والوقت ضاحيًا، فقابل التحدي بمثله، وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار، وأشدّها تجمعًا في يوم العيد، لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت، ولا في الظهيرة؛ فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء؛ حيث يمنعهم الظلام من التجمع، أو من وضوح الرؤية"⁽¹⁾.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 481.

(2) انظر: الإبداع العلمي: للدكتور أحمد بن علي القرني: 84.

(3) في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2340).

الرابعة: الشجاعة:

إنَّ الشجاعة خُلِقَ فاضل، وصفة كريمة، تثبت لأهل الإيمان والعلم، وتكون في القلب والعقل، فشجاعة القلب الإقدام لدفع المضار بقوة وحزم، وشجاعة العقل المضاء في الرأي الصائب القائم على الحق والعدل⁽¹⁾، "وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق، وكتمان السر، والاعتراف بالخطأ، والإنصاف من النفس، وملكها عند الغضب"⁽²⁾

إنَّ الشجاعة من أبرز ثمار صاحب الشخصية القوية، سواء كانت شجاعة القلب، أو شجاعة العقل؛ لأنها تُعطي القيادة القدرة على مجابهة المواقف والأحداث، والثبات على الحق والجهاد في سبيله، كما أنَّها تُشعر الرعية بالأمن والأمان، والثقة بقيادتها، والانطلاق نحو تحقيق الأهداف بعزيمة قوية، دون تردد أو خوف.

إنَّ القيادة الراشدة لها الأسوة الحسنة في نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث جابهَ قومه منفردًا، يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تتفَع ولا تنضر، ثم توعد أصنامهم بالكيد والتكيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا نَا هَا عَابِدِينَ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 51-58].

3. القوة في البيان:

وهي حُسْنُ التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي النَفْسِ، مع قوة التأثير في المستمع، وقوة الطرح من غير خوف أو خشية، بحيث يكون الكلام سهلًا فصيحًا عذبًا مؤثرًا، سبيله في ذلك الإحاطة بالموضوع مناط الكلام؛ ليرتب أفكاره وكلماته، فتكون الكلمة المناسبة في الموقف والزمن المتاليين⁽³⁾.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم في معرض حديثه عن نبي الله موسى عليه السلام، أَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ تعالى أَنْ يُعْطِيَهُ حَسْنَ الْبَيَانِ، قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿ [طه: 27-28]، كما علَّل طلبه من الله تعالى بأنَّ يشدُّ أزره بأخيه هارون عليه السلام، بما يتمتع به من فصاحة وبيان، قال تعالى: ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴿ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34].

(1) انظر: رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين: لإسلام محمود دريالة: 102.

(2) مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا: 278.

(3) انظر: كيف تكون قوي الشخصية؟: موقع الألوكة: رقم المقالة: 1607.

ومن حُسْنِ البيانِ تقديمِ النُّصحِ للناسِ سرًّا دونِ فضحهم؛ لأنَّ هذا يكونُ أدعى لوقوعِ شيءٍ من الحياءِ في نفوسهم، وأفضلُ في استمالةِ قلوبهم، وأجملُ في إظهارِ الرحمةِ بهم، وأبعدُ لوقوعِ العنادِ في أحوالهم⁽¹⁾، ولهذا فقد وجَّهَ اللهُ ﷻ النبيَّ ﷺ إلى هذا الأمرِ، وسَمَّاهُ قولًا بليغًا، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء:63].

فيجب على القيادة الراشدة أن تتمتع ببيان حسن قوي؛ لتأسر به قلوب الناس، وليكون هذا أدعى لإقناعهم والتأثير فيهم؛ لتتبنى الرعية قراراتها وخططها الإصلاحية.

"جاء في معجم كامبردج عند حديثه عن تاريخ الأدب الأمريكي أن الرئيس " لنكولن " صاحب الشعبية الواسعة لم يفز بموقع الرئاسة في حزبه عام 1860م بسبب سياساته، أو أعماله، وإنما بأسلوبه المؤثر في التخاطب والتعبير، وهكذا الحال في كل الحركات التغييرية؛ فإن الأقدر على قوة التعبير والخطاب هم الأقدر على القيادة"⁽²⁾.

4. القوة البدنية:

تتمثل القوة البدنية في قوة البدن، وسلامة الحواس، والخلو من الأمراض والعاهات، مع القدرة على أخذ النفس والبدن بأسباب القوة، والبعد عن أسباب الضعف والخور.⁽³⁾

إنَّ القوة البدنية من أهم المؤهلات المطلوبة للقيادة الراشدة، ويظهر ذلك في تعليق القرآن الكريم لمنح قيادة الجيش لطالوت، قال تعالى: ﴿... قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:247].

إنَّ القوة البدنية مطلوبة؛ لتبذل القيادة الراشدة ما تستطيعه في تحقيق مصالح العباد، ودفع المفاسد عنهم، فترجع الحقوق إلى أصحابها، وترفع الظلم عن المظلومين.⁽⁴⁾

5. القوة العلمية، والعملية:

إنَّ القوة العلمية هي القوة المعرفية للقيادة الراشدة، وتتحقق بأمرين:

الأول: العلم بالأحكام الشرعية الصحيحة المستفادة من الكتاب والسنة النبوية، بفهم السلف الصالح، مع الأخذ بالاجتهادات الصحيحة لعلماء الأمة المجتهدين في العصر الحاضر.

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (4: 2369).

(2) دليل التدريب القيادي: للدكتور هشام الطالب: 65.

(3) انظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم: للصَّلابي: 421.

(4) انظر: الإحسان؛ حقيقته، فضله، طريقه: لعبد المحسن بن حمد العباد البدر: 5.

الثاني: العلم بواجبات القيادة وحقوقها، وأنماطها في التعامل مع الرعية، وأساليبها في التعامل مع المواقف والأزمات، ووسائلها في تحقيق أهدافها وغاياتها، مع الاستفادة من العلوم الحديثة في علم القيادة والإدارة.

إنَّ القوة العملية تعني التزام القيادة الراشدة بما عَلِمَتْ في واقع حياتها، والعمل به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِمِينَ﴾ [الأعراف:170].

إنَّ الآية تُمثِّلُ صورة حية للالتزام بأحكام الإسلام، إنَّها صورة القبض على الكتاب بقوة وجدة وصرامة (يُمَسِّكُونَ)، الصورة التي يحب الله ﷻ أَنْ يأخذ عباده القرآن الكريم بها، من غير تشدد أو تنطع، فالقوة والجِدُّ لا تُنافي اليُسْرَ، وسعة الأفق، ومراعاة أحوال الواقع، ولكنها تُنافي التميع، والاستهتار، وتُنافي أن يكون الواقع هو المُقَدَّم على الكتاب والسنة.⁽¹⁾

إنَّ القيادة الراشدة لا بد لها من الجمع بين القوة العلمية، والقوة العملية؛ لتحقيق أمرين:
أ. الموازنة بين المصالح والمفاسد، وعدم ترك هذا الأمر لرغبات الرعية، وأهوائها، أو توجهاتها الحزبية؛ إذ لو فُتِحَ المجال أمامها لَغَيَّرَتْ أحكام التشريع الإسلامي.⁽²⁾
ب. المعرفة بطبيعة الموقع القيادي ومكانته، وفقه الطريق الذي يسلكه؛ لاجتناب الموانع وتحدي العوائق، والسير بالأمة إلى تحقيق أهدافها.⁽³⁾

السمة الثانية: الإحساس اليقظ:

إنَّ يقظة الإحساس من السمات الهامة التي يجب على القيادة الراشدة التمتع بها؛ فالقيادة الراشدة لا تمرُّ عليها الأشياء بشكل عادي، بل تحس بها بعمق، وتستشف منها المعاني بدقة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مَنَ أَنْصَارِي﴾ [آل عمران:52].

إنَّ الآية تدل على أنَّ صاحب الفكرة، والمهمة، والهدف، لا بد أن يكون يقظاً الحس؛ لأنَّه إنَّ سُدَّ بمواقفه أقوام، فإنَّه في المقابل يُغْضِبُ آخرين، فالقيادة الراشدة يجب عليها الالتفات إلى المشاعر والأحاسيس الخفية عند أفراد رعيته؛ لاختيار أفضل الوسائل والسبل للتعامل الصحيح مع كل أفراد الرعية، فهي تُعْمَلُ كُلُّ حواسها لتمييز بين المستجيب الصادق، والمنافق الغشاش، فالقائد الراشد مطالب بدقة الحس مع يقظته؛ ليحمي مجتمعه وأمته.⁽⁴⁾

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (3: 1388).

(2) انظر: الداعية البصيرة أخلاقه، وصفاته، ومنهجه، في ضوء الكتاب، والسنة الصحيحة، وأقوال علماء سلف الأمة: للدكتور علي بن عبد الله الصيَّاح: 15.

(3) انظر: مسافر في طريق الدعوة: للدكتور عادل عبد الله الشويخ: 57.

(4) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (3: 1487-1488).

إنَّ القيادة الراشدة تعتني بقضايا المسلمين، وتتفاعل معها بقوة، فهي متحمسة تجاه ما يصيب المسلمين في بقاع الأرض، من تسلط العدو، والقهر، والاضطهاد، والكوارث، لا تكفي بسلامة نفسها، بل تسعى لسلامة المسلمين في جميع أماكن تواجدهم (1)؛ قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ). (2)

السمة الثالثة: المروءة:

إنَّ المروءة خُلق عظيم يدفع إلى مراعاة كل الأحوال، بحيث تكون على أفضلها، فلا يظهر منها القبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها الذم باستحقاق. (3)

وقد ذكر العلماء للمروءة معاني متعددة، أذكر منها هذين المعنيين:

الأول: إغاثة الملهوف، ومساعدة الضعيف:

ويظهر هذا المعنى في فعل نبي الله موسى ﷺ مع ابنتي شعيب ﷺ، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقْيَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: 23-24].

فنرى هنا صاحب الهمة العالية، والمروءة السامية، والنفس الوثابة نحو مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، فقد سألهما بتعجب عن سبب وجودهما في هذا المكان، وعن الدافع عن تأخرهما عن السقي، فأخبرتهما بحالهما، فانطلق مسرعاً إلى معاونتهما، فسقى لهما، وهذه هي طبيعة النفوس الكبيرة، والفترة السليمة. (4)

الثاني: التغافل عن زلة الإخوان، وتسديدهم إلى الصواب برفق ولين، وترك عتابهم:

ونجد هذا المعنى في موقف نبي الله يوسف ﷺ مع إخوته، بعد كل الأمور السيئة التي فعلوها به، فقد تجاوز عن أخطائهم، ودعا بالمغفرة لذنوبهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّفَ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: 91-92].

(1) انظر: من روائع المنجد: لمحمد بن صالح المنجد: 318.

(2) انظر: مسند أحمد: (ح: 22877، ج: 37، ص: 517)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع: (ح: 11605، ج: 1، ص: 1161). قال الحافظ الزين العراقي في شرح الترمذي: "رجاله رجال الصحيح"، وقال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن مصعب بن ثابت، وهو ثقة". فيض القدير: للمناوي: (ح: 9151، ج: 6، ص: 255).

(3) انظر: أدب الدنيا والدين: لابن أبي الدنيا: 238.

(4) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 393-394).

فقد اعترف إخوة يوسف عليه السلام له بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، كما اعترفوا بجرمهم الحاصل منهم عليه ، فقابل إساءتهم بالترفع عن لومهم، ومسامحتهم على ما صدر منهم، دون أن يُعيرهم بذنوبهم السابقة، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا الفعل غاية في الإحسان⁽¹⁾، وهذا ما يجب على القيادة الراشدة سلوكه والسير عليه.

السمة الرابعة: الحيطة والحذر:

إنَّ أخذ الحيطة والحذر من الصفات اللازمة للقيادة الراشدة، فالحيطة والحذر مطلوبان عند التعامل مع الأعداء، وممن يُخشى وقوع الشر منهم، وهو من باب الأخذ بالأسباب، والوقاية من الشرور قبل وقوعها⁽²⁾، وقد أمر الله ﷻ به المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حُدُوا حُدْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء:71].

إنَّ القيادة الراشدة في أخذها بالحيطة والحذر متوازنة، فلا إفراط ولا تفريط، ومن الآيات التي يظهر فيها التوازن في الأخذ بالحيطة والحذر قوله تعالى في صلاة الخوف: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حُدْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمِينَتِكُمْ فَيَقِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُدُوا حُدْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:102].

السمة الخامسة: المبادرة:

إنَّ المبادرة هي اغتنام الفرص في وقتها، وعدم تركها حتى إذا فاتت عمل على إدراكها وطلبها، فالقيادة الراشدة لا تطلب الأمور في إدارها، ولا قبل وقوعها، بل إذا حضر وقتها بادرت إليها، بقوة وعزيمة ومضاء، كمن يبادر إلى قطف الثمرة وقت كمال نضجها، وإلا فسدت وسقطت.⁽³⁾

وقد أمر الله ﷻ المؤمنين بالمبادرة، واغتنام الفرص قبل ضياعها، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون:10].

(1) انظر: انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 404.

(2) انظر: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً: للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل: 115.

(3) انظر: كتاب الروح: لابن قيم الجوزية: 348.

ويبرز معنى المبادرة فيما قام به العبد الصالح، حيث بادر إلى بناء الجدار دون أن يطلب أحدٌ منه ذلك، وبدون مقابل، أو أجر؛ ليحفظ لليتيمين كنزهما، قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أُنِيَٰ أَهْلٌ قَرِيبٌ أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77].

السمة السادسة: التفاؤل (حُسنُ الظن بالله ﷻ، والثقة بوعده):

إنَّ من أبرز السمات المطلوبة في القيادة الراشدة التفاؤل؛ لما فيه من حسن الظن بالله ﷻ والثقة بنصره، وتحقيق وعده للمؤمنين، والشخصية المتفائلة صاحبة همة عالية، مقبلة على العمل بقوة وعزيمة وجدِّ، بعيدًا عن الكسل والخور؛ لأنها ترى دائمًا في نهاية الأمر (مهما كان شديدًا ومظلمًا) نورًا يُضيء لها الطريق، ويبعث فيها الأمل نحو تحقيق مرادها، كما أنها تتحمل مسؤولياتها، ولا تُضيع وقتها بإلقاء تبعات الفشل على الآخرين، بل تجتهد في وضع الحلول للمشكلات التي تواجهها؛ إيمانًا منها بأن المستقبل للإسلام، وأن أمة الإسلام مرشحة لقيادة العالم، وريادة البشرية، كما أنها تصبغ رعيتهما بصبغة الإيجابية والعمل، فالصفات لا تقتصر على القيادة وحدها، بل تتعداها إلى المجتمع بأسره، فالناس على دين ملوكهم.⁽¹⁾

إننا نجد روح التفاؤل ظاهرة وقوة عند نبي الله يعقوب عليه السلام، وذلك عند فقد ابنه الثاني بنيامين، فلم يفقد الأمل من الاجتماع بأبنائه جميعًا، وهو في هذا الظرف الصعب، قال تعالى: ﴿يَبْنَؤُا ذَهَبًا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

إنَّ الغمَّ والهَمَّ لم يُضعف ثقة نبي الله يعقوب عليه السلام في الله ﷻ، ولم يذهبُ برجائه في عودة ابنه إليه، فالتفاؤل قد أحيا الأمل في نفسه، وألقى في روعه أنهما من الأحياء، وأن موعد التقائه بهما قد حان، فطلب من أبنائه الرجوع إلى مصر، والبحث عن يوسف عليه السلام وأخيه، وأن يطلبوا أخبارهما في رفق وهدوء لا يُلفت أنظار الناس، وأوصاهم بعدم اليأس أو القنوط من رحمة الله ﷻ في العثور عليهما ورجوعهما؛ لأن القنوط هو سمة الكافرين الجاحدين.⁽²⁾

(1) انظر: الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات: للدكتور محمود عنبر: 23.

(2) انظر: تفسير المنتخب: لجنة من علماء الأزهر: 396.

السمة السابعة: الاعتراف بالخطأ، وعدم التماذي فيه:

إنَّ من طبيعة البشر الوقوع في الخطأ، يقول النبي ﷺ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ). (1)

"إنَّ الأكابر لا يأنفون من الاعتراف بالخطأ إذا أخطأوا، ولا يتلبثون في الرجوع إلى الحق، ولو عظمت مناصبهم، وعلت أقدارهم، والراسخون في الفضيلة لا يباليون أن يكون رجوعهم عن الخطأ أمام من خالفه وحده، أو بمحضر جمع كبير" (2).

إنَّ الاعتراف بالخطأ، والرجوع إلى الحق، من السمات الهامة للقيادة الراشدة؛ لأنَّه يُعبر عن صدقها مع رعيّتها، وثقتها بنفسها، والتزامها بالحق مهما كان قائله، كما أنَّه يقوي ثقة الرعية بالقيادة في جميع الأحوال والمواقف، ويزيد من قدر القيادة ومكانتها عند رعيّتها.

ولابد للقيادة الراشدة أن تثق أنَّ الاعتراف بالخطأ ليس فيه تنقيص لشأنها، بل هو رفعة

لها، ودليل على شجاعتها وقوتها، وبرهان على تحريها الصواب في جميع أفعالها. (3)

وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري في القضاء: "... لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل" (4).

وقد قصَّ علينا القرآن الكريم نماذج رائعة لاعتراف أهل الفضل والقوة بأخطائهم، منها

هذه الثلاثة:

أولاً: امرأة العزيز تعترف بذنبيها، وتبرء يوسف ﷺ مما رمته به، قال تعالى: ﴿... قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكَ لَخَصَّصَ الْوَحْيَ أَنَا زُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ۝ ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّیْ لَمْ اُخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا یَهْدِیْ كَيْدَ الْغٰیبِیْنَ ۝﴾ [يوسف: 51-52].

ثانياً: إخوة يوسف ﷺ يقرون بخطئهم، ويطلبون المغفرة لذنوبهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِن كُنَّا لَخٰطِیِیْنَ ۝﴾ [يوسف: 91]، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا بٰنَا اَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا اِنَّا كُنَّا خٰطِیِیْنَ ۝﴾ [يوسف: 97].

(1) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة: باب (49): (ح: 2499، ج: 4، ص: 659)، قال الترمذي: هذا حديث غريب

لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، قال الشيخ الألباني: حسن، انظر: صحيح الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري: (ح: 3139، ج: 3، ص: 121).

(2) رسائل الإصلاح: لمحمد الخضر حسين: (1: 45).

(3) انظر: المعلم الأول ﷺ: لفؤاد الشلهوب: 37.

(4) أخبار القضاة: للقاضي أبي بكر محمد بن خلف البغدادي، الملقب بوكيع: (1: 55)، وسنن الدار قطني: للحافظ

علي بن عمر الدار قطني: (ح: 4471، ج: 5، ص: 367)، ورد في تعليق المحققين على الحديث أنَّ الحديث في إسناده عُبيد الله بن حُميد وهو ضعيف.

ثالثاً: نبي الله موسى ﷺ يطلب المغفرة من الله ﷻ بعد قتله للقبطي، قال تعالى: ﴿...فَاسْتَعْتَذِرْهُ...﴾^[16-15].
 الَّذِينَ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِينَ مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص: 15-16].
 السمة الثامنة: الطموح:

إنَّ الطموح ميزة إنسانية، وطبيعة بشرية، فالإنسان مفطور على السعي والنشاط، وعدم الاكتفاء بما بين يديه، وإنما يبحث عن المزيد، وهذا ما يُعرَف بالطموح.
 إنَّ الطموح هو الذي دفع أبانا آدم ﷺ، وأُماً حواء إلى الأكل من الشجرة، قال تعالى:
 ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْئَلُ ﴾ ﴿ فَآكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءَةٌ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه: 120-121].
 إنَّ اتصاف القيادة الراشدة بسمة الطموح، يدفعها لبذل أقصى الجهد، والاستفادة من كل الطاقات والقدرات؛ لتبني لأمتها حضارة، وتصنع لها كيئناً، وتجعل لها كلمة مؤثرة مسموعة، وتضع أمتها في قيادة الأمم والشعوب.
 إنَّ الطموح أمرٌ محمود إذا انضبط بالأخلاق والقيم الإسلامية، فلم يعب القرآن الكريم على نبي الله سليمان ﷺ دعاءه بأن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص: 35].

كما دعا إبراهيم ﷺ الله ﷻ أن يهبه علماً، وحكمةً، وفهماً، قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخِفْيَ بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: 83].
 السمة التاسعة: قبول النصيحة:

إنَّ قبول النصيحة الهادف، والنقد البناء، سمة هامة للقيادة الراشدة؛ لما يترتب عليها من آثار عظيمة نافعة للقيادة والرعية على حدٍ سواء، منها هذه السبعة التالية⁽¹⁾:
 1. تُعين القيادة على اكتساب الأخلاق الفاضلة، والتخلي عن الأخلاق الهابطة.
 2. تقي القيادة من الوقوع في الخطأ، ومن التعرض للمراجعات والمساءلات.
 3. تُرشدها إلى قيادة الرعية بأفضل الأساليب، وتحقيق الأهداف بأيسر الطرق.
 4. تحقق لها كمال السيادة، وتمازج المروءة، ومنتهى الفضل.
 5. تبعث القيادة على التنزه من العيوب، والتطهر من النقائص.
 6. تُعينها على اختيار البطانة الصالحة التقية؛ لتتفقد عيوبها ونقائصها.
 7. تُلقَى من يُسدي لها النصيحة بالبشر والقبول، ومجازاة الناصح أكثر من مجازاتها للمادح.

(1) انظر: الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق السعيدة: لمحمد بن إبراهيم الحمد: 12.

إِنَّ قَبُولَ النَّصْحِ سَمَةٌ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَنَبِيَّ اللَّهِ ﷺ اسْتَجَابَ لِنَصْحِ الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ يَسْعَى مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَغَادَرَ مِصْرَ بَعْدَ قَتْلِهِ الْقِبْطِيِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 20-21].

السمة العاشرة: الحزم:

إِنَّ الْحِزْمَ مِنْ صِفَاتِ الْقِيَادَةِ الرَّاشِدَةِ النَّاجِحَةِ؛ إِذْ بِهِ تَظْهَرُ فِعَالِيَّتُهَا وَأَثَرُهَا فِي الْمَجْتَمَعِ، وَتَسْتَطِيعُ الْحِفَازُ عَلَى تَمَاسُكِ الْأَفْرَادِ، وَتَرَابُطِهِمْ، وَصِلَاحِهِمْ، وَحِفْظِ الْمَجْتَمَعِ مِنَ التَّفَلُّتِ وَالْفِشْلِ وَالْفِسَادِ. (1)

إِنَّ حَزْمَ الْقِيَادَةِ الرَّاشِدَةِ يَظْهَرُ فِي أُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ، أَلْخَصَهَا فِي النِّقَاطِ الثَّمَانِيَةِ التَّالِيَةِ:

1. الحزم في اتباع الأحكام الشرعية، وعدم الاستحياء من الحق، قال تعالى: ﴿...فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُوذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ...﴾ [الأحزاب: 53].

2. المبادرة إلى استغلال كل دقيقة من وقتها في أداء الواجبات الموكلة بها لخدمة الرعية.

3. أخذ المشورة من أهل الاختصاص والخبرة، قال تعالى: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

قال الماوردي: "اعلم أن من الحزم لكل ذي لب، ألا يبهر أمرًا، ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح" (2).

4. معالجة أمر الخارجين عن النظام بما يتناسب مع حالهم، وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ويحفظ للمجتمع أمنه ونظامه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33].

5. الوقوف في وجه التفريق والانقسام، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَفَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193].

(1) انظر: صفات القائد الدعوي: لعقيل بن محمد المقطري: 53-54.

(2) أدب الدنيا والدين: لابن أبي الدنيا: 308.

6. مجالسة أهل التقوى والإيمان والمروءة ومكارم الأخلاق؛ لما يتحقق لها من النفع في أمر دينها ودنياها، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِسَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:28].

7. التعرف على أحوال الرعية، والوقوف على مواطن القوة وتعزيزها، ومواطن الفساد وبيان أسبابها؛ لاستئصالها، وحسم موادها، لقوله تعالى: ﴿...وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:142].

8. انتهاز الفرص السانحة ثابتة النتيجة، وعدم الانشغال عنها بالأمر ظنية النتائج؛ ويمكن استخلاص هذا المعنى من معاتبة الله ﷻ للنبي ﷺ في تركه لعبدالله بن أم مكتوم ﷺ (الراغب في الإسلام) والانشغال عنه بموعظة بعض سادة قريش الذين يتوقع إسلامهم. السمة الحادية عشرة: الفطنة والذكاء:

تتميز القيادة الراشدة بالفطنة والذكاء، تُدرك ما يدور حولها من الأمور إدراكًا سريعًا، مع حُسن التصرف والتدبير في المواقف الصعبة والحرجة، وتقادي المباغيات الطارئة وفق ما يقتضيه العقل السليم الحكيم. إن فطنة القيادة، وذكاءها، له مظاهر متعددة، منها الخمسة التالية:

1. حُسن التدبير والتخطيط:

يدل على هذا المعنى ما فعله نبي الله يوسف ﷺ، لكي يستخلص أخاه من إخوته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَبْرِيُّ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿١٠٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَهُونَ ﴿١٠١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿١٠٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿١٠٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٠٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٠٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:70-76].

إن نبي الله يوسف ﷺ لما أراد أن يأخذ أخاه في كنفه، دبّر لإخوته موقفاً يُمكنه من أخذ أخيه بنيامين، وهذا التدبير كان بالاتفاق مع بنيامين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخِيهِ قَالَ لِ أَخِي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف:69]، فأمر بعض أعوانه بوضع الوعاء في متاع أخيه، ثم قام هؤلاء الأعوان بالإعلان عن فقْد صواع الملك، وأن إخوة يوسف ﷺ هم السارقون، فأنكروا قيامهم بالسرقة، ثم استطاع أن يستنطقهم الحكم بأنفسهم

على الفاعل (قَالُوا جَزَؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)، وهكذا أعانوا هم يوسف عليه السلام لتحقيق مآربه ببقاء شقيقه معه، ومن كمال الفطنة والذكاء أنه بدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ)، ثم استخرج صُوع الملك من وعاء أخيه؛ ليُطبَّق عليه قانون شريعة آل يعقوب؛ ويبقي شقيقه معه، وهذا دليل على الذكاء الحكيم.⁽¹⁾

2. قوة الفراسة:

وهي ما تتوسمه القيادة الراشدة من أفراد رعيتهما من الأخلاق؛ بدليل يظهر لها، أو علامة تدل عليه، أو شاهد يبدو منه، مع خفائه على غيرها⁽²⁾، سبيلها إلى ذلك التأمل في الأسباب وعواقبها، وفي المقدمات ونتائجها، فالفراسة إدراك بواطن الأمور من خلال النظر في ظواهرها⁽³⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75].

إنَّ المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن وسائل المتفرس ثلاثة:

الأولى: العين؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا لَمَسَهُمْ فَلَمَرَفْنَاهُمْ بِسِمَتِهِمْ...﴾ [محمد: 30].

الثانية: الأذن (السمع)، قال تعالى: ﴿... وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 30].

الثالثة: القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

3. القدرة على المحاوراة والإقناع:

تمتلك القيادة الراشدة القدرة على الإقناع، من خلال التأثير في الرعية بصدق انتمائها لمبادئها، ونقاء سريرتها، وجمال قيمها، وقوة شخصيتها، وحسن بيانها، واتزان سلوكها ومواقفها، واستخدامها الحجج والبراهين الواضحة البيّنة في محاوراة المخالفين المعاندين.

ومن مواقف الإقناع في القرآن الكريم، ما حكاه الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام في حوار

لقومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ هَذِهِ بَنَاتُنَا يَا بَرِئُهُمْ ﴿۱﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْتُوهُمْ

إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿۲﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿۳﴾ ثُمَّ تَكْسُؤًا عَلَيْهِمْ وَقَدَّ

عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿۴﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿۵﴾ أَتَىٰ

لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿۶﴾ [الأنبياء: 62-67].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (11: 7021-7027).

(2) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب: لأبي طالب المكي: (2: 371).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (13: 7745)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (8: 68).

فقد ظهرت مقدرة نبي الله إبراهيم عليه السلام في الإقناع من خلال سوقه قومه إلى الاعتراف بعدم جدوى عبادة الأصنام؛ فقد ترك الصنم الكبير، فلم يحطمه، ثم أرشد قومه إلى سؤال كبير الأصنام، إن أرادوا معرفة الفاعل، فقادهم إلى الإقرار بأن الأصنام لا تتنطق ولا تتكلم، ثم لما بان عجزهم، ودحضت حجبتهم، فاجأهم بالهجوم على عبادتهم الفاسدة، وأنهم لا عقل لهم بإصرارهم على تلك العبادة الباطلة، ولما ظهر الحق، وزهق باطلهم، اتجهوا إلى استعمال قوة الملك والسلطان⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:68].

4. القدرة على استشراف المستقبل، ومعرفة طبائع الرعية وأخلاقها:

إن امتلاك القيادة الراشدة لملكة معرفة طبائع الناس؛ لاستشراف ما يصدر عنهم من الأفعال، أمر لا بد منه؛ لتقي رعيته من عواقب الأمور، وتصل بها إلى بر الأمان. إن من أهم المواقف الدالة على هذا المعنى، وصية نبي الله يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام عندما قصَّ عليه رؤياه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:5].

فقد توجه لابنه يوسف بشفقة ورحمة؛ بالأخبار إخوته بما رأى في منامه، وهذا يدل على أمرين:

الأول: استشراف يعقوب عليه السلام من الرؤيا أن الله عز وجل سيعطي يوسف عليه السلام من فضله عطاءً عظيمًا.

الثاني: معرفة يعقوب الأكيدة بطبائع أبنائه، وأن من شأنهم الحسد ليوسف عليه السلام، والكيد لإيقاع الأذى به، مع ظهور عداوتهم له⁽²⁾؛ لغيرتهم من يوسف عليه السلام؛ لاستثنائه في ظنهم على محبة أبيه دونهم.

5. سرعة البديهة (النباهة):

إن سرعة البديهة مطلوبة للقيادة الراشدة؛ لتخلصها من المواقف الصعبة والمباغطة التي تواجهها، ولتبقى القيادة في موقف القوة، قادرة على مباغطة المخالفين بالحجة والدليل في أي لحظة؛ لأنها لا تدري طبائع الناس الذين تواجههم، والموقف لا ينتظر التفكير الطويل، بل الإجابة السريعة الدقيقة، وهذه الصفة ترجع إلى مدى حدة نكاه القيادة الراشدة، وشدة انتباهها، وطول تجربتها، وثقتها بنفسها، وقدرتها على السيطرة على الموقف دونما ضعف أو خوف.⁽³⁾

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 525-526.

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (7: 318).

(3) انظر: البيان الزاهر إلى فرسان المنابر: لعبد الرحمن الأحمد: 18.

وقد قصَّ علينا القرآن الكريم موقفاً رائعاً لنبي الله إبراهيم عليه السلام، وهو يحاور النمرود، تبرز فيه سرعة البديهة لدى نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ حيث استطاع إفحام الخصوم، وإبطال حججهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيِّتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمَيِّتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 258].

فقد ابتدأ إبراهيم عليه السلام المناظرة بذكر صفة الإحياء والإماتة التي تفرد الله تعالى بها، ولا يمكن لأحد أن يزعمها، لكنَّ النمرود الجاحد زعم أنه بِنَفَاذِ أَمْرِهِ قَادِرٌ عَلَى الإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمَيِّتُ)، لكنَّ إبراهيم عليه السلام لم يسترسل في الجدل حول معنى الإحياء والإماتة، وخاصة مع من يُماري في أوضح الحقائق، بل انتقل إلى سنة كونية ظاهرة مرئية، وعدل عن طريق العرض المجرد، إلى طريقة التحدي (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)، فطلوع الشمس من المشرق أمر ظاهرٌ للعالم والجاهل، وهي شاهد يخاطب الفطرة، وهي تتحدث بلسان الواقع الذي لا يقبل الجدل، ولا مجال لسوء الفهم، فكانت النتيجة (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، فلم يستطع الوقوف أمام دلائل الحق، وظهرت عليه الحيرة والدهشة، ومع كل هذا بقي على كفره وعناده؛ لأنَّ الله تعالى لا يهدي من لم يتلمس الهداية، ولم يرغب في الحق، ولم يلتزم القصد والعدل. (1)

المطلب الرابع: السمات الإدارية للقيادة الراشدة:

إنَّ للقيادة الراشدة متطلباتٍ، ومؤهلاتٍ إداريةً لا بد من توافرها؛ لِتُوفَّقَ إِلَى اختيار أفضل الوسائل والأساليب المشروعة، في سبيل تحقيق أهدافها وغاياتها المشروعة، وتولّد لديها القدرة على التمييز بين المصالح والمفاسد، وتدبير شئون الأمة، وقيادتها نحو التقدم والنهوض، وتتأقلم مع المتغيرات الطارئة لتقاوم وتستمر، وتؤدي مهمتها على أجود ما يكون، متخذة من الإسلام فكراً، وغاية، ومنهجاً، وسلوكاً.

إنَّ السمات الإدارية يمكن أن نطلق عليها: مجموعة المهارات، والمعارف، والقيم الإدارية التي تعين القيادة الراشدة على تنفيذ المهام المطلوبة منها على اختلاف أنواعها، وعلى جميع مستويات الأفراد، ومسئولياتهم في الدولة الإسلامية؛ وفقاً لما تقتضيه السياسة الشرعية.

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (1: 298).

وقد ذكر القرآن الكريم جملة من السمات الإدارية التي يجب أن تتمتع بها القيادة الراشدة، أجمالها في السبع عشرة التالية:
السمة الأولى: الشورى:

إنَّ الشورى؛ استنباط المرء للرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها، فتأتي الشورى للترجيح بين الأمرين⁽¹⁾.

والشورى من أهم الوظائف الإدارية للقيادة الراشدة، فلقد أمر الله ﷺ نبيه محمد ﷺ بالشورى، قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ لَكُنُوتًا فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُوا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

فقد أمر الله ﷺ نبيه ﷺ بهذه الأوامر التي هي بتدرجٍ بليغ؛ فأمره أولاً بأن يعفو عن المؤمنين فيما يتعلق بذاته، ولما تحصلوا على هذه الدرجة أمره أن يستغفر لهم فيما يتعلق بذات الله ﷺ، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلاً للاستشارة في الأمور، والآية تدل على أنَّ الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، وأنَّ من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب⁽²⁾، وأنَّ أهل المشورة لا بد أن يكونوا ممن يستحقون العفو، والدعاء لهم بالمغفرة.

إنَّ الله ﷺ امتدح المؤمنين بصفة الشورى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38].

"أي يتشاورون فيما بينهم في الأمور الخاصة والعامة، ولا ينفردون برأي في كل أمر من القضايا العامة؛ كتولي الحكم، وشؤون تدبير الدولة، والتخطيط لمصالحها، وإعلان الحرب، وتولية الولاية والحكام والقضاة وغيرهم"⁽³⁾.

وقد سلك الصحابة الكرام طريق النبي ﷺ في الشورى، والتزموا منهجه، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ "إذا ورد عليه أمر، نظر في كتاب الله ﷺ، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم، وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم"⁽⁴⁾.

(1) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة: للراغب الأصفهاني: 192.

(2) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: (1: 534, 535).

(3) التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (25: 81).

(4) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني: (13: 354).

إنَّ التزام القيادة الراشدة بمبدأ الشورى يعود عليها بفوائد عظيمة في أمور دينها ودنياها،
منها الفوائد الخمس التالية⁽¹⁾:

1. إنَّ الشورى من العبادات التي يُتقرب بها إلى الله ﷻ.
 2. إنَّ الشورى فيها تطيب لنفوس الناس، وتألّف لقلوبهم، وتسميخ لخواطرهم.
 3. بذل الرعاية غاية جهدها وقدرتها؛ لطاعة القيادة الراشدة، وإسداء المشورة الصادقة لها.
 4. تعمل الشورى على تنوير عقول القيادة والرعية على حدٍّ سواء؛ بسبب إعمالها فيما وضعت له.
 5. الوصول إلى الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله.
- يقول ابن العربي: "الشورى أُلْفَةٌ للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تتشاور قوم إلا هُودوا"⁽²⁾.

السمة الثانية: الاستفادة من ذوي الخبرة والاختصاص:

إنَّ القيادة الراشدة في كل مراحل حكمها تحتاج إلى أهل الخبرة والعلم في المسائل المختلفة التي تواجهها، ويجب عليها الاعتراف بذلك، وعدم المكابرة والاعتزاز برأيها؛ حتى تصل إلى أحسن النتائج وأفضلها، فأهل الخبرة يوجّهون القيادة إلى ما فيه الخير لها ولرعيّتها. وقد وجّه القرآن الكريم المؤمنين إلى سؤال أهل العلم والخبرة عند عدم إدراكهم لأمر ما، قال تعالى: ﴿... فَتَلَوُاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]، [الأنبياء:7].

فإذا غابت عن القيادة الراشدة قضية من القضايا، وخفيت عليها مسألة من المسائل، وجب عليها البحث عن أهل الخبرة؛ لتضع الحلول، وتستخلص النتائج، وتصل بالرعية إلى برِّ الأمان، فالحكمة محط أنظار أهل العقل والرشاد، يأخذونها ممن كان أهلاً لها. ومن المواقف التي يظهر فيها هذا المعنى بقوة بحثُ المَلِكِ في عصر نبي الله يوسف عليه السلام عمَّن يُؤوّل له منامه من أهل الخبرة بالأحلام، حيث أبان هذا الموقف عن ثلاثة أصناف من الناس:⁽³⁾

الأول: أخذ من المكابرة سبيلاً في الحكم على حلم الملك، وجزموا أنّها ليست رؤيا وإنّما هي أضغاث أحلام، وأنّهم لا خبرة لهم بتأويل الأحلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف:44]، وهذا جرّم منهم بما لا يعلمون، فجمعوا بين الجهل والجزم، فلم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والرأي.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 154.

(2) أحكام القرآن الكريم: لابن العربي: (4: 1656).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 339.

الثاني: ساقى الملك الذي توجه إلى أهل الخبرة (نبي الله يوسف عليه السلام) بما علم من صدقه في التأويل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ يوسف: 45-46.﴾

الثالث: المَلِكُ يُقَدَّرُ أهل الخبرة والصدق؛ فيتخذ من يوسف عليه السلام مسؤولاً عن إدارة الأزمة الاقتصادية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِوَضْعٍ آسْتَحْلِضُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: 54].

السمة الثالثة: الاستفادة من الوقت، وعدم تضييعه:

اعتنى الإسلام بالوقت بعناية كبيرة، وحثَّ على الاستفادة منه، يقول النبي ﷺ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)⁽¹⁾، وهذا يدلُّ على وجوب الحفاظ على الوقت، وعدم إهداره في أعمال تَحْرِفُنَا عن الطريق، وتبتعد بنا عن تحقيق الهدف.⁽²⁾

إنَّ من أبرز السمات الإدارية للقيادة الراشدة، عنايتها بالوقت، والتمكن من إدارته بالمستوى المطلوب، حيث تُسَخَّرُ الوقت لتحقيق أهدافها، وتخضعه لسيطرتها، بدلاً من أن يفرض سيطرته عليها، مع الاستفادة القصوى من الوقت في تحقيق الأعمال الموكلة بها، فيما أُتِيحَ لها من وقت على أكمل وجه، وإيجاد التوازن الفعَّال في حياتها بين الواجبات والرغبات والأهداف⁽³⁾، ولها في الأنبياء والمرسلين القدوة الحسنة.

ومن أبرز المواقف الدالة على حسن استغلال الوقت ما كان من نبي الله سليمان عليه السلام لما أراد الحصول على عرش بلقيس، قال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ قَالَ عِفْرِيثُ مِنَ الْغِيْنِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ... ﴾ [النمل: 38-40].

- (1) مسند الإمام أحمد: مسند أنس بن مالك: (ح: 12981، ج: 20، ص: 296)، قال الألباني: "وهذا سند صحيح على شرط مسلم". سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني: (ح: 9، ج: 1، ص: 38).
- (2) انظر: الجامع في الرسائل الدعوية: لعلي بن نايف الشعود: 457.
- (3) انظر: ثلاثون وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً: لأمير بن محمد المدري: 49.

إنَّ نبي الله سليمان ﷺ يستشرف أنَّ القوم سيسارعون إلى الإسلام، لهذا طلب من جنوده أن يأتيه بعرشها، وحدد زمن الإتيان بهذا العرش (قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ مُسْلِمِينَ)، مع العلم بصعوبة المهمة؛ لبعد المسافة، وقلة الإمكانات المادية، ولهذا تصدى لها عفريت من الجن، على أن يحضره قبل انتهاء مقام سليمان ﷺ في القضاء بين رعيته، وعَلَّ تصدده لها بقوله (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)، ولكنَّ الوقت مهم، والفترة غير محددة؛ ساعة أو ساعتان، فسليمان ﷺ يريد إنجاز المهمة في أقل من ذلك، فكان التصدي لها من صاحب العلم بالكتاب، وهو إحضار العرش في فترة إغماض الجفن، أو أقل من ذلك، وكان له ما أراد، حيث رأى العرش مستقرًا عنده. (1)

فائدة:

إنَّ زمن انجاز المهام يتناسب مع القوة عكسيًا، فكلما كان الإنسان قويًا، كان الزمن المقدر لإنجاز المهام قليلًا، والعكس صحيح.

السمة الرابعة: اختيار البطانة الصالحة:

إنَّ من توفيق الله ﷻ للقيادة الراشدة أن يُوقفها في اختيار البطانة الصالحة، والموظفين الأمناء، الذين يدُلُّونها على الخير، ويحثونها عليه، ويحذرونها من الشر، ويمنعونها منه، لذلك فإنَّ من أهم سمات القيادة الراشدة حُبُّ أهل الخير والصلاح، والسعي إلى تقربهم، وبُغْضُ أهل الشر والفساد، والنفور منهم.

وقد حذَّر القرآن الكريم المؤمنين من بطانة السوء، من الكافرين والمنافقين، والركون إليهم، واللجوء إليهم في مصالح المسلمين الدينية والدنيوية، قال تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُم بِحَالٍ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ أَلْبَعَضَةُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118].

ويظهر حرص القيادة الراشدة على اتخاذ البطانة الصالحة في مواقف قرآنية متعددة، منها هذه الأربعة:

1. اختيار موسى ﷺ لأخيه هارون ﷺ، ليكون عونًا له في دعوته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿ أَشَدُّ بِهِءَ أَزْرِي﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿ [طه: 29-32].
2. استخلاف موسى ﷺ لأخيه هارون ﷺ، على قومه لما ذهب موسى ﷺ لملاقاة ربه سبحانه، قال تعالى: ﴿... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ خَلْفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10782-10785).

3. اتخاذ عيسى عليه السلام الحواريين أنصاراً لدعوته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52].

4. النبي محمد ﷺ يتخذ من الصحابة الكرام أعاوناً ونصراء، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾ [الفتح: 29].

فائدة: إنَّ المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أنها ذكرت ثلاثة أنواع من البطانة وهي:

أولاً: البطانة الصالحة (بطانة الخير): وهي ما ذكر في الأمثلة السابقة.

ثانياً: البطانة الفاسدة (بطانة الشر): وهي التي تحت القائد على الشر والفساد، وتغريه به،

للتكيد بالحق وأهله، كهامان، وقارون بطانة فرعون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْعِنَ وَقَرْنُونَ ففَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿ فَمَا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿﴾ [غافر: 23-25].

ثالثاً: البطانة السلبية (التابعة): وهي التي تؤيد القائد في كل شيء، فرأيها رأي القائد، كبطانة بلقيس ملكة سبأ، فهي في انتظار ما يقرره القائد، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوأ قُوَّةٍ وَأُولُوأ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: 32-33].

السمة الخامسة: الاستفادة من طاقات الأتباع وتوظيفها:

إن من السمات الإدارية للقيادة الراشدة، القدرة على الاستفادة من قدرات الأعاون،

وتوظيفها التوظيف الصحيح، فإنَّ كيفية تحويل تعاطف الناس واندفاعهم، إلى بناء وعطاء، من

أكبر التحديات التي تواجه القيادة الراشدة، إذ من واجبها تربية الناس، والانتقال بهم من مرحلة

الكلام وتكثير السواد، إلى مرحلة الوعي والإنتاج.⁽¹⁾

وقد ذكر لنا القرآن الكريم نماذج رائعة لتوظيف القائد لطاقات أعاونه، منها هذان النموذجان:

النموذج الأول: ذو القرنين مع ما أعطاه الله ﷻ من القوة والمال والجند، يوظف الطاقة البشرية

لدى المستعنين به، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ

أَنْ نَجْعَلَ لِيَنَّا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا

سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿﴾ [الكهف: 94-96].

النموذج الثاني: سليمان عليه السلام يوظف طاقات أتباعه، في إحضار عرش بلقيس، قال تعالى: ﴿قَالَ

يٰأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿﴾ [النمل: 38].

(1) انظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى: لعلبي بن نايف الشحود: (5: 27).

السمة السادسة: وضوح الرؤية والهدف لدى الأتباع:

إنَّ وجود الرؤية الواضحة، في الأفكار والمبادئ والمنطلقات والأصول، من أهم مقومات القيادة الراشدة، فهي تنظر إلى المستقبل، وأتباعها من منظار واحد؛ لضمان المشاركة الفعالة من الرعية في الوصول إلى تحقيق أهدافها، فتحقيق الأهداف منوط بما تبذله الرعية من الجهد والعمل للوصول إلى المراد، فالقيادة الراشدة أفكارها منطقية ومرتبطة، وموضوعاتها محددة، وقواعد منهجها دقيقة، تتحرك على بصيرة من أمرها، وفق ترتيب الأولويات والمصالح التي ينبغي البدء بها قبل غيرها، وهذا بدوره يقضي على الكثير من الانحرافات في الفهم والسلوك عند الأتباع والمؤيدين.

إنَّ من أبرز المواقف التي تدل على وضوح الرؤية للأتباع، وضوح الرؤية لدى جند سليمان عليه السلام، وهي تحقيق التوحيد لله تعالى في هذا الكون، حيث نجد الهدد قد فهم هذا الهدف، وسعى لتحقيقه، فانطلق داعية إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطِّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ ﴿٢٦﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشُ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٨﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ [النمل: 22-26].

إنَّ الهدد عارف بقضية العقيدة والتوحيد، والرؤية لديه واضحة، والهدف الذي يسعى سيده لتحقيقه مائلٌ أمامه؛ لهذا أنكر على قوم سبأ عدم معرفتهم بالمعبود الحق (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، إنَّها موعظة بليغة من واعظ مُتمكِّن، يعلم منهجه ويدعو إليه، قد أنثر في نفسه ألماً انصراف العباد عن العبادة الخالصة لله تعالى.⁽¹⁾

السمة السابعة: سياسة الباب المفتوح:

إنَّ من أعظم صفات القيادة الراشدة أن تفتح قلبها قبل بابها لمن هم تحت ولايتها؛ ليرفعوا تظلماتهم وشكاواهم واقتراحاتهم، وهذا ما يُسمى في علم الإدارة (سياسة الباب المفتوح).⁽²⁾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ دَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ تعالى أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ)⁽³⁾.

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10773).

(2) انظر: الرقابة الإدارية: لعبد العزيز الدغبير: 27.

(3) مسند الإمام أحمد: حديث عمرو بن مرة الجهتي: (ح: 18033، ج: 29، ص: 565)، قال الشيخ الألباني:

حديث صحيح. انظر: الترغيب والترهيب: للحافظ المنذري: (ح: 2208/3208، ج: 1، ص: 855).

ونجد هذا المعنى في استماع يوسف عليه السلام لتظلم إخوته في شأن أخيهم بنيامين، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿يوسف: 78-79﴾.

كما استمع يوسف عليه السلام لشكواهم سوء حالهم، والرغبة عن بضاعتهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَنَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ ﴿يوسف: 88﴾.

السمة الثامنة: حسن الإصغاء للرعية:

إن القيادة الراشدة مطالبة بحسن الاستماع للرعية، مع الإصغاء الجيد والانتباه لما تقول، فإن ذلك مما يرفع الحواجز بين القيادة والرعية، ويحقق الأمن الاجتماعي، والطمأنينة النفسية للرعية، مما يدفع الرعية إلى حسن السمع والطاعة؛ لشعورها بقرب القيادة منها. وقد عاب المنافقون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يستمع لكل أحد، ولو كان من عامة الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿التوبة: 61﴾.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستمع لكل أفراد الرعية، الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الحر والعبد، وكل ما يسمعهم منهم يعرضه على منهج الله تعالى، فإن وافق القرآن الكريم أنفذه وأمضاه، وإن تعارض مع المنهج رده ورفضه. (1)

السمة التاسعة: مكافأة المحسن، ومجازاة المسيء:

إن من السمات الإدارية الهامة للقيادة الراشدة، أنها تكافئ المحسن بإحسانه، دون أن تجعل لمكافأته حداً؛ فيألف الأتباع الإحسان رغبة في المكافأة، فيترى المجتمع على الإحسان، ويصبح الإحسان من شيم الرعية وأخلاقها، وتجازي المسيء من غير أن تجعل للمجازاة صفة معلومة، لا في عفو ولا في عقوبة؛ لأن المسيء إذا علم حصول العفو اجترأ، وإن علم حصول العقوبة قنط، والحكمة في عدم إدراك ذلك؛ هي بقاء المسيء بين رجاء العفو، والخشية من العقوبة، وهذا أبلغ في تأديبه. (2)

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (9: 5248).

(2) انظر: درر السلوك في سياسة الملوك: لأبي الحسن الماوردي: 122.

وتبرز هذه السمة في الموقفين التاليين:

الأول: ذو القرنين يكافئ المحسن، ويجازي المسيء، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْبٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلَنًا يَدْعُوا الْقَرْنَيْنِ إِمًّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمًّا أَنْ تَنْجِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۗ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۗ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۗ﴾ [الكهف: 86-88].

الثاني: يوسف عليه السلام يعلن أن من أحضر صواع الملك له مكافأة وهي حمل بعير، قال تعالى: ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۗ﴾ [يوسف: 72].

السمة العاشرة: القدرة على مواجهة المشكلات، وحلها:

إن من السمات الإدارية المتوقعة من القيادة الراشدة امتلاك مهارة حل المشكلات، واتخاذ القرار المناسب لكل مشكلة تواجهها، الداخلية منها والخارجية، وهذا الأمر منوط بما أنعم الله ﷻ به على القيادة الراشدة من العقل للتفكير والتدبير، فإن أي مشكلة يتحقق حلها بواسطة التفكير بأنماطه المختلفة؛ لاستخلاص أنسب الحلول المتاحة، وأنسب الأدوات الملائمة، للتعامل مع المشكلة والخروج منها.

ونذكر في هذا المقام نموذجاً قرآنياً لمشكلة داخلية، وكيفية التعامل معها، وهي ما وقع بين المؤمنين من الخلاف المؤدي للقتال، أو بغى جماعة ما وخروجها عن اتفاق الأمة، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَىٰ حَتَّىٰ تَفِئَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْمَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۗ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۗ﴾ [الحجرات: 9-10].

إن الواجب على القيادة الراشدة التعامل مع المشكلات، واتباع المنهج الصحيح في الخطوات المتبعة لحل المشكلة، وفق ترتيب الأولويات، وهي ست على النحو التالي: (1)

1. يجب على القيادة الراشدة الإصلاح بين الفئات المتخاصمة من رعيتهما، لوضع نهاية للنزاع الداخلي، وذلك بالدعوة إلى كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ، وبالنصح والإرشاد، والجمع والتوفيق بين وجهات النظر.
2. إن تعدت إحدى الفئتين ولم تستجب إلى حكم الله ﷻ، والالتزام بسنة نبيه ﷺ، وأفسدت في الأرض، وجب قتالها باستعمال الأخرى فالأشد؛ حتى ترجع إلى حكم الله ﷻ.

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (26: 240-245).

3. اعتقاد القيادة الراشدة إيمان الفئة الباغية، فقد أثبت القرآن لها ذلك (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)، فالبغي لا يُزيل اسم الإيمان، فالله ﷻ سَمَّاهُمْ إِخْوَةَ مُؤْمِنِينَ، مع كونهم باغين.
4. يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدت إقامته إلى إثارة الفتنة، أو تشتيت الكلمة.
5. وجوب العدل عند التصدي للمشكلة لحلها (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا).
6. إنَّ "أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب"⁽¹⁾، (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ).

السمة الحادية عشرة: التثبيت من الأخبار:

إنَّ من سمات القيادة الراشدة التثبيت من المعلومات والأخبار التي تُثقل إليها؛ لتكون الأحكام التي تُصدرها صحيحة سليمة، وحتى لا تُعرض القيادة نفسها للإحراج أمام الرعية، مما يؤدي إلى ضعف ثقة الرعية في القيادة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلِكُمْ فَنُصِبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:6].

إنَّ الله ﷻ نهى المؤمنين عن الإعلان عن أيِّ أمرٍ ترتبط به حياة الرعية، إلا بعد التأكد منه من خلال عرضه على المختصين، فقال تعالى في معرض ذمه للمنافقين في سرعة إشاعتهم للأخبار، دون التثبيت من صحتها: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:83].

السمة الثانية عشرة: المعرفة الواسعة بالأنماط الإدارية المختلفة، وأساليبها:

إنَّ الإحاطة بأنماط الإدارة، وأساليبها، وجوانبها المختلفة، والمستجدات التي تطرأ عليها، من السمات الإدارية المطلوبة في القيادة الراشدة؛ لأنها تجعل القيادة أكثر دقة في التعامل مع المواقف التي تواجهها؛ باختيار الأساليب والوسائل المناسبة للموقف، مما يعود على القيادة والرعية بجودة الإنتاج، ونجاعة العلاج، مع توفير الوقت والجهد.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السمة إشارة خفية، يمكن استنباطها من قوله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...﴾ [يوسف:108].

(1) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (16: 323).

إنَّ الآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَبِيلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، الْمَعْرِفَةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي تُظْهِرُ مَعَالِمَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ لِلنَّاسِ، وَالْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ الْبَيِّنَةُ، الَّتِي تُمَيِّزُ بَيْنَ جَمَالِ الْحَقِّ، وَبَيْنَ قُبْحِ الْبَاطِلِ، لِتُنَجِّحَ فِي إِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ⁽¹⁾، وَهَذَا الْمَعْنَى يُشِيرُ إِلَى أَنَّ تَسْلُحَ الْقِيَادَةِ بِمَعْرِفَةِ التَّوْجِهَاتِ الْإِدَارِيَّةِ الْمَخْتَلِفَةِ، يُجَلِّي لَهَا مَعَالِمَ الطَّرِيقِ، وَتَتَحَرَّكُ فِيهَا بِبَصِيرَةٍ مُسْتَنِيرَةٍ، وَمِنْهَجٍ سَدِيدٍ؛ لِتَتَجَاوَزَ كُلَّ الْعُقَبَاتِ وَالْمَعْوَقَاتِ الَّتِي تَوَاجِهَهَا.

ويظهر هذا المعنى بوضوح تام، في قول نبي الله يوسف ﷺ، لملك مصر، قال تعالى:

﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾ [يوسف: 55].

السمة الثالثة عشرة: التفويض:

إنَّ الأعباء الملقاة على عاتق القيادة الراشدة كثيرة، والمهام التي يجب عليها القيام بها لا تنتهي، وطاقة القيادة محدودة، وقدراتها تقصر عن إدراك كل القضايا؛ فهذا وغيره يُوجب عليها أن تفوض بعض الأعمال والأعباء التي يمكن أن يقوم بها غيرها من المسؤولين النقات الأمانة، وهذا يمنحها مزيداً من الوقت؛ للتعامل مع أعباء أكثر أهمية، ويجعلها تتفرغ للقيام بواجبها الرئيس، في وضع الخطط والاستراتيجيات، ومتابعة الأعمال والتوجيه، وحسن تقييم العمل، بدلاً من الانشغال بصغائر الأعمال التي يمكن تفويضها للغير.⁽²⁾

وتفويض القيادة الراشدة بعض الأعمال للآخرين، لا يعني استغلالهم، بل لحفظ الوقت،

وتطوير مهارات الأتباع في التعامل مع القضايا المختلفة.

ومن المواقف القرآنية الدالة على التفويض الناجح، تفويض سليمان ﷺ لأتباعه مهمة

الإتيان بعرش بلقيس، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ قَالَ عِفْرِيُّ مَنِ الَّذِي أَنَا بِأَيْدِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: 38-40].

إنَّ المتأمل للآيات السابقة يجد أنَّ نبي الله سليمان ﷺ قد طبَّق مبادئ التفويض

الناجح من ثلاثة وجوه:

1. وضوح المهمة المفوضة (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا).
2. تحديد الزمن المتاح لاستخدام الصلاحيات، وزمن انتهاء المهمة (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ).
3. اختيار الشخص المناسب الذي سيتم تفويضه، والتأكد من أنه أفضل من يصلح لذلك (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ).

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (7: 423).

(2) انظر: فقه مواجهة الدعاة لضغوط العمل: المصدر: <http://www.ala7rar.net>.

ومن خلال ما سبق نرصد ثلاث فوائد: (1)

أولاً: إنَّ التفويض لا يكون في الأمور المصيرية، والتي تتعلق بقيم الأمة، ومبادئها، وثوابتها، فهي من اختصاص القيادة فقط، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [ص:26].

ثانياً: إنَّ التفويض لا يكون إلا لمن تثق القيادة الراشدة بدينه، وخلقه، ورأيه، قال تعالى: ﴿...وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:142].

ثالثاً: يجب على القيادة الراشدة عدم اللجوء إلى التفويض إلا عند الحاجة فقط، مع الحذر الشديد عند تفويض المهام؛ حتى لا تساهم في تعدد مراكز القوى، وتكاثر قيادات الظل (2)؛ لأنها ستدخل الأمة في الصراعات والخلافات، فتكون القيادة الأكثر ورزاً.

السمة الرابعة عشرة: التواصل والاتصال:

تُعد مهارة التواصل والاتصال من أهم السمات الإدارية للقيادة الراشدة؛ لأنها الوسيلة الأساسية في إيصال المعلومات، وتوضيح الأفكار، وفي اتجاهات مختلفة، فالتواصل والاتصال ضرورة ملحة بين القيادة والرعية، يتوقف عليها جزء كبير من فاعلية القيادة وتأثيرها، ونجاحها في أداء مهمتها، وإيصال الفكرة الصحيحة للرعية؛ حتى تولد ناتجاً سليماً، ويفقدها يقع الناس في النزاع والشجار والخلاف، نتيجة الفهم الخاطئ لمراد القيادة من الكلام، والتأويل الفاسد لألفاظها، والتوظيف السيء لأعمالها ومواقفها. (3)

وقد أبان القرآن الكريم عن نماذج رائعة للتواصل والاتصال الفعال، استخدمها الأنبياء في دعوتهم أقوامهم إلى توحيد الله ﷻ، باذلين في سبيل ذلك كل ما أنعم الله ﷻ به عليهم من مهارات وإمكانات ومواهب وقدرات، وليس أدل على ذلك ما ذكره الله ﷻ عن نبي الله نوح ﷺ في دعوته لقومه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبَّاءَ وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي مَا ذُنِبُوا وَاسْتَعْصَمُوا بِبَابِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٤﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٥﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٦﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنُودًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٧﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٨﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١١﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٢﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٤﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٥﴾ [نوح:5-20].

(1) انظر: الأهلية الشرعية للقيادة الإسلامية: لفتحي يكن: 20.

(2) قيادة الظل هي القيادة الخفية التي تُسيّر أمور الدولة على الحقيقة، دون الظهور في حياة الناس، والقيادة الظاهرة هي مجرد منفذ لسياسات قيادة الظل.

(3) انظر: كيف توصل فكرتك إلى الآخرين؟: لخالد الصادقي: المصدر: <http://www.islamselect.com>.

لسلوك، أو اكتساب لعلم، أو تنمية لخبرة بما يوفر أوقاتهم؛ فتكرار الخطأ مرة بعد مرة يُعدُّ من أكثر العوامل التي تضيق الوقت⁽¹⁾.

وقد أشار إلى هذا المعنى الدكتور عبد الكريم زيدان فقال: "ولا يكفي أن يُعيَّن الخليفة الأكفأ الأمناء، بل عليه أيضاً أن يراقبهم في أعمالهم فقد (يخون الأمين، ويغشُّ الصالح) كما يقول الفقهاء، وحتى إذا استبعدنا خيانتهم وغشهم، فلا يمكننا استبعاد خطئهم، وظلم الناس خطأ كظلم الناس عمداً من جهة لُحوق الضرر بالمظلوم، وكرهه للظلم، فلا بد من المراقبة المستمرة، والمحاسبة الدائمة للموظفين؛ حتى لا تقع خيانة ولا غش، ويقبل الخطأ، ويعرف الناس شدة حرص الخليفة على العدل، ومنع الظلم، ويخرج هو من عهدة الخلافة، ومسؤولية الحكم"⁽²⁾، قال تعالى: ﴿يٰۤاٰوْدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَظْلُمُوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَّمَّا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:26].

وقد ذكر القرآن الكريم مثالا لمتابعة القائد لرعيته، حيث كان زكريا عليه السلام يُتابع أحوال مريم (عليها السلام)، فقال تعالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُْمَ اِنِّىْ لَلرَّءِىْفُ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37].

السمة السادسة عشرة: التحلي بروح المسؤولية:

إنَّ القيادة الراشدة تنصدر تحمل المسؤولية عندما توجب الأمور ذلك، خاصة في الأوقات الصعبة، والمواقف الشديدة، فهي لا تتهرب من مسؤولياتها، ولا تُلقِي بتبعات الإخفاق في تحقيق الأهداف على من هم دونها من الموظفين والأتباع، بل تتحمل المسؤولية بشجاعة، وتبحث في الوقت ذاته عن عوامل النجاح، ومعالجة الموقف.⁽³⁾

إنَّ نبي الله موسى عليه السلام قد تحمَّل مسؤوليته في قتل القبطي أمام فرعون، ولم يُلقِ بالتبعية على اليهودي الذي سبَّب حادثة القتل هذه، قال الله عز وجل على لسان نبيه موسى عليه السلام راداً على فرعون في اتهامه بالقتل: ﴿قَالَ اَلَمْ نُرَبِّكَ فِىْنَا وَاٰلِدًا وَاٰلِهَةً فِىْنَا مِنْ عَمْرٍۭكَ سِنِيْنَ ﴿١٠﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِىْ فَعَلْتَ وَاَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿١١﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا اِذَا وَاَنَا مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١٢﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِىْ رَبِّىْ حُكْمًا وَجَعَلَنِىْ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ [الشعراء:18-21].

(1) مجلة البيان: العدد: 128، ص: 28، مقال بعنوان: بين إدارة الوقت وإدارة الذات: لخالد أبو الفتوح.

(2) أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان: 261.

(3) انظر: السلوك الوظيفي في المنهج الإسلامي: ليكر الريحان: 23.

السمة السابعة عشرة: قبول العذر:

إنَّ من السمات الإدارية للقيادة الراشدة قَبُولَ عذر المعتذر، وعدم الانصراف عنه، إصرارًا منها على توبيخ المخطئ وتأنيبه، فيجب على القيادة الراشدة قَبُولَ العذر ممن تظن به الصدق، وعدم التفتيش عن حقائق بواطنهم؛ فإن شرار الخلق مَنْ لا يقبل عذرًا، ولا يُقبل عثرة، فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:199].

وقد أشار الإمام القرطبي إلى أَنَّ الآية السابقة اشتملت على ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة الإسلامية في المأمورات، والمنهيات؛ وقد وضَّح ذلك على النحو التالي:

1. "فقوله: (خُذِ الْعَفْوَ) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.
2. ودخل في قوله: (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) صلة الأرحام، وتقوى الله ﷻ في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.
3. وفي قوله: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الحضُّ على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والنتزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة بالأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"⁽¹⁾.

وقد قَبِلَ نبي الله يعقوب ﷺ عذر أبنائه عما فعلوه في يوسف ﷺ، وأخيه، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ [يوسف:97-98].

(1) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (7: 301).

المبحث الثالث

القيادة الفاسدة، مفهومها، سماتها في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: مفهوم القيادة الفاسدة في القرآن الكريم.**
- **المطلب الثاني: سمات القيادة الفاسدة في القرآن الكريم.**

المبحث الثالث

القيادة الفاسدة، مفهومها، وسماتها في القرآن الكريم

تمرُّ على البشرية بين الفينة والأخرى، قيادات تستأثر بخيرات الأمم، وتشيع الظلم في المجتمعات، وتشجع الفوضى والاضطراب، وتساعد على الانحلال الخُلقي والاجتماعي، تستعبد الناس، وتستغل المنصب لتحقيق مصالحها الشخصية، وطموحاتها الآنية، ورغباتها الدنيوية، متناسية حق الرعية في عنقها، والاستجابة لأمر ربها، والسير على النهج الذي اختطه الأنبياء والمرسلون لحكمها، فما هي هذه القيادة؟ وما هي سماتها؟

المطلب الأول: مفهوم القيادة الفاسدة:

قبل التعرف على مفهوم القيادة الفاسدة، لا بد من التعرف على معنى كلمة الفاسدة لغةً واصطلاحًا.

أ- الفساد لغةً:

"الفاء والسين والذال كلمة واحدة، فَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ فَسَادًا وَفُسُودًا، وهو فَاسِدٌ وَفَسِيدٌ"⁽¹⁾، والفساد نقيض الصلاح، ومنه أُخِذَ المالُ ظِلْمًا، وَتَفَاسَدَ القَوْمُ تَدَابَرُوا وَقَطَعُوا الأَرْحَامَ، واستفسد السلطانُ قائده؛ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِ؛ حتى استعصى عليه، والمَفْسَدَةُ خلاف المصلحة، وَفَسَدَ الشَّيْءُ إِذَا أَبَارَهُ، وَفَسَدَ الشَّيْءُ: بَطَلَ وَاضْمَحَلَّ.⁽²⁾

ب- الفساد اصطلاحًا:

تعددت أقوال العلماء في بيان معنى الفساد، ويجمعها جميعًا اتفاقهم على أنَّ الفساد له ركنان يتحقق بهما، أو بأحدهما⁽³⁾:

الأول: خروج الشيء عن حالة الاعتدال.

الثاني: انتفاء منفعة الشيء.

ج- مفهوم القيادة الفاسدة:

هي القيادة الظالمة المستبدة، المخالفة لشرع الله ﷻ، والمحرفة لأحكامه، الداعية إلى القيم الباطلة، والأخلاق الرذيلة، المقاومة لكل قيم الصلاح والحق والاستقامة، الصارفة للأمة عن تحقيق أهدافها؛ بإشاعة الخراب والدمار، والفتن في الأمة، الساعية إلى تحقيق مصالحها الشخصية على حساب مصالح الأمة ومقدّراتها.

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (4: 503).

(2) انظر: لسان العرب: لابن منظور: (3: 335)، تاج العروس من جواهر القاموس: لمرتضى الزبيدي: (8: 496-498).

(3) انظر: مفاتيح الغيب: للإمام الرازي: (3: 306)، التعريفات: للإمام الجرجاني: 214، المفردات في غريب القرآن الكريم: للراغب الأصفهاني: 379، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 58).

المطلب الثاني: سمات القيادة الفاسدة في القرآن الكريم:

أبان القرآن الكريم عن العديد من سمات القيادة الفاسدة، أرسدها في الأربع عشرة

التالية:

السمة الأولى: الكبر:

إنَّ الكبر آفة عظيمة هائلة، هلك بسببه خواص الخلق، ولم ينجُ منه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال فيه ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ..)(1)، فالكبر يحجب العبد عن الجنة؛ لأنه يحول بينه وبين أخلاق المؤمنين، فالأخلاق الحميدة هي أبواب الجنة، والكبر يغلقها.(2)
وقد ذكر القرآن الكريم آفاتٍ كثيرةً للكبر، منها هذه التسع:

1. الكبر سبب لإعراض القيادة عن الطاعة، ورفض الانقياد للحق، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَ صَاحِبُ السُّرَّةِ مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّا بِكَ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أَسْتَبْنَأُ بِمَا عَدَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: 75-77].

إنَّ هذا الموقف متكرر مع الأنبياء جميعاً، حيث نجد القادة والسادة يرفضون دعوة التوحيد؛ يحملهم الكبر على عدم الانقياد للحق الذي انقاد له الضعفاء من الناس.(3)
2. نفي المؤمنين، وإخراجهم من أرضهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ ﴾ [الأعراف: 88].
"فقد استكبر المملأ من قوم شعيب عليه السلام عن الإيمان به، وهددوه بأن يخرجوه من أرضهم، وقالوا مثلما قال من سبقوهم، فقد نادى بعض قوم لوط بأن يخرجوا لوطاً ومن آمن معه من قريتهم"(4)، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴾ [النمل: 56].

(1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه: (ح: 91، ص: 63).

(2) انظر: إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي: (3: 345).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 295.

(4) خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (56:54).

3. عدم الانتفاع بآيات الله ﷻ وحججه، بسبب الطبع على قلوبهم لسوء استعدادهم، فلا يتفكرون ولا يتدبرون ولا يعتبرون⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿سَاءَ صِرْفُ عَنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:146].
- إن القيادة المتكبرة محرومة من الهداية إلى الحق، والإرشاد إلى الخير؛ لفساد قلبها، وحسدها لغيرها، وتكبرها على رعيته.
4. الاعتراض على حكم الله ﷻ، والجرأة على إرادته ومشينته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:21]، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:31].
5. الاغترار بالقوة، وظلم العباد، والتجبر عليهم، والتباهي والتفاخر بغير حق، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنَّهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [قصص:15].
6. رفض الاستماع للحق، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الأنعام:7-6]. وإذا نتلى عليه آياتنا ولم يستكبراً كان لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم [الأنعام:7-6].
7. الاستكبار في الأرض على الخلق، وعلى الحق، وبهجة الكلام وتزيينه؛ لخداع الناس والمكر بهم، فيظهرون أنهم أهل الحق، الحريصون على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون⁽²⁾، قال تعالى في معرض حديثه عن اليهود: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِن إِيحَىٰ الْأُمِّيِّ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الأنعام:10]. استكباراً في الأرض ومكر السني ولا يحق المكر السني إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً [فاطر:42-43].
8. الجدل بالباطل دون حجة أو دليل أو برهان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:35].

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (76:76).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 691.

ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي

صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذَ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر:56].

9. الصد عن سبيل الله ﷻ، والدعوة إلى الكفر بالله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا

الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ:33].

السمة الثانية: العناد، والمكابرة، بعد العلم بالحق:

إنَّ العناد هو الإصرار على الرأي بدون دليل، أو بدليل ظهر بطلانه، والعناد من

صفات الجبارة العتاة، والكفرة الطغاة، حيث قصَّ علينا القرآن الكريم مواقف عديدة، ظهر فيها

رفض القيادة الفاسدة للحق، والمخالفة الصريحة له، قال تعالى: ﴿ وَفَكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [هود:59]، وقال تعالى: ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ

عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم:15]، كما تحدث القرآن الكريم عن أحد الجبابرة الذين عاندوا النبي ﷺ، وهو الوليد

ابن المغيرة المخزومي⁽¹⁾، فقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَنِيدًا ﴾ [المدثر:16].

إنَّ العناد من أقبح الصفات التي تتصف بها القيادة الفاسدة، ويشدد قبْحًا بمقدار ظهور

الحجة المردودة، فمتى كانت الحجة أظهر كان العناد أقبح؛ لأنَّ العناد إذا استولى على القلوب

زاد الجاهلين جهلاً وحمقاً، وزاد العالمين حقاً وحسداً.

السمة الثالثة: الغلظة في الخطاب:

إنَّ القيادة الفاسدة تُغلظ في خطاب الناس، وتجاهبهم بالعنف، وتواجههم بالشدّة؛ لعجزها

عن مواجهة المواقف التي تجاهبها بإقامة الحجج الدامغة، والبراهين الواضحة، فنجدها تُقابل

الحجة البيّنة بالسباب والشتام، وهذا المعنى يظهر في مخاطبة المشركين للنبي محمد ﷺ؛ حيث

إنَّهم لما أعيتهم الحجة، توجَّهوا لاتهام النبي ﷺ، بالسحر والكهانة والجنون، قال تعالى: ﴿ أَمْ

يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرْيِضُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ ﴾ [الطور:30]، وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [توَّابًا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] [الذاريات:52-53].

إنَّ الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ مسلماً له عن تكذيب المشركين للحق الذي يدعو إليه،

وإصرارهم على الشرك بالله ﷻ، المتهمين للنبي ﷺ بالأوصاف الشنيعة؛ إنَّ هذه الأقوال هي دأب

وعادة المجرمين المكذبين للرسول على مرَّ الزمان، فما أرسل الله ﷻ من رسول، إلا رماه قومه

بالسحر أو الجنون.⁽²⁾

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (23: 19).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 812.

السمة الرابعة: الإصرار على الخطأ، والأنفة من الرجوع إلى الحق:

إنَّ الإصرار على الخطأ صفة مستقلة عن الوقوع في الخطأ، وهي شيمة القادة الفاسدين المفسدين في الأرض، يرفضون الرجوع إلى الحق، عجزاً منهم، وظلماً لأنفسهم؛ فقد أعمى الباطل بصيرتهم قبل أبصارهم، فتجدهم يدعون على أنفسهم بالعذاب والهلاك؛ إن كان ما جاء به المؤمنون حقاً وصواباً، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا فَأُمِطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأأنفال:32].

وقد أبرز الشيخ الشعراوي هذا المعنى فقال: "وقد بلغ بهم العجز إلى أن قالوا: إن كان هذا القرآن هو الحق القادم من عندك فأمطر علينا حجارة، أو آتتنا بعذاب أليم، أليس هذا الكلام دليلاً على غياب قائله؟ بالله لو كان عندهم عقل ومنطق وتفكير، أكانوا يقولون ذلك؟ ألم يكن من المناسب أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، أو فاجعلنا نقبله؟" (1)

السمة الخامسة: تزييف الحقائق (التدليس على الناس):

إنَّ تزييف الحقائق من أبرز سمات القيادة الفاسدة، حيث تظهر بمظهر أهل الورع، أصحاب السرائر الطيبة، تدلس على الناس الحقائق بحلاوة لسانها، وحسن مقالها، وحلفها الكاذب على صدق طوبيتها، وسلامة قلبها، لكنّها في الحقيقة تقول حسناً، وتفعل سيئاً، فكلامها حلو الظاهر، مُرُّ الباطن (2)، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ... ﴾ [البقرة:204].

السمة السادسة: اللدد في الخصومة:

تثير القيادة الفاسدة إعجاب الناس بحسن بيانها، وتضلل الناس بحلاوة لسانها، وتجادل عن باطلها بقوة وعنفٍ ومغالبة، لا تلتفت إلى الحق أبداً، همّها أن تثبت آراءها الفاسدة، وتلزم الناس بمواقفها الخائرة، وبرؤيتها الباطلة، ولهذا فهي تسلك أسوأ الطرق؛ لتحقيق ما تريد، وتزور الحقائق، وتكذب في المقال، وتفترى على الناس بغير الحق، وتُفجّر في الخصومة (3)، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة:204].

كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: (أزبغ من كُنَّ فيه كَانْ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَهَا؛ إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا

(1) خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (8: 4685-4686).

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 440).

(3) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 441)، أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان: 450.

حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).⁽¹⁾

السابعة: الإفساد في الأرض:

إِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ أَرَادَ لِعِبَادِهِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمَصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ إِفْسَادَ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ يَعُودُ عَلَى اسْتِخْلَافِ اللَّهِ ﷻ لَهُ فِي الْأَرْضِ بِالنَّقْصِ، لَكِنَّ قَادَةَ الْفَسَادِ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ لَا تَرْضَى نَفْسَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، فَيَجْتَهِدُونَ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، مَسْمِينَ إِفْسَادَهُمْ إِصْلَاحًا⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ﴿الْبَقَرَةُ: 11-12﴾.

إِنَّ الْقِيَادَةَ الْفَاسِدَةَ إِذَا انصَرَفَتْ إِلَى الْعَمَلِ، كَانَتْ وَجْهَتَهَا الشَّرَّ وَالْفَسَادَ، تَتِمُّلُ فِي إِهْلَاكِ كُلِّ حَيٍّ مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ وَالثَّمَارِ، وَالْقَضَاءِ عَلَى النَّسْلِ الَّذِي هُوَ امْتِدَادُ الْحَيَاةِ وَاسْتِمْرَارِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْحَقِّ الدَّفِينِ، وَالشَّرِّ الْكَبِيرِ، وَالغَدْرِ الْمَقْصُودِ، الَّذِي يَرْتَكِزُ وَيَنْطَبِعُ فِي نَفْسِ الْقِيَادَةِ الْفَاسِدَةِ، وَإِنْ كَانَتْ تَخْفِيهِ بِالتَّظَاهِرِ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَالسَّمَاةِ وَالصَّلَاحِ⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ ﴿الْبَقَرَةُ: 205﴾.

إِنَّ الْقِيَادَةَ الْفَاسِدَةَ تَسْتَعْلِقُ مَكَانَتَهَا، وَمَنْصِبَهَا، لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَلِنَشْرِ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَإِشَاعَةِ الرَّعْبِ بَيْنَ الْأَمْنِيِّينَ، وَاسْتِعْبَادِ الْأَحْرَارِ، وَإِذْلَالِهِمْ، وَالتَّكْبَرِ عَلَيْهِمْ.

الثامنة: رفض النصيحة:

إِنَّ الْقِيَادَةَ الْفَاسِدَةَ مَعْجِبَةٌ بِنَفْسِهَا، مَعْتَدَةٌ بِرَأْيِهَا، مَعْطَلَةٌ لِقُدْرَاتِ رَعِيَّتِهَا؛ لِهَذَا فَهِيَ تَرَفُضُ أَيَّ نَصِيحٍ يُسَدِّدُ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ، بَلْ تَتَّكِبُ عَلَى سَمَاعِ النِّصِيحِ، وَتَشْمَخُ بِأَنْفِهَا، تَأْخُذُهَا عِزَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَحَمِيَّتِهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَرَى رَأْيًا، وَلَا فَضْلًا، لِغَيْرِهَا عَلَيْهَا، فَمَادَامَتْ قَدْ انْتَفَخَتْ وَأُعْجِبَتْ بِنَفْسِهَا، فَأَنَّى لَهَا قَبُولُ النِّصِيحَةِ⁽⁴⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ بِالْمُهَادَى﴾ ﴿الْبَقَرَةُ: 206﴾.

وقد ذهب الأستاذ محمد عبده إلى أَنَّ الْآيَتَيْنِ (205، 206) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، الْمَقْصُودُ بِهِمَا الْحَاكِمُ الظَّالِمُ الْمُسْتَبَدُّ، فَيَقُولُ: " هَذَا الْوَصْفُ ظَاهِرٌ جَدًّا فِي تَفْسِيرِ التَّوَلَّى بِالْوَالِيَّةِ وَالسُّلْطَانَةِ، فَإِنَّ الْحَاكِمَ الظَّالِمَ الْمُسْتَبَدَّ يَكْبُرُ عَلَيْهِ أَنْ يُرْتَدَّ إِلَى مَصْلِحَةٍ، أَوْ يُحَدَّرَ مِنْ مَفْسَدَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق: (ح: 34، ج: 1، ص: 16).

(2) انظر: السباق إلى العقول: للدكتور عبد الله قادري الأهدل: (2: 56).

(3) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (1: 205).

(4) انظر: فقه النصيحة: لمحمد أبو صعبيليك: 11.

هذا المقام الذي ركبه وعلاه يجعله أعلى الناس رأياً، وأرجحهم عقلاً، بل الحاكم المستبد الذي لا يخاف الله ﷻ يرى نفسه فوق الحق، كما أنه فوق أهله في السلطة، فيجب أن يكون أْفَنُ (1) رأيه خيراً من جودة آرائهم، وإفساده نافذاً مقبولاً دون إصلاحهم، فكيف يجوز لأحد منهم أن يقول له: اتق الله في كذا؟! (2)

السمة التاسعة: موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين:

إن من سمات القيادة الفاسدة اتخاذ الأعداء الكافرين أولياء من دون المؤمنين، تودهم وتقترب منهم، تستمد منهم النصر والعزة، والمعونة والمؤانسة؛ لأنها لا تملك عزة ذاتية، لذا فقد طلبتها من مساو لها من البشر، تستقوي بها على المؤمنين (3)، فهي تتمنى زوال دولة الإسلام، وظهور دولة الكفار عليهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 139].

إن الآية السابقة تكشف عن طبيعة القيادة الفاسدة، وهي ولاية الكافرين من دون المؤمنين، كما تكشف عن سوء إدراكها للأمور، وسوء تصورها للحقائق؛ لاعتقادها أن العزة عند الكفار، وأن النصر بأيديهم، فتراها تسارع في مناصرة أعداء الإسلام، منكرة على الثابتين على الحق موقفهم، ورافضة لنصحهم (4)، قائلة لهم: دعونا وشأننا، فنحن نوالي الأعداء؛ ليقونا نواب الدهر، من الأزمات المالية، أو الضوائق الاقتصادية، أو الملمات السياسية، وليكونوا عوناً لنا في تحقيق أهدافنا الخاصة، ومصالحنا الشخصية، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فِئْصِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ [المائدة: 52].

السمة العاشرة: الكذب:

إن من أبرز سمات القيادة الفاسدة الكذب، وهو خلق لئيم، ووصف ذميم، يلحق بصاحبه الفضيحة، ولا تكاد تسمو لمتعاطيه رتبة ولا منزلة في الحقيقة، وإن حازها بسلطانه وقهره، هو سبب لاحتقار الناس لصاحبه، واستصغارهم له، ونفورهم منه؛ لأنه لا يُرَكَّنُ إلى وعده، ولا يُوثَقُ بعهده، وقد سلب الله ﷻ عنه وصف الإيمان (5)، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: 105].

(1) الأَفَنُ: قلة العقل، ورجل مأفون ضعيف العقل. انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (1: 119).

(2) تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (2: 200).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (5: 2724-2725).

(4) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (2: 780)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (4: 191).

(5) انظر: المنهج المملوك في سياسة الملوك: لعبد الرحمن بن نصر: 390-391.

وكذب القيادة الفاسدة كما يكون في الأقوال، يكون في الأفعال.

يقول الشيخ الميداني: "وكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال، فقد يفعل الإنسان فعلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً، وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال، ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله ﷻ لنا من أقوال إخوة يوسف عليهم السلام وأفعالهم؛ إذ جاءوا أباهم عشاءً يبكون بكاءً كاذباً، وقالوا - كذباً -: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّمْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف:17]، وجاءوا على قميص يوسف بدمٍ كذب، فجمعوا بين كذب القول، وكذب الفعل" (1).

وقد رأينا في زماننا كذب القيادة الفاسدة في أقوالها؛ أرصدها في صور ثلاث لسلوكهم:

1. تزويرها للحقائق، وخداع رعييتها، وعدم إعطائها الصورة الحقيقية للواقع الذي تعيشه الرعية، في شتى مجالات حياتها، وإشاعتها في المجتمع الأكاذيب المتعلقة بالأمن والخوف، والسلم والحرب؛ بهدف إضعاف الجبهة الداخلية للمجتمع في مواجهة أعدائها.
2. إصاقها النقائص والعيوب بأهل الصدق والحق؛ من أجل تشويه صورتهم في المجتمع، ومحاولة فضّ الناس عنهم، واتهامهم بأنهم يتخذون من الدين ستاراً لتحقيق مصالحهم الشخصية، والاستيلاء على السلطة، ونرى هذا الأمر بوضوح في اتهام فرعون لموسى عليه السلام بأنه يقصد من دعوته الاستيلاء على الحكم في الأرض، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ... ﴾ [طه:57-58].

"وهكذا يفهم الطغاة أنّ دعوى أصحاب العقائد إنّما تخفي وراءها هدفاً من أهداف هذه

الأرض، وأنها ليست سوى ستار للملك، والحكم" (2).

3. القيام بالأفعال السيئة، من تخريب، وتدمير، واعتداء، وقتل، وسلب، ونهب، وإصاق كل ذلك بأهل الحق والصلاح؛ فإنّ القيادة الفاسدة الطاغية حين تنقطع بها السبل، تلجأ إلى وسائل في الغش، والكذب، وتضليل الناس بهدف إبعادهم عن الحق، وعن التمسك به.
- السمة الحادية عشرة: المكر:**

إنّ المكر سنّة من سنن الاجتماع البشري، وهو صفة من صفات القيادة الفاسدة المجرمة، التي عبّدت الناس للشهوة والهوى، وابتعدت عن منهج الله ﷻ، وهو طريقة خبيثة في مواجهة الحق، يتخذها أهل الفساد والكفر والإجرام؛ لاغتتيال الحق، والتخلص من رموزه، تسلك

(1) الأخلاق الإسلامية وأسسها: لعبد الرحمن حسن حينكه الميداني: (1: 529).

(2) في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2340).

القيادة الفاسدة الطرق الخفية، وتسخر كل إمكانياتها؛ للتسلط على المجتمعات، وإساءة توجيهها بعيداً عن منهج الحق والصلاح، ولكنَّ جهد المجرمين سيذهب سُدىً، وذلك عند إقصاء القيادة الفاسدة الماكرة عن سدة التوجيه والقيادة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123].

يبرزُ المعنى السابق فيما قصَّه علينا القرآن الكريم من موقف مؤمن آل فرعون؛ حيث نصره الله ﷻ، ولحق الهلاك والدمار بآل فرعون، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45-46].

السمة الثانية عشرة: معاداة أهل الحق والإصلاح، والوقوف في طريق دعوتهم:

إنَّ السمة الغالبة للقيادة الفاسدة معاداة الدعوة إلى الله ﷻ، حيث تتولى كِبَر المقاومة الآثمة للدعوة، وتقود حملة الافتراء والتضليل ضد المصلحين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [سبأ: 34-35].

إنَّ أولي القوة والثروة والترف، وقادة الناس في الشر، يعلنون كفرهم بدعوة التوحيد، بكل جرأة ووقاحة؛ فقد أخبر القرآن الكريم عن الملام من قوم نوح ﷺ، الذين تصدوا للدعوة إلى الله ﷻ، ونسبوا نبيهم إلى الضلال، فهذا منطق القيادة الفاسدة من كل أمة؛ إذ يصفون الحق بالضلال⁽²⁾، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ إِذْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 59-60].

السمة الثالثة عشرة: نقض العهد:

نقض العهد هو: "عدم الوفاء بما أعلن الإنسان الالتزام به، أو قَطَعَهُ على نفسه من عهد أو ميثاق، سواء فيما بينه وبين الله ﷻ، أو فيما بينه وبين الناس"⁽³⁾.

إنَّ من طبيعة القيادة الفاسدة انحرافَ الفطرة، فلا تستقيم على عهد، ولا تستمسك بعروة، فنقض العهود مركوز في فطرتها الفاسدة، ديئنها الفسق والخروج عن أوامر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 26-27].

(1) انظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: للدكتور زياد خليل الدغامين: 54-55.

(2) انظر: أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان: 429.

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: لعدد من المختصين: (11: 5632).

إنَّ هذا النمط من الناس واجه النبي ﷺ في المدينة المنورة، في صورة اليهود والنصارى والمشركين، وما زال هذا النمط موجوداً إلى يومنا الحاضر، وإن اختلفت الأسماء، وتغيّرت الصور، وتعددت العناوين، فهم شرار المخلوقات على الإطلاق⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ﴾ [الأنفال: 55-56].

إنَّ الآيتين السابقتين قد أفادتنا أنَّ "شرَّ ما دبَّ على وجه الأرض هم الذين كفروا، فهم لا يؤمنون، الذين كلما عاهدوا عهداً نقضوه، وكلما أكدوه بالإيمان نكثوه، وهم لا يخافون من الله ﷻ في شيء ارتكبوه من الآثام"⁽²⁾، "وهم قد فعلوا ذلك؛ لأنَّهم تركوا منهج الله ﷻ، وخافوا من رسول الله ﷺ، فحاولوا أن يخدعوه بنقض المعاهدات"⁽³⁾.

السمة الرابعة عشرة: التخلي عن تحمل المسؤولية:

إنَّ القيادة الفاسدة في الأوقات العصيبة تتخلى عن أتباعها، وتتصل من مسؤولياتها، وتضرب عرض الحائط بالعهد والمواثيق التي ألزمت بها نفسها في خدمة رعيته، والدفاع عن شعبها، والحفاظ على مقدرات أمتها وخيراتها، والنهوض بمجتمعها.

وقد أبانت آيات القرآن الكريم أنَّ القيادة الفاسدة تتخلى عن مسؤولياتها، وعن أتباعها في الدنيا والآخرة؛ وبيان ذلك في البندين التاليين:
أولاً: التخلي عن مسؤولياتها في الدنيا:

إنَّ المنافقين زمن النبي ﷺ أخذوا المواثيق المغلظة على أنفسهم لنصرة إخوانهم اليهود، والدفاع عنهم، والوقوف في وجه أي عدوان عليهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِئَكُمُ أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: 11].

إنَّ الكذب هو ديدن المنافقين، والتخلي عن أتباعهم طريقهم؛ لأنَّ الجبن يَتَمَلَّكُ قلوبهم، والحفاظ على حياتهم مقدم على حياة غيرهم؛ فإذا نزلت الشدائد كانوا أول الخاذلين لأتباعهم ومناصريهم، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرِّفُونَ﴾ [الحشر: 12].

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (1: 51).

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (4: 78).

(3) خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (6: 4767).

إنَّ الآيَةَ السَّابِقَةَ أَبَانَتْ عَنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ، فَأَخْبَرَتْ أَنَّ الْيَهُودَ لَوْ طُرِدُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، أَوْ قَاتَلَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَسَيَتَخَلَى عَنْهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَلَوْ نَصَرُوهُمْ وَعَاوَنُوهُمْ فَسَيُولِي الْمُنَافِقُونَ الْأَدْبَارَ هَارِبِينَ مِنْهُمْ (1).

ونظير الموقف السابق ما حدث مع المشركين في غزوة بدر الكبرى؛ حيث وعد الشيطان المشركين بأنه مناصر لهم، وعون لهم على المسلمين، ولما بدأ القتال ولَّى فَارًا هَارِبًا، متخليًا عن أتباعه المشركين، خاذلاً لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْيَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:48].

فقد زين الشيطان لكفار قريش أعمالهم، وأوهمهم بقرب نصرهم على المؤمنين، وأنه لن يستطيع غلبتهم أحد، وأنهم لن يؤتوا من خلفهم، فهو جار لهم وحام لأهلهم وذويهم، ولكنه لما التقى الجمعان ورأى الملائكة، ولَّى هاربًا (نكص على عقبه) وتخلي عن وعوده، وعن مسؤولياته تجاه من غرر بهم من أتباعه.

ثانياً: التخلي عن مسؤولياتها في الآخرة:

إنَّ القيادة الفاسدة تتخلي عن أتباعها في الآخرة أيضاً؛ لأنَّها ليست أهلاً لتحمل المسؤولية، حيث قصَّ علينا القرآن الكريم حال الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، من تخلي القادة الفاسدين عن أتباعهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ عَنَّا كَدِّبًا وَيُكِبُّ آلَهُمْ ﴿١٦٦﴾ [البقرة:166-167].

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (28: 100).

الفصل الثالث

النماذج الراشدة للقيادة في القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: النماذج الراشدة للقيادة العامة.
- المبحث الثاني: النماذج الراشدة للقيادة الدعوية.
- المبحث الثالث: النماذج الراشدة للقيادة العلمية.
- المبحث الرابع: النماذج الراشدة للقيادة العسكرية (الحربية).
- المبحث الخامس: النماذج الراشدة للقيادة الأمنية.
- المبحث السادس: النماذج الراشدة للقيادة الاقتصادية.

الفصل الثالث

النماذج الراشدة للقيادة في القرآن الكريم

تمهيد:

إنَّ مما يجب الإشارة إليه، أنَّ القرآن الكريم مليء بالكثير من المعاني الإدارية، وفنون القيادة الراشدة، في كافة المجالات القيادية، والتي غفل عنها كثير من قادة المسلمين اليوم، والتي يجب عليهم أن يتدبروها، ويمعنوا النظر فيها، ويأخذوا بتوجيهات القرآن الكريم المتعلقة بها، خيرَ لهم من التوجه إلى الغرب أو الشرق؛ ليستجدوا منه علمًا قياديًا، أو إداريًا، لا يُناسب بيئة المسلمين، ولا يتفق مع مبادئ دينهم في الأغلب.

وقد عرض القرآن الكريم نماذج قيادية راشدة، ينبغي على قيادات المسلمين اليوم، ومسؤوليهم، الاقتداء بها، كنماذج راشدة للسلوك القياديِّ السويِّ والسليم.

وفي هذا الفصل ذكر الباحث النماذج القيادية الراشدة، مع بيان معالم كل منها في المجالات المختلفة التي ذكرها القرآن الكريم.

المبحث الأول

النماذج الراشدة للقيادة العامة

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: ذو القرنين عليه السلام.
- المطلب الثاني: داود عليه السلام.
- المطلب الثالث: سليمان عليه السلام.
- المطلب الرابع: بلقيس ملكة سبأ (رضي الله عنها).

المبحث الأول النماذج الراشدة للقيادة العامة

بين يدي المبحث الأول:

إنَّ المقصود هنا بالقيادة العامة؛ الولاية العظمى، والإمارة، والخلافة، والإمامة. "إنَّ مُصطلح القيادة (Leadership) في علم الإدارة يُقابل مصطلح الإمارة في التراث الإسلامي، التي أولاهها القرآن الكريم والسنة المطهّرة والسيرة العطرة كل اهتمام"⁽¹⁾.
أهمية وجود القيادة العامة:

إنَّ القيادة العامة أو الإمارة، لها أهمية كبيرة في الإسلام؛ لأنّها تُخلف بها النبوة، وتجتمع بها الكلمة على رأي واحد متبوع، وتتنظم بها مصالح الأمة، وتُفوض لها السياسة؛ ليصدرَ التدبير عن دينٍ مشروع، وتترتب بها أحكام العباد على نسق واحد متمائل⁽²⁾.
إنَّ أي أمة بحاجة ماسة للقيادة العامة، البرّاة الراشدة، أو الفاجرة الفاسدة⁽³⁾؛ تُستوفى بها الحقوق، وتُقام بها الحدود، فحياة الناس منذ الأزل قائمة على هذين الأمرين؛ الحقوق والحدود، والقيادة هي القادرة في المجتمع على إعادة الحقوق إلى أصحابها، وإقامة العقوبة على كل من تسوّّل له نفسه الخروج عن النظام والقانون.

ويُروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام: "لا بد للناس من إمارة، برّة كانت أو فاجرة، ففيل يا أمير المؤمنين هذه البرّة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ فقال: تقام بها الحدود، وتأمّن السبيل، ويُجاهد بها العدو، ويُقسّم بها الفياء"⁽⁴⁾.

-
- (1) المنهج النبوي في قيادة التغيير: لبكر الريحان: 3.
 - (2) انظر: الأحكام السلطانية، والولايات الدينية: لأبي الحسن الماوردي: 1-2.
 - (3) المقصود بالإمارة الفاجرة؛ هي التي ضَعَفَ التّزامها، ورَقَّ إيمانها، المُعَبَّر عنه بالفسق أحياناً، ففجورها يعود على ذاتها فقط، وفي المقابل فإنّها نافعة للأمة من وجوه؛ إقامة الأمن، وتنفيذ أحكام الشرع، وإقامة الجهاد، وغير ذلك من الأمور النافعة. انظر: عصر الخلافة الراشدة: للدكتور أكرم ضياء العمري: 142.
 - (4) مفهوم أهل السنة والجماعة بين شيخ الإسلام ابن تيمية، وأهل الإفراط والتفريط: لعادل الشميري: 298.

المطلب الأول: ذو القرنين ﷺ:

اختلف المفسرون في اسم ذي القرنين ونسبه وزمان وجوده وسبب تلقيبه بذي القرنين، وأقرب الأقوال إلى الصواب ما أشار إليه الألوسي نقلاً عن أبي الرِّحان البيروني⁽¹⁾ في كتابه المسمّى "بالآثار الباقية عن القرون الخالية"، أنّ ذا القرنين هو أبو كريب الحميري؛ لأنّ ملوك اليمن كانوا يُلقَّبون بكلمة ذي، كذي نواس، وذي يزن.⁽²⁾

إنّ الراجح والمقطوع به أنّ ذا القرنين ليس الإسكندر المقدوني الملقب بذي القرنين؛ لأنّ الإسكندر كان وثنيّاً، وذا القرنين الذي تحدث عنه القرآن الكريم كان موحداً، مؤمناً بالله ﷻ، معتقداً باليوم الآخر، والبعث والحساب.⁽³⁾

معالم القيادة الراشدة عند ذي القرنين ﷺ:

إنّ الله ﷻ جعل في سيرة ذي القرنين مثلاً رائعاً للسلوك الحضاري للقائد الراشد، السلوك المنبثق عن المنهج الرباني؛ القائم على تحكيم شرع الله ﷻ في حياة القيادة الراشدة، المُسخّرة لكافة إمكانات الدولة؛ من جنود، وأتباع، وعلوم، ووسائل، لتثبيت شرع الله ﷻ، وتمكين دينه في الأرض، وخدمة الأمة لتحقيق أهدافها ومصالحها، وقد برز في حكمه عدّة معالم راشدة، أخصها في التسعة التالية:

1. الإرادة القوية، والعزيمة الماضية:

يظهر هذا المعلم في بلوغ ذي القرنين مشارق الأرض ومغاربها، لتحقيق هدفه، وعدم إظهاره ضعفاً أو تراجعاً في سيره نحو تحقيق هدفه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ... ﴾ [الكهف: 86]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ... ﴾ [الكهف: 90]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ... ﴾ [الكهف: 93].

2. معاقبة المسيء في الدنيا، وتخويفه من عذاب الله ﷻ في الآخرة:

إنّ ذا القرنين لمّا بلغ مغرب الشمس، ووجد عندها أمة من الناس، دعاهم إلى التوحيد، والإيمان بالله ﷻ، فكان منهم المستجيب، وكان منهم الجاحد، فأوقع على الجاحد منهم، الرفض للحق، المُصرّاً على الكفر، العقاب في الدنيا؛ إمّا بالقتل، أو الحبس، أو التعذيب؛ لأنّ

(1) هو محمد بن أحمد، أبو الریحان البيروني الخوارزمي؛ فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، له مصنفات كثيرة متقنة منها " الآثار الباقية عن القرون الخالية "، تُرجم إلى الانجليزية، (362 - 440 هـ = 973 - 1047 م). انظر: الأعلام: للزركلي: (5: 314).

(2) انظر: روح المعاني: للألوسي: (11: 386).

(3) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (8: 570).

المفسدين، يُحوّل السلطة في يد القيادة إلى سوط عذاب، وأداة إفساد في الأرض؛ ممّا يؤدي إلى اختلال نظام الجماعة، وترسيخ منهج الفوضى والفساد في المجتمع، بدلاً من منهج التعمير والبناء والإصلاح.⁽¹⁾

فائدة:

إنّ الناظر في أحوال قادة الأمة الإسلامية اليوم ليجد أنّها قد تخلّت عن تقريب من يُعين على محاربة الفساد، ونصرة المظلومين، واستبدالهم بمن لا يراعون في تعاملهم مع أبناء شعبهم قرابة، ولا صلة رحم، ولا صلة دين، فتسلطوا على رقاب الأمة بالقهر والتعذيب، وأقاموا لهم سجون الذلة والمهانة، وتفننوا في إلحاق الأذى بأبناء أمتهم، فكانوا سوط عذاب في يد الأعداء؛ يضربون به الفئة المؤمنة الساعية لرفعة هذه الأمة، وبناء كيانها، وإعادة مجدها.

5. القيام بخدمة الرعية، والعفة والتنزه عن أموالها:

يظهر هذا المعنى في رفض ذي القرنين عرض القوم من المال ليجعل لهم سداً يحميهم من هجمات يأجوج ومأجوج، إيماناً منه بوجود خدمة الرعية بكل طاقته وقوته، دون الالتفات إلى أموالهم، ومقدراتهم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ...﴾ [الكهف: 96].

إنّ الذي مكّن لذي القرنين ﷺ عمل السد العظيم، ليحمي القوم المستضعفين من شر المفسدين في الأرض، وقوّاه على بنائه، هو الله ﷻ، فقد منحه من الأسباب، والقوة، والأجر، ما هو خيرٌ من الأجرة التي يعرضونها عليه لبناء ذلك السد، وأكثر وأطيب.⁽²⁾

فائدة:

قال القرطبي: "في هذه الآية دليلٌ على أنّ الملك فرضٌ عليه أن يقوم بحماية الخلق؛ في حفظ بيضتهم، وسدّ فرجتهم، وإصلاح ثغورهم، من أموالهم التي تقيء عليهم، وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم، تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق وأنفذتها المؤمن، لكان عليهم جبرٌ ذلك من أموالهم، وعليه حُسْنُ النظر لهم، وذلك بثلاثة شروط :

الأول : ألا يستأثر عليهم بشيء.

الثاني : أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم.

الثالث : أن يُسوِّي في العطاء بينهم على قدر منازلهم."⁽³⁾

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4 : 2291).

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (18 : 1212).

(3) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (11 : 58).

إنَّ معونة القيادة الراشدة المُمكنة في الأرض، المالكة للأمر والنهي، المسلطة على الناس بوجوب الطاعة والانقياد، يجب أن تكون حِسبة الله ﷻ، دون انتظار مقابل من الرعية؛ مادياً كان أم معنوياً⁽¹⁾؛ لأنَّ الواجبات تكاليف ربانية، ولا يحلُّ أخذ الأجرة على الواجبات، إذ يُطلب فيها الأجر والثواب من الله ﷻ وحده.

6. التواضع والاعتراف بفضل الله ﷻ عليه:

إنَّ ذا القرنين لم يغترَّ بقوته، ولم يستعلِ على الرعية بجنده وأتباعه، ولم يتفاخر عليهم بامتلاكه أسباب البناء والتعمير والنهوض، بل ردَّ الأمر لله ﷻ، واعترف بنعمة الله عليه، حيث آتاه الأسباب التي حكم بها الخلق، فدانت له الرقاب، وخضعت لملكه الأمم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ...﴾ [الكهف:95]، ولما انتهى من بناء الجدار قال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾⁽²⁾ [الكهف:98].

7. العناية بمشاركة الرعية:

إنَّ الله ﷻ أتى ذا القرنين من أسباب القوة والتمكين، ما جعله غنياً عن مساعدة الرعية، وعونها، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف:84]، ولكنه لما استنصر به القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، طلب منهم أن يعينوه بالقوة البشرية، وهو غني عنها؛ ليزرع في نفوسهم حب العمل، والإيجابية في الحياة، وأن يشاركوا في تدبير أمورهم، والدفاع عن أنفسهم بأنفسهم، وألاً يكونوا عالة على غيرهم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:95-96].

"إنَّ هذا بداية النجاح في العمل، فإنَّ القوم لو جمعوا له خرجاً، لم يُعِنه أحدٌ، ولتركوه يبيي، فكان عونهم أسرع في إنجاز العمل، وإنجاح المشروع"⁽³⁾.

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (14: 8990).

(2) الظاهر أنَّ المقصود بوعد الله ﷻ في الآية هو يوم خروجهم وانتشارهم في الأرض، فإذا كان الأمر كذلك فإنَّ هذه الآية الكريمة، وآية الأنبياء ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ بِأَجْوَاجٍ وَمَأْجُوجٍ وَهَمَّ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾ [الأنبياء:96-97] تدلُّان على أنَّ السد الذي شيَّده ذو القرنين؛ ليمنع يأجوج ومأجوج من الإفساد في الأرض، إنَّما يجعله الله ﷻ دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه، وأنَّه يكون بقرب يوم القيامة؛ لأنَّه قال هنا: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جَمْعَهُمْ جَمًّا﴾ [الكهف:98-99]. انظر: أضواء البيان: لمحمد الأمين الشنقيطي: (3: 341-342).

(3) التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (16: 32).

8. المتابعة والتوجيه والتعليم، مع الاستفادة من خبرات أصحاب الشأن، وعدم التفرد بالرأي:

إنَّ ذا القرنين لم يُعْطَلِ التوجيه الفعَّال، والمتابعة الدقيقة لسير العمل، في جميع مراحل تنفيذ بناء الجدار، مع حرصه على الاستفادة من خبرات أهل المنطقة؛ ليخرج الجدار في أحسن صورة وأقواها، جودةً وتحصيناً؛ لأنَّهم أعلم بأحوال بلدتهم وظروفها، وطبيعتها الجغرافية، ومناخها، قال الله ﷻ على لسانه: ﴿... فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ وَأَتُوفِي زُجْرَ الْحَدِيدِ ﴿٩٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَّيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: 95-96].

إنَّ القائد الراشد ينفع الرعية، ويعلم أفرادها، ويأخذ بأيديهم؛ حتى يوصلهم إلى مرتبة يستطيعون فيها الاعتمادَ على أنفسهم، والاستفادة من طاقاتهم وقدراتهم المادية والمعنوية.

فائدة:

يجب على القيادة الراشدة أن تُعَلِّمَ الناس، وتدريبهم على العمل بأيديهم، ولا تُحَوِّجهم إلى طلب العون في كل طَرْفٍ ووقت، تعليمًا وتدريبًا، يُغْنِيهم عن الحاجة إلى المعونة فيما بعد، فيعتمدون على أنفسهم وجهدهم.⁽¹⁾

9. العلم بطبائع المعادن، وفنون الصناعة:

إنَّ السدَّ⁽²⁾ الذي شيَّده ذو القرنين، مبنيٌّ بأرقى طرائق البناء، وأتقن وسائل التصميم، وأقوى معادن الصناعة، حيث ملأ الفجوة بين الجبلين بقطع الحديد، ثم أمر بنفخ الحديد بالنار،

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (14: 8990).

(2) إنَّ المتأمل لقوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّجَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّن كَلَّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾ [الأنبياء: 96-97]، وأقوال المفسرين يظهر له أنَّ السد الذي شيَّده ذو القرنين ﷺ باقياً إلى يومنا الحاضر، وأنَّ زعم من قال بأنَّ السدَّ فُتِحَ منذ زمان طويل باطل؛ لأنَّ حديث النواس بن سمرعان ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه (ح: 2937)، صريحٌ في أنَّ الله ﷻ يوحى إلى سيدنا عيسى ﷺ بخروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال؛ فمن يدعي أنَّ السد قد اندك منذ زمن فقد خالف ما أخبر به النبي ﷺ، كما وهم من قال أنه سد مأرب، أو سور الصين العظيم؛ لأنَّ الأول مكونٌ من الحجارة والتراب، والآخر ممتد فوق السهول والوديان والتلال مسافة (2400 كم)، وسدُّ ذي القرنين بين جبلين، ومصنوع من الحديد والنحاس المذاب؛ إذن فالقول الأقرب إلى الصحة أنَّ السدَّ مقامٌ على مضيق داريال في جبال القوقاز، إذ يوجد ضمن سلسلة جبلية ممتدة إلى حوالي (1200 كم)، ولا يزيد عرضه عن (100 متر تقريباً)، وفي هذا المضيق حاجز حديدي تنطبق عليه جميع أوصاف سد ذي القرنين، وهو يقع الآن في جمهورية جورجيا السوفيتية. انظر: أضواء البيان: لمحمد الأمين الشنقيطي: (3: 343-345)، مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 312-315، كما أشار إلى موقع السد الإمام القرطبي في تفسيره، فقال: " وهما جبلان من قِبَل أرمينية وأذربيجان". الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (11: 55).

حتى جعل قطع الحديد حمراء متوهجة، فصبَّ عليها وهي في تلك الحالة النحاس المذاب⁽¹⁾، فاستحكم البناء أيما استحكام، وقوي كل قوة، وأصبح غاية في الصلابة، والملاسة، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: 97]، حيث بقى السد رغم تعاقب الأزمان والمناخ عليه، صامدًا إلى يومنا الحاضر، وحتى يأذن الله ﷻ بخروج يأجوج ومأجوج، وهذا دليل على ارتقاء علم الصناعة والعمران عند ذي القرنين⁽²⁾.

المطلب الثاني: نبي الله داود ﷺ:

هو داوود بن إيشي، ينتهي نسبه إلى نبي الله يعقوب ﷺ، وكان من جند طالوت، فقتل جالوت بمقلاعه؛ فجمع الله ﷻ له بين الملْك والنبوة، ولم تكن لأحد قبله في بني إسرائيل، فجمع بين خيري الدنيا والآخرة، وولي الملك بعد قتله لجالوت، وقيل غير ذلك، وبلغ ملك بني إسرائيل في عهده مكانة عظيمة في القوة والبأس، وآتاه الله ﷻ الزبور، فيه حكمة وعظة، فاستكمل به التوراة التي كانت شريعة، فحاز مُلك داوود ﷺ العلم بالشرعية، والحكمة، ورفائق الكلام⁽³⁾.

معالم القيادة الراشدة عند نبي الله داود ﷺ:

إنَّ قيادة نبي الله داود ﷺ تميَّزت بمعالم راشدة عديدة، لخصتها في السبعة التالية:

1. الشجاعة:

إنَّ نبي الله داود ﷺ، باشر قتل جالوت بيديه العاريتين من السلاح، إلا ما كان معه من مقلاع وأحجار، في حين أن أقوياء بني إسرائيل تهيَّبوا من مبارزة جالوت، وخشوا فتكه بهم، فلم يخرج أحد للمبارزة سوى نبي الله داود ﷺ، وهذا دليل على شجاعته، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ...﴾ [البقرة: 251].

فائدة:

إنَّ الأمور لا تجري على ظواهرها، إنَّما تجري بحقائقها التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، فقد قتل داوودُ ﷺ هذا الفتى الصغير، جالوتَ الملْك القوي، والفائدَ المهاب، فعلى المؤمن الصادق أن يكون قويَّ القلب، ينهض بواجبه، وفي بيده، ويؤدي أمانته التي حملها، لا يخشى ملكًا ظالمًا، ولا جبارًا غشومًا، فهؤلاء الظلمة ضعاف، مهانون، جبنا، يغلبهم الفتية الصغار⁽⁴⁾.

(1) توصل العلم الحديث إلى أنَّ أفضل طريقة لتقوية الحديد هي إضافة النحاس المذاب إليه؛ فإنَّ سبيكتي الحديد والنحاس من أقوى السبائك المعروفة في الصلابة، والنعمية، والملس. انظر: (تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: للدكتور زغلول النجار: (2: 49).

(2) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين: لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري: 156-157.

(3) انظر: قصص الأنبياء: لابن كثير: 421، التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (17: 115).

(4) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (1: 270).

2. العلم بالأحكام الشرعية، والفقہ في الدين:

أتى الله ﷺ نبيه داود ﷺ العلم بالشرعية، والفقہ في الدين، والإدراك السليم للأمور، وحسن الفصل في الخصومات، ومَلَكة الاجتهاد في المسائل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ اللَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:15]، وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [الأنبياء:79].

قد أتى الله ﷺ نبيه داود ﷺ نِعْمًا كثيرة، لكنَّ أعظم نعمة بعد نعمة النبوة أُوتِيها، هي نعمة العلم؛ لأنَّه النعمة الحقيقية التي يجب أن يفرح بها المؤمن، فالملك، والدنيا، ليست بشيء أمام نعمة العلم؛ لأنَّه النعمة التي لا يستغني عنها الخلق.⁽¹⁾

3. قبول المخالفة في الرأي، والحكم:

إنَّ القرآن الكريم قصَّ علينا موقفًا قضى فيه داود ﷺ بقضاء، فجاء سليمان ﷺ فاجتهد ففضى بقضاء آخر، قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ...﴾ [الأنبياء:78-79]، فسياق الآيات يفيد أن نبي الله داود ﷺ، قبل حكم سليمان ﷺ، دون الشعور بالكراهة، أو الغضاضة؛ لأنَّ هدف القائد الراشد الوصول إلى أصوب الأحكام، دون النظر إلى مصدرها.

يقول الطاهر بن عاشور معلقًا على قصة الحُكْم هذه: " فهذه القضية التي تضمنتها الآية مظهر من مظاهر العدل، ومبْلَغ تدقيق فقه القضاء، والجمع بين المصالح والتفاضل، بين مراتب الاجتهاد، واختلاف طرق القضاء بالحق، مع كون الحق حاصلًا للمحق، فمضمونها أنَّها الفقه في الدين الذي جاء به المرسلون من قبل"⁽²⁾.

فائدة:

إنَّ الحُكْم الذي حَكَم به سليمان ﷺ مخالفًا به حُكْم داود ﷺ، لا يقدر في علم نبي الله داود ﷺ، أو يطعن في حكمه؛ وبيان ذلك في الواقع الذي نعيش أنَّ حكم داود ﷺ يمثل الحكم الصادر عن محكمة البداية، وحكم سليمان ﷺ يمثل الحكم الصادر عن محكمة الاستئناف، ولا يعتقد أحدٌ أنَّ رَدَّ محكمة الاستئناف حُكْم محكمة البداية، أنَّها تطعن فيها، فالمسألة مجرد اجتهاد في الأدلة والبراهين، وحجج كل من الطرفين.⁽³⁾

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10752).

(2) التحرير والتتوير: للطاهر بن عاشور: (17: 115).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (15: 9602).

4. العلم بفنون الصناعة (صناعة الدروع)، والإتقان في ذلك:

مَنَّ اللهُ ﷺ على نبيه داوود عليه السلام، بتعليمه صناعة الدروع، ونسجها على صورة مُثَقَّنَةٍ، مُحْكَمَةٍ؛ لتقي الجنود من بأس السلاح، فالدروع تقي الجندي من ضرب السيف، ورمي الرمح والسهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحِصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْيٍ مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَيْفَاتٍ وَقَدَرِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَنِيعًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: 10-11].

فقد أمر الله ﷺ نبيه داوود عليه السلام أن يصنع الدروع المحكمة، البالغة الجودة والإتقان، مع حسن التفكير في عملها، وتهيئتها بما يحقق وظيفتها، من حماية المقاتل وعدم إيقاله بالحديد، بحيث تكون في أكمل صورة، وأقوى هيئة. (1)

فائدة:

إنَّ تعلم أهل الفضل والقيادة الصنائع والحرف، لا يُنقص من قدرهم أو مناصبهم شيئاً، بل إنَّ ذلك ممَّا يزيد في فضلهم، ومكانتهم بين رعيته، وظهور فضائلهم على غيرهم، لما يتحقق لهم من الفوائد العظيمة التي تعود بالنفع عليهم؛ من الحصول على خُلق التواضع الذي يُحبيب الرعية فيهم، والاستغناء بأنفسهم عن غيرهم، وكسب المال الحلال الخالي عن امتنان أحد عليهم، واتهامه في ذمهم، وظهور عفتهم عن أموال رعيته. (2)

وورد في الحديث الصحيح الذي رواه المقداد بن معدٍ يكرب رضي الله عنه قال: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ). (3)

5. القوة:

امتَنَّ اللهُ ﷺ على نبيه داوود عليه السلام بالقوة البدنية؛ فاستطاع أن يهزم بها جالوت بفضل الله ﷻ، وقوة في العلم والعبادة، والطاعة والعمل؛ فقد كان يقوم ثلث الليل، ويصوم نصف الدهر، وقوة في الملك والسلطان (4)، قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ...﴾ [ص: 17]، أي: "ذا القوَّة والبطش الشديد في ذات الله ﷻ، والصبر على طاعته" (5).

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (11: 274).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (14: 234).

(3) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ: ح: 2072، (ج: 3، ص: 57).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (7: 57).

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (21: 166).

6. كمال العبودية لله ﷻ:

إنَّ الله ﷻ وصف نبيه داوود عليه السلام بالعبودية، فقال تعالى: ﴿...وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ...﴾ [ص:17]، والوصف بالعبودية لله ﷻ غاية التشريف، وهذا دليل على أنَّ داوود عليه السلام قد حقق معنى العبودية لله ﷻ، وذلك بسبب اجتهاده في طاعة الله ﷻ، والاعتصام به، والالتجاء إليه. (1)

7. الاعتراف بالذنب، والرجوع إلى الله ﷻ:

إنَّ نبي الله داوود عليه السلام كان كثير الإنابة والرجوع إلى الله ﷻ، في جميع أموره وأحواله، كثير التضرع والدعاء، يعود إلى الله ﷻ عند وقوعه في بعض الخلل، يعود بالإقلاع، والتوبة النصوح (2)، قال تعالى: ﴿...أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:17].

ومما يدل على ذلك قصة الحكم بين الخصمين في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَدَىٰ نَبِيُّ الْأَخْصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ ففَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِلَىٰ يَمَاجُجٍ وَإِنَّ كَبِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:21-24].

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ داوود عليه السلام قد أصدر حكماً بتعدي صاحب التسع وتسعين نعجة على صاحبه، وظلمه له، دون أن يسمع حجة الخصم الآخر؛ لأنه لو سمعها فقد يتغيَّر الحكم، فالقضاء الحق عدم الأخذ بظاهر أقوال الخصوم، والتأثر بالعاطفة، بل عليه منح الخصوم الفرصة في الدفاع عن أنفسهم، وألا يُصدر الأحكام عن هوى وانفعال. (3)

إنَّ داوود عليه السلام أدرك بعد انصراف الخصمين، أنَّ الله ﷻ قد اختبره وابتلاه وفتنته، فاستغفر ربه، وعاد تائبًا، خاضعًا، خاشعًا، قال تعالى: ﴿...وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ * فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:24-25].

إنَّ التعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة يكشف كذلك عن طبيعة الفتنة؛ وأنها متعلقة بالحكم والقضاء بين الناس الذي ولَّاه الله ﷻ لنبيه داوود عليه السلام (4)، وليس ما ذهب إليه البعض من الاعتماد على الإسرائيليات في شأن المرأة، قال تعالى: ﴿يٰۤاٰدٰمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاٰمُرُكَ بِالنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَّمَّا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:26].

(1) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (23: 284).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 711.

(3) انظر: أيسر التفاسير: لأسعد حومد: 3873.

(4) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 3018).

المطلب الثالث: نبي الله سليمان ﷺ:

هو نبي الله سليمان بن داوود (عليهما السلام) من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، أوصى له أبوه سيدنا داود ﷺ بالملك، وورث سليمان ﷺ الملك وعمره ثلاث عشرة سنة، وكان صاحب فطنة، وحسن التدبير والسياسة، له بصيرة قوية في الحكم والقضاء، بنى بيت المقدس بعد أربع سنين من توليه الملك، وانتهى من بنائه بعد سبع سنين، وأقام السور حول مدينة القدس⁽¹⁾، وقد أنعم الله ﷻ عليه بنعم كثيرة؛ فسخر له الريح، والجن، ومردة الشياطين، وغيرها، وملك جيشاً عظيماً قوامه الإنس والجن والطير، توفي ﷺ فلم تعلم الإنس ولا الجن بموته، حتى أكلت الأرضه عصاه، فخر على الأرض، وتحقق الناس من موته، دلّ على هذا قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ:14].

معالم القيادة الراشدة عند نبي الله سليمان ﷺ:

أتى الله ﷻ نبيه داوود ﷺ من كل أسباب الملوك والسلطان، مالم يُعطه أحداً من العالمين، ومع كل هذا فقد كان نعم القائد الراشد، والذي برزت معالم الرشاد في قيادته في جوانب متعددة، أجملتها في السبعة عشر التالية:

المعلم الأول: العلم:

امتن الله ﷻ على نبيه سليمان بالعلم، قال تعالى: ﴿... فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴾ [الأنبياء:78]، العلم المتعلق بعلوم الدين وعلوم الدنيا.

المعلم الثاني: القدرة على الاجتهاد:

إن الله ﷻ منح سليمان ﷺ الأسباب المعينة على الاجتهاد الصحيح، وإدراك بواطن الأمور، والفصل في الخصومات بين الناس، بناءً على الفقه في الدين، والإحاطة بأحكامه، وتشريعاته، ومقاصده، وغاياته، قال تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:78-79]، فكان حكم نبي الله سليمان ﷺ هو الأنسب، والأوفق والأرفق بالمتخاصمين في هذه المسألة، كما يتضح من المعلم التالي.

(1) انظر: قصص الأنبياء: لابن كثير: 433.

المَعْلَم الثالث: العناية بالبناء والتعمير:

جَمَعَ حُكْمُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فِي تَرْسِيخِهِ لِدَعَائِمِ الدَّوْلَةِ، بَيْنَ العَدْلِ، وَبَيْنَ البِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ؛ فَقَدْ جَعَلَ العَدْلَ فِي القَضَاءِ دَافِعًا إِلَى البِنَاءِ، وَالعَمَلَ وَالإِنْتَاجَ، وَهَذَا هُوَ العَدْلُ الإِجْبَابِي البِنَاءُ، الَّذِي يَدْفَعُ المَجْتَمَعَ نَحْوَ الإِنْتَاجِ، وَيُسَخِّرُ طَاقَاتِهِ فِي الإِصْلَاحِ وَالتَّعْمِيرِ⁽¹⁾.

وَبَيَانَ ذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَضَى فِي غَنَمِ رَعْتِ زَرْعًا لِرَجُلٍ فَأَفْسَدَتْهُ، أَنَّ الغَنَمَ لِصَاحِبِ الزَّرْعِ، وَكَانَ هَذَا عَدْلًا، وَقَدْ قَضَى سَلِيمَانُ ﷺ قَضَاءً يَظْهَرُ فِيهِ تَوَجُّهُ النَّاسِ نَحْوَ البِنَاءِ، حَيْثُ قَضَى أَنَّ تُدْفَعُ الغَنَمُ إِلَى صَاحِبِ الزَّرْعِ، فَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا وَأَصْوَابِهَا وَلَحُومِهَا، بَيْنَمَا يَقومُ صَاحِبُ الغَنَمِ بِإِصْلَاحِ الزَّرْعِ، حَتَّى يَعودُ إِلَى حَالَتِهِ وَقَتِ دُخُولِ الغَنَمِ عَلَيْهِ، فَتُرَدُّ الغَنَمُ إِلَى صَاحِبِ الغَنَمِ، وَيُرَدُّ الزَّرْعُ إِلَى صَاحِبِ الزَّرْعِ.⁽²⁾

المَعْلَم الرابع: اليقظة مع المتابعة والمراقبة الدقيقتين للرعية:

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَمَيَّزُ بِالإِيقَظَةِ الإِجْبَابِيَّةِ، وَالمَتَابَعَةِ الدَّقِيقَةِ لِأَتْبَاعِهِ، وَجُنُودِهِ، فَجَنَدَهُ يَوقِفُ عَلَى غِيَابِ الهَدِيدِ، ذَلِكَ الطَّيْرَ الصَّغِيرَ، مِنْ بَيْنِ الآلَافِ مِنْ جُنُودِهِ، مِنَ المَخْلُوقَاتِ المَخْتَلِفَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَى مَعْرِفَةِ سَلِيمَانَ ﷺ بِجُنُودِهِ، وَمَدَى عِلْمِهِ وَمَتَابَعَتِهِ لِكُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ فِي مَمْلَكَتِهِ، وَدَقَّةَ تَرْتِيبِهِ وَتَقْسِيمِهِ لِجُنُودِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الَّهْدَهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20].

فائدة:

إِنَّ القَائِدَ الرَّاشِدَ لَا يَدُ لَهُ مِنْ مَتَابَعَةِ رَعِيَّتِهِ وَمَوْظِفِيهِ، فَسَلِيمَانُ ﷺ مَعَ أَنَّ مُلْكَهُ مُسَخَّرٌ لَهُ، وَمُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتْرِكْهُ دُونَ مَتَابَعَةٍ وَمَرَاقَبَةٍ.⁽³⁾

المَعْلَم الخامس: التأكد من المعلومات:

إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ آتَى نَبِيَّهُ سَلِيمَانَ ﷺ عِلْمًا وَاسِعًا، وَمَعَ هَذَا العِلْمِ الوَاسِعِ، نَجَدْنَا أَنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ مَبَاشَرَةً بِغِيَابِ الهَدِيدِ، بَلْ اتَّهَمَ حَوَاسِهِ أَنَّ تَكُونَ قَدْ خَدَعْتَهُ بِدَايَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿...فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الَّهْدَهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20]، وَلَمْ يَقُلْ: (إِنَّ الهَدِيدَ غَائِبٌ)، فَعَدَمَ رُؤْيَتِهِ لِلْهَدِيدِ لَا تَعْنِي غِيَابَ الهَدِيدِ، فَكَانَ هُنَا وَجُوبُ التَّأَكُّدِ مِنْ وَجُودِ الهَدِيدِ مِنْ عَدَمِهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ لِسَلِيمَانَ ﷺ غِيَابَ الهَدِيدِ، تَوَعَّدَهُ بِالعِقَابِ الشَّدِيدِ.

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2389).

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن: للطبري: (18: 479).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10765).

فائدة:

إنَّ القيادة الراشدة إذا التمسَتْ حقيقة من الحقائق، فلم تجدها بين أيديها، تشككت في أسلوب تفكيرها، وطريقة بحثها، وقوة حواسها، التي لم تصل بها إلى الحقيقة، ثم أعادت البحث والنظر والتدقيق حتى تصل إلى مطلوبها وغايتها؛ لأنَّ غياب الحقيقة عن القيادة لا يعني عدم وجودها، ولا يكون ذلك مدعاة إلى إنكارها، فليس ذلك من أخلاق القيادة الراشدة، ولا من طرق تحصيلها للعلم.⁽¹⁾

المعلم السادس: معاقبة المتخلفين بغير إذن:

إنَّ المنهج السليم يقتضي من القيادة الراشدة معاقبة المتخلف المسيء، ليكون عبرة لغيره، وليرتدع الذين يفكرون في الخروج عن طاعة القيادة أو مخالفتها، فكان هذا الموقف الحاسم الصارم من سليمان عليه السلام تجاه الهدد عندما شعر بتغيبه دون إعلام القيادة بذلك، قال تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ...﴾ [النمل: 21].

فائدة:

إنَّ غضب القيادة من جنودها عند تغييبهم، أو تصرفهم في الأمور المتعلقة بحياة الأمة ومستقبلها على حسب أهوائهم، دون الرجوع إليها، أمر مشروع؛ لأنَّ الجيوش تُهزم، والأمم تنهار وتُدمَّر، عند مخالفة أوامر القيادة، أو التصرف انطلاقاً من الأهواء والشهوات.

المعلم السابع: الاستماع لحجج المذنبين قبل إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات:(العدل):

قد أصدر نبي الله سليمان عليه السلام الحكم على الهدد بسبب غيابه بدون إذن؛ بالعذاب الشديد المؤلم، أو الذبح، أو يدفع الهدد عن نفسه العقاب بحجة قوية يوضِّح فيها سبب غيابه، ويقنع فيها سليمان عليه السلام بالعفو عنه، والتجاوز عن خطئه، وإسقاط العقوبة عنه، فالملاحظ أنَّ سليمان عليه السلام النبي الحكيم قيَّد تعذيب الهدد، أو ذبحه، بعجز الهدد عن الإتيان بالعدر المقبول⁽²⁾، قال تعالى: ﴿... أَوْ لِيَأْتِيَنَّ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 21].

إنَّ نبي الله سليمان عليه السلام الملك العادل، لا ينبغي له أن يقضي في أمر الهدد قضاءً نهائياً دون أن يستمع إلى حجته، ويتبين عذره، ففي هذه المواقف تبرز سمة العدل عند القيادة الراشدة.⁽³⁾

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن: للدكتور عبد الكريم الخطيب: (10: 233).

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 317).

(3) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 2638).

المعلم الثامن: غرس احترام القيادة في قلوب الرعية دون خوف أو ذل أو مهانة:

خاطب الهدد نبي الله سليمان عليه السلام أعظم ملوك الأرض، بكل قوة وعزة، فلم يلاحظ من كلام الهدد أي نبرة للذلة، أو المهانة، قال تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَمَا بَكْرٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:22]، فيجب على القائد الراشد أن يُعامل أتباعه بهذه الروح، التي تزرع في الأتباع حب القيادة واحترامها، دون خوف أو ذل.

إنَّ الله ﷻ يُعَلِّمُ القيادة الراشدة في كل عصر ألا تكتم مواهب التابعين، وأن تمنحهم الفرصة، وتفسح لهم المجال للتعبير عن آرائهم، وإظهار مواهبهم، والحديث عن أعمالهم، ففوة الأتباع هي قوة للقيادة، ودعم لها. (1)

المعلم التاسع: وضوح هدف القيادة للأتباع: (وضوح الرؤية):

إنَّ وضوح الهدف الذي يسعى سليمان عليه السلام إلى تحقيقه عند الأتباع، سهَّل عليهم تحديد الأدوار التي تتناسبهم؛ فهدفه عليه السلام نشر دين الله ﷻ في الأرض، وإعلاء كلمة التوحيد، وإنهاء كل عبادة لغير الله ﷻ؛ وهذا ما دفع الهدد إلى البحث عن قوم لا يعبدون الله ﷻ؛ ليُعَلِّمُ نبي الله سليمان عليه السلام بهم؛ ليدعوهم إلى التوحيد، ويُقيم الحجة عليهم؛ وهذا ما جعل الهدد يتكلم بكل قوة وثقة في إخبار سليمان عليه السلام بقصة ملكة سبأ؛ لأنَّ عمله هذا يتفق مع الهدف الذي يسعى سليمان عليه السلام إلى تحقيقه. (2)

المعلم العاشر: التثبت من الأخبار، مع عدم الانبهار بقوتها وفصاحتها:

إنَّ نبي الله سليمان عليه السلام لم يتسرع في تصديق الهدد أو تكذيبه، وهذا هو شأن القائد الراشد العقل الحكيم، فإنَّ الأنباء العظيمة لا تُخرج القيادة الراشدة عن اتزانها، وحكمتها، ووقارها، فتتدفع إلى تصديق الأخبار، أو تكذيبها، دون التثبت من صحتها، فوجد سليمان عليه السلام بيني حكمه على ما سيظهره تحقيقه، من صدق الخبر، أو كذبه (3)، وذلك بعد امتحانه واختباره، قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل:27].

لطيفة:

قال القرطبي: " قال (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ) ولم يقل سننظر في أمرك؛ لأنَّ الهدد لما صرَّح بفخر العلم في قوله: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)، صرَّح له سليمان عليه السلام بقوله: سننظر أصدقت أم كذبت، فكان ذلك كفاء لما قاله" (4).

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10771).

(2) انظر: درس قرآني في القيادة: (مقال)، المصدر: <http://forum.alrabita.net/showthread.php>.

(3) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 2639)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 320).

(4) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (13: 170).

المعلم الحادي عشر: الاستفادة من قدرات الأتباع لإنجاز المهمات:

إنَّ نبي الله سليمان ﷺ مع ما منحه الله ﷻ من القدرات، وآتاه من العلوم والخبرات، وسخَّر له المخلوقات، إلاَّ أنَّه كان يستعين بأتباعه؛ ليقوموا ببعض المهمات الدقيقة والخطيرة، حيث ذكر لنا القرآن الكريم مثالين على ذلك؛ هما:

أولاً: تكليف الهدهد بمهمة إرسال الرسالة إلى ملكة سبأ (بلقيس)، والتَّصُّت عليهم؛ لمعرفة ردود أفعالهم على الكتاب:

إنَّ نبي الله سليمان ﷺ لما قصَّ عليه الهدهد خبر أمة لا تعبد الله ﷻ، وتسجد للشمس من دونه، كتب كتاباً على الفور، غاية في الإيجاز والدقة والبلاغة، قصداً للإسراع في إزالة المنكر، والدعوة إلى توحيد الله ﷻ، وإقامة دينه وشريعته في الأرض⁽¹⁾، قال الله ﷻ على لسان سيدنا سليمان ﷺ: ﴿أَذْهَبَ بِكُتَيْبٍ هَكَذَا فَآلَيْهِ إِلَيْهِمْ...﴾ [النمل:28].

كما أنَّ نبي الله سليمان ﷺ لم يكتفِ بإرسال الكتاب فقط؛ بل كان حريصاً على معرفة ردود أفعالهم؛ فأمر الهدهد أن يختبئ قريباً من مكان الاجتماع؛ فيسمع ردود الأفعال، حتى يعرف القرار الذي يتخذه بناءً على الكتاب؛ ليختار الأسلوب الأفضل في التعامل معهم، فقال الله ﷻ على لسان سيدنا سليمان ﷺ: ﴿...ثُمَّ قَوْلَ عَلَيْهِمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل:28]، فجاءه الخبر من الهدهد أنَّها تخشى على نفسها، وقومها من الذلة، وحصول الفساد لبلادها.

وقد كلف نبي الله سليمان ﷺ الهدهد بهذه المهمة للأسباب الثلاثة التالية:⁽²⁾

الأول: لما رأى في الهدهد من مظاهر الحكمة، والعلم، وصحة الفراسة.

الثاني: ليتبين صدق الهدهد من كذبه، فلا يبقى للهدهد عذر عند سليمان ﷺ.

الثالث: لعلمه بالمكان وخصائصه، وخصائص القوم وقائدتهم.

إنَّ المتأمل للموقف الأنف الذكر يخرج بالفائدتين التاليتين:

الأولى: ينبغي على القيادة الراشدة الإسراع في إنكار المنكر، وعدم التباطؤ في تغييره، وألا تترك مجالاً لأصحاب المعاصي والموبقات لارتكابها ومقارفتها؛ ليدلَّ على مدى عنايتها بالدين والمحافظة عليه.

الثانية: يجوز للقيادة الراشدة إرسال العيون، والجواسيس؛ للتَّحَصُّل على أخبار الأعداء؛ لتتخذ الإجراءات المناسبة لحماية المجتمع من كل المخاطر التي تُدبَّر لتدميره، وإلحاق الأذى بأهله.

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي: (5: 422).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود: (6: 283).

ثانياً: تكليف الذي عنده علم من الكتاب ليحضر عرش بلقيس إليه:

إنَّ نبي الله سليمان عليه السلام مع ما آتاه الله ﷻ من أسباب القوة والقهر، نراه لمَّا استشرف مجيء ملكة سبأ مؤمنة وقومها، يطلب من المقربين إليه أن يأتوه بعرشها، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ [النمل: 38-40].

إنَّ المتأمل للآيات السابقة يستخلص الفوائد الخمس التالية:

الأولى: إنَّ إظهار القوة الخارقة من القيادة الراشدة مطلوب؛ للتأثير في قلوب المخالفين، وقيادتهم نحو الإيمان بالله ﷻ، والاستجابة لدعوته، والالتزام بأحكام شريعته. (1)

الثانية: إنَّ العلم سبب لنيل الفضل والشرف؛ فإنَّ الكرامة التي وهبها الله ﷻ للرجل الذي أحضر عرش بلقيس، كانت بسبب ما منحه الله ﷻ من العلم. (2)

الثالثة: إنَّ حصول المزايا لبعض آحاد الرعية، لا يقتضي أفضلية الجندي على قائده؛ لأنَّه لا يُشترط في القائد أن يعرف كل شيء؛ الحقيق منه والعظيم. (3)

الرابعة: إنَّ القوة والأمانة من الصفات التي تشفع لصاحبها لتولي المهام الصعبة.

الخامسة: إنَّ القائد الراشد يغرس روح المبادرة لدى جنوده؛ فبمجرد إفصاح سليمان عليه السلام عن المهمة، تصدى لتنفيذها الجنود، دون تأخر، أو تباطؤ.

المعْلَم الثاني عشر: إرجاع الفضل إلى الله ﷻ في كل شيء، وشكر الله ﷻ على نعمه:

قصَّ علينا القرآن الكريم موقفين لنبي الله سليمان عليه السلام يعترف فيهما بالفضل لله ﷻ، ويُعلن شكره لله ﷻ فيهما، وهما:

الأول: سليمان عليه السلام يدعو الله ﷻ أن يلهمه شكر النعم بعد سماعه لمقالة النملة:

خَرَجَ سليمان عليه السلام بجيشه العظيم، من الإنس والجن والطيور، ومرَّ على وادي النمل فاستمع لمقالة نملة تعظ قومها بالدخول إلى مسكنهم؛ حتى لا يُسحقوا تحت أقدام الجيش العظيم والجنود لا يشعرون، فيقف متبسماً من مقالتها قائلاً في تواضع وتذلل لله ﷻ: ﴿... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 2641).

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 326).

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10785).

الثاني: سليمان عليه السلام يعترف بفضل الله عليه، لما رأى عرش بلقيس بين يديه: إن نبي الله سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس أمامه، مع أن بين مملكته ومملكة بلقيس مسافة بعيدة، أرجع الفضل في ذلك لله عليه، وشكره على نعمائه؛ كما قال تعالى: ﴿... فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:40].

المعلم الثالث عشر: الفطنة والذكاء:

منح الله عليه نبيه سليمان عليه السلام فطنة وذكاء، وقد ظهر ذلك في المواقف الثلاث التالية: أ. إدراكه للحكم الأكثر ملاءمة في قضية صاحبي الغنم والزرع⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿... فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ...﴾ [الأنبياء:79].

ب. اختيار الرد المناسب على رسالة بلقيس ملكة سبأ؛ لما أرسلت إليه الهدايا مع المخبرين، فأخذ يهددها بما تحذر منه، فقال لعملائها حملة الهدية: ﴿أُرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُمُودٍ لَّآ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل:37]؛ فقد علم مسبقاً من الهدد أن نقطة ضعفها هي الخوف على نفسها، وعلى أعزة قومها من حصول الذلة بعد العزة؛ بالأسر والرق على يدي نبي الله سليمان عليه السلام⁽²⁾.

ج. الطريقة الحكيمة في التعامل مع بلقيس ملكة سبأ عندما وصلت مملكته، حيث اختبر عقلها، ومدى تقبلها للهداية والاستجابة لدعوة التوحيد، من خلال الأمور الثلاثة التالية: الأول: أمر سليمان عليه السلام بتغيير هيئة عرشها الذي تركته خلفها في بلادها، ليختبر دقة ملاحظتها، وقوة عقلها وذكائها⁽³⁾، قال تعالى: ﴿قَالَ تَكْرُوهَا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:41].

الثاني: سؤالها عن عرشها المُغيَّر شكله سؤالاً يدل على فطنته وذكائه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ...﴾ [النمل:42]، ولم يقل لها أهدأ عرشك؟؛ لئلا يرشدها إلى الإجابة من خلال السؤال، فيفوت الهدف من اختبار ذكائها، وحسن تصرفها⁽⁴⁾.

الثالث: اختبار سليمان عليه السلام مدى قبولها للهداية، حيث أمرها بالدخول إلى الصرح، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:44].

(1) انظر: المعلم الثالث من هذا المطلب: ص 141.

(2) انظر: المعلم الحادي عشر من هذا المطلب: ص 144.

(3) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10790).

(4) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 328).

المعلم الرابع عشر: العناية بالصناعة:

إنَّ الله ﷻ مَنَّ لدولة بني إسرائيل في عهد نبيه سليمان ﷺ، تمكينًا عظيمًا، بل قد تكون الأعظم في حينها، فقد سحرَّ الله ﷻ لنبيه سليمان ﷺ الجن، والطير، والريح، ومع ذلك اعتنى بالصناعة؛ لِمَا لها من أهمية كبيرة في قوة الأمة وعزتها، حيث صَوَّرَ لنا القرآن الكريم عِظَمَ الثورة الصناعية في مملكة سليمان ﷺ، تلك الثورة القوية الدائمة المستمرة؛ حيث أَنَّ مَلِكَهَا مات وهو واقف يشرف على صناعاتها المختلفة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا مَا لَكُمْ دَاوُدُ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ۗ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةَ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِمْ فَلَمَّا خَرَ تَتَيْنَبَ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿سبأ: 13-14﴾.

ومما يدلُّ على رقي الصناعة في عهد سليمان ﷺ وتقدمها، إنباء الله ﷻ أسبابها لنبيه سليمان ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿...وَأَسْلَمْنَا لَهُ مِنَ الْعَقَبِ وَمَنْ أَلَجِنَ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿سبأ: 12﴾.

لطيفة:

إنَّ تعبير القرآن الكريم عن أعمال الجن في أعمال الصناعة بالفعل المضارع في قوله تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ) يفيد أنَّ الثورة الصناعية زمن سليمان ﷺ كانت مستمرة دائمة متجددة.

المعلم الخامس عشر: العفة:

إنَّ من معالم القيادة الراشدة عند نبي الله سليمان ﷺ عفته عن أموال الرعية، وعن مقدرات الأمم وخيراتها، فههدف القيادة الراشدة هو الدعوة إلى الله ﷻ، فهي لا تقبل المال عوضًا عن التوحيد والإيمان، ولهذا كان موقف سليمان ﷺ رفض هدية بلقيس، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ۗ أَنْزِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُودٍ ۗ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿النمل: 36-37﴾.

إنَّ نبي الله سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاء به رسل بلقيس، من المال، والذهب، والجواهر، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال: (أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ)، فأموالكم لن تغريني لأبقيكم على شرككم وملاكم؛ لأنَّ الذي منحني الله ﷻ به من الملك، والمال، والسلطان، خير ممَّا أنتم فيه (فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ)، فأنتم الذين تفرحون بالهدايا والعطايا (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ)، أمَّا أنا فلا أقبل منكم إلاَّ بالإسلام، أو القتال.⁽²⁾

(1) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين: لأحمد بن حمدان الشهري: 157.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (6: 191).

وقد ردَّ نبي الله سليمان ﷺ هدية بلقيس؛ لأنها كانت مقايضة له للسكوت عن الحق، وترك الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، فواجب القيادة الراشدة دعوة الناس للحق والخير، ونشر العقيدة الصحيحة، والأخلاق القويمة، وترسيخ معنى العبودية لله ﷻ، دون انتظار الأجر من أحد، ودون المهادنة أو المساومة على المبادئ والثوابت والأصول.(1)

المعْلَم السادس عشر: كثرة الطاعة والإنابة إلى الله ﷻ:

لقد امتدح الله ﷻ نبيه سليمان ﷻ، بأنَّه كثير التوبة والإنابة، قال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:30].

إنَّ نبي الله سليمان ﷻ كان كثير الرجوع إلى الله ﷻ في جميع أحواله وأوقاته، وعند حقير المهمات وعظيمها؛ فرأس الطاعة، اعتراف العبد بأنَّه لا يتم شيء من الخير والفضل، إلَّا بإعانة الله ﷻ، وتوفيقه.(2)

المعْلَم السابع عشر: حسن البيان:

إنَّ نبي الله سليمان ﷻ تميَّز بحسن البلاغة والبيان، وإتقان فنون الفصاحة والكلام، ظهر ذلك في جمال الرسالة التي بعث بها لملكة سبأ بلقيس؛ إذ اشتملت على وضوح الأمر الذي يريده سليمان ﷻ بعبارة قصيرة، موجزة، جمعت فنون البلاغة والبيان، مع حُسن الأسلوب، والحكمة في الطلب، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:30-31].

(3) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (19: 298).

(4) انظر: مفاتيح الغيب: للإمام الرازي: (26: 399).

المطلب الرابع: بلقيس ملكة سبأ (رضي الله عنها):

هي بلقيس ملكة سبأ، قيل: إنها ملكت اليمن تسع سنين، وكانت مملكتها في أرض مأرب، وقد ملكت جيشاً عظيماً، ولما وصلها كتاب سليمان عليه السلام، توجهت إليه، فأسلمت على يديه. (1)

معالم القيادة الراشدة عند ملكة سبأ بلقيس:

تميّزت قيادة بلقيس بمعالم قيادية راشدة، أجمّلها في الثمانية التالية:

1. إطلاع أهل الاختصاص على الأمور المستجدة:

إن بلقيس ملكة سبأ لما وصلها كتاب سليمان عليه السلام، لم تحتفظ بالمعلومة لنفسها، بل توجهت إلى حاشيتها ومستشاريها، والأشرف من قومها، وأخبرتهم بوصول الكتاب، بطريقة مجهولة لم تتبين كيفيتها، ليتخذوا الإجراءات المناسبة في التعامل مع مضمون الكتاب، والرد على مُرسله، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي لِكُنُودٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل:29].

2. الإنصاف:

لقد أنصفت بلقيس الكتاب الموجه إليها، مع أنه يحمل لها التهديد والوعيد، ويطلب منها الخضوع والاستسلام، لكنّها أنصفت الكتاب وصاحبه بوصفه بأنه كتاب كريم؛ لما رأت جمال هيئته، وبلاغة أسلوبه، وطريقة إرساله، وفخامة الورق المكتوب عليه (2)، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي لِكُنُودٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل:29].

3. الشورى:

إنّ "الشورى ضرورة بشرية لا تستغني عنها أمة من الأمم؛ لأنّ العقول مختلفة، والخبرات متنوعة، فتختلف أنظار الناس في القضية الواحدة، ولأنّ الذي يعيش في مجتمع لا يمكن أن يستغني بنفسه عن غيره، فكانت الأمم لهذا تجد في الشورى حلاً لمشكلاتها" (3)؛ لهذا نجد بلقيس تأخذ بمبدأ الشورى، مع أنها صاحبة الملّك، والسيطرة، والسطوة، فتستشير قومها في الطريقة المناسبة للرد على خطاب سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:32].

(1) انظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر: (69: 67-68).

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10777)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 604.

(3) الشورى بين الدولة الاسلامية والعمل الدعوي: للشيخ خالد بن محمد الصادقي: 1.

فائدة:

إنَّ بلقيس ملكة سبأ كانت حريصة على تطبيق مبدأ الشورى في حكمها قولاً وفعلاً، لكنَّ نجد في المقابل مستشارين قد تنازلوا عن القيام بدورهم في إبداء النصح والمشورة، وفوّضوا الأمر للحاكم، وهذا الأمر من أسوأ طباع المستشارين، ومن أبرز مظاهر خيانتهم لأمانة النصح والإرشاد، قال تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدِ وَالْأَمْرِ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل:33].

4. العلم بطبائع البشر وأحوالهم، وأساليب التعامل معهم:

إنَّ بلقيس ملكة سبأ كانت متمنّعة بخبرة عالية بطبائع البشر، محيطة بالأساليب المناسبة للتعامل مع كل صنف من الأصناف البشرية، حيث نجدها تتحدث عن طبائع الملوك الذين يسعون لتحقيق المنافع الدنيوية، والمصالح الشخصية، الذين يدخلون البلاد بالقهر والقتال، فيفسدون في الأرض، ويشيعون فيها الخراب والدمار، ويدلون أشرافها وزعماءها، وينهبون خيراتها ومقدراتها، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل:34].

5. الحكمة:

إنَّ مما يُميّز بلقيس اتصافها بالحكمة في إدارة الأزمات التي تواجهها؛ حيث تعاملت مع الخطاب الموجه إليها من سليمان عليه السلام بحكمة بالغة، ودون تسرع، أو عمل غير محسوب، يعود عليها، وعلى قومها، بالخراب، والدمار، والهلاك، فقد رأت قبل اتخاذ أي رد بخصوص الكتاب، أن تتعرف على شخصية مرسله، من خلال إرسال الهدايا مع المخبرين، ومن ثمَّ اختيار الأسلوب الناجع في الرد على فحوى الكتاب، بناءً على رد الفعل من سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل:35].

فقد أرسلت الهدايا التي تبهر الملوك، وتأخذ بألبابهم؛ لتختبر نبي الله سليمان عليه السلام، أهو نبي، أم ملك، فإن كان نبياً لم يقبل الهدية، ولم يرّض منها ومن قومها إلا الإسلام، والخضوع لسلطان التوحيد، وإن كان ملكاً قبل الهدية، وفرح بها، وانصرف.⁽¹⁾

6. الفطنة والذكاء:

تميّزت بلقيس ملكة سبأ بالفطنة، والذكاء، فقد أبان القرآن الكريم عن مدى ذكائها، ورجاحة عقلها، من خلال الموقفين التاليين:

الأول: سلوك بلقيس طريقة ذكية لإقناع قومها بالسلم، وترك الحرب، في شأن نبي الله سليمان عليه السلام؛ فهي لم تطلب من قومها صراحة السلم، والمصالحة مع سليمان عليه السلام، ولكنها أشارت إلى

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (19: 455).

عواقب القتال والانهزام، من حصول الخراب بعد العمران، والذلة بعد العزة، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:34].
فائدة:

الظاهر أنَّ قوله تعالى (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) من كلام الله ﷻ؛ ليؤكد على صدق كلامها، وإصابة رأيها؛ فهذا ما يفعله الملوك إذا دخلوا قرية، أو بلدًا، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ الله ﷻ وهو ربُّ العالمين، يؤيِّد قول الحقِّ الصادر عن عباده، ويُثبت له فضله وقدره، فمن باب أوَّلَى قَبُول القيادة الراشدة قولَ الحقِّ من قائله، والعمل على تأييده، والاعتراف بالفضل لصاحبه، دون التعصب ضدَّه، أو هضمه حقَّه؛ لمخالفته لمذهبه، أو بغضًا له. (1)

الثاني: الإجابة الذكية على سؤال سليمان عليه السلام، عن كون العرش المائل بين يديها عرشها أم لا؛ فلم تُعْطِ إجابة قاطعة؛ بالنفي، أو الإثبات، وتركت الإجابة محتملة؛ ليتدبرها السامع كما يشاء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ...﴾ [النمل:42].

إنَّ بلقيس الملكة العاقلة الذكية، أجابت جوابًا ذكيًا، يتناسب والسؤال الذي سُئلت، (أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟)؛ حيث كان السؤال محتملاً، فقابلته بإجابة محتملة؛ وهذا يدلُّ على الفراسة القوية، والبدئية السريعة، في مواجهة الأمور الطارئة. (2)

7. الحرص على سلامة رعيتها، وبلادها:

حرصت بلقيس على بلادها، وعلى سلامة قومها، فانطلقت متوجهة لسليمان عليه السلام بذاتها، لتتظَّر في طلبه، ولتحقق مراده، بطريقة تحفظ بها خير بلادها، وعزة أهلها، بعدما جاءها رد الرسالة العنيف، برفض قبول الهدية، والتصريح بالتهديد والوعيد الشديدين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتَنِي بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل:36-37].

فأختارت بلقيس برجاحة عقلها، وقوة فطنتها، السَّلْمَ والمصالحة والموادعة، على الحرب والقتال، بالرغم من امتلاكها قوة عسكرية ضخمة (3)، قال تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بِأْسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فَاَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل:33].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10779-10780).

(2) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 2642)، التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 328).

(3) انظر: التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (19: 318).

8. الاستجابة للحق:

إن بلقيس ملكة سبأ لم يصددها علو شأنها، وقوة أتباعها، وعظمة سلطانها، مع ما منحه الله ﷻ إياها، من سلامة الفطرة، وقوة الفراسة، ورجاحة العقل، عن النظر في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد، وتعتقد فساد ما كانت عليه من الشرك والوثنية، وتقر لله ﷻ بالوحدانية⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:44].

إن المتأمل في قول بلقيس في معرض إسلامها (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، وعدم قولها (أسلمت لسليمان)؛ يخرج بالسببين التاليين:⁽²⁾

الأول: أن الإيمان يكون بالله ﷻ، ووظيفة الرسول الدعوة إليه، والدلالة عليه.

الثاني: عزة النفس، وبهاء الملك، جعلها ترفض الخضوع لسليمان ﷺ، وتعلن إسلامها مع سليمان ﷺ، فالناس في الإسلام سواء، بحيث لا يطغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد، فالجميع أمام الله ﷻ سواء.

فائدة:

إن موقف بلقيس الآنف الذكر في إعلان الإيمان مع سيدنا سليمان ﷺ، يُقابله موقف الفراعنة الذين وعدوا نبي الله موسى ﷺ بالإيمان له إن دعا ربّه ليكشف ما نزل بهم من الضّر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:134].

وهناك فرق كبير بين الإيمان معه، والإيمان له؛ فالإيمان معه يعني التصديق بدعوة التوحيد التي يدعو لها، ويعتقها، بينما الإيمان له الوارد على لسان الفراعنة فغايتة الإيمان بأن سيدنا موسى ﷺ مرسل من ربّه؛ ليُخرج بني إسرائيل من أرض مصر، وليس الإيمان بدينه، وما يدعو إليه من توحيد الله ﷻ.⁽³⁾

(1) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (19: 277).

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10792).

(3) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (9: 73).

المبحث الثاني النماذج الراشدة للقيادة الدعوية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: مؤمن آل فرعون.
- المطلب الثاني: مؤمن آل يس.

المبحث الثاني

النماذج الراشدة للقيادة الدعوية

بين يدي المبحث:

إنَّ الدعوة إلى الله ﷻ هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، بعثهم الله ﷻ إلى الناس؛ ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، فالأنبياء جميعاً دَعَوْا أْقْوَامَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ، وصرف العبادة له دون غيره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ [النحل:36]، وقال تعالى مخبراً عن نوح ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:59]، وقال تعالى عن هود ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود:50]، فالأنبياء والمرسلون هم الدعاة الأوائل إلى الله ﷻ، اصطفاهم الله ﷻ لحمل أمانة الدعوة، وتبليغها للناس. (1)

إنَّ ركب الدعوة إلى الله ﷻ، مُوْغَلٌ فِي الْقِدَمِ، ماضٍ إلى قيام الساعة، يتحرك في خطى ثابتة، وخط مستقيم، لا يضره كيد الكائدين، ولا اعتراض المجرمين، ولا جهالة الضالين؛ من التابعين، والمتبوعين، ينطلق أهله من الدعاة رغم ما يُصيبهم من الأذى، وما يعترض طريقهم من العقبات؛ فتسيل الدماء، وتتمزق الأشلاء، وركب الدعوة في طريقه، لا ينحني، ولا يحدد؛ لأنَّه يعلم أنَّ العاقبة وإن طال الزمن للمؤمنين. (2)

وتمثل القيادة في أوساط المجتمعات أهمية كبيرة؛ فهي الواجهة الفعلية للمجتمع، وفي المجتمعات الإسلامية تبرز الحاجة الماسة للقيادة الدعوية؛ فهي صمام الأمان للمجتمع أمام ما يواجهه من أحوال صعبة، داخلية وخارجية، ولما لها من الأثر الكبير في إرساء دعائم المجتمع المسلم على أسس صحيحة سليمة. (3)

تعريف القيادة الدعوية:

"هي إدارة أمور مبنية على أسسٍ وضوابطٍ وصفات، يتحصل بمجموع ذلك اكتساب ثقة الآخرين واحترامهم، فتؤثر في سلوكهم، ويقبلون توجيهاتها، وينفذون أوامرها التي تحقق أهدافاً مبنية لخدمة دين الله ﷻ" (4).

(1) انظر: أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان: 380.

(2) في ظلال القرآن: لسيد قطب: (2: 1077).

(3) انظر: مجلة البيان: إدارة الأزمات في حياة الدعاة دراسة على حادثة الإفك: لمحمد بن علي شماخ: (العدد:

162، ص: 33)

(4) صفات القائد الدعوي: لعقيل بن محمد المقطري: 27.

المطلب الأول: مؤمن آل فرعون:

إنَّ مؤمن آل فرعون من المصريين، وهو صاحب مكانة عظيمة، وكلمة مسموعة عند فرعون، فقد كان في مرتبة ولي عهده، وقائد شرطته⁽¹⁾، خَلَّد القرآن الكريم ذِكْرَهُ؛ لوقوفه إلى جانب الحقِّ، والدفاع عنه.

معالم القيادة الدعوية الراشدة عند مؤمن آل فرعون:

إنَّ النَّاطِرَ في الآيات التي ذكرت موقف مؤمن آل فرعون، ودفاعه عن نبي الله ﷺ، ودعوته لقومه لاتباع الحق، وإمعان الفكر والعقل، يخرج بالمعالم الثمانية التالية في قيادته للموقف الدعوي، وهي:

المعلم الأول: الشجاعة:

إنَّ مؤمن آل فرعون بلغ من الشجاعة مبلغًا عظيمًا، ففي معرض غضب فرعون، وملئه من موسى ﷺ، واتخاذ فرعون القرار الحاسم بقتل موسى ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]، ينبري للدفاع عن موسى ﷺ، بكل شجاعة، وجرأة، غير آبه بما يلحقه من أذى فرعون، وحاشيته، ولم يَخْشَ في قول الحق لومة لائم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾ [غافر: 28].

المعلم الثاني: الحكمة:

تميّز مؤمن آل فرعون بالحكمة والعقلانية في إدارة موقف الدفاع عن موسى ﷺ، يظهر ذلك في النقاط الثلاث التالية:

الأولى: اختيار الوقت المناسب للدخول في معركة الدفاع عن موسى ﷺ؛ فلم يبدأ بالكلام قبل التعرف على خطتهم في شأن سيدنا موسى ﷺ، ولم يؤخّر الدفاع إلى وقت تنعدم الفائدة منه.

الثانية: اختيار الألفاظ المناسبة التي لا تثير غضب قومه، ولا تستفز مشاعرهم؛ وذلك من خلال الأمور الثلاثة التالية:⁽²⁾

أ. عدم التصريح باسم موسى ﷺ، مع أنّه المراد بالقتل؛ حتى لا يُثير حساسيتهم، قال تعالى: ﴿...أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾ [غافر: 28].

(1) انظر: الإكمال: لابن ماكولا: (4: 365)، كتاب المحبر: لمحمد بن حبيب البغدادي: (1: 388)، روح المعاني: للأوسى: (18: 80).

(2) انظر: مؤمن آل فرعون ودروس في الدعوة: لمحمود محمد عمارة: 25-26.

ب. تقديم احتمال كذب موسى ﷺ على احتمال صدقه؛ مبالغة في السريّة والحياد⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿...وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ...﴾ [غافر: 28].

ج. عمّم الحكم عند تحذيره قومه من حرمان الله ﷻ للمفسدين من هدايته وتوفيقه، قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28].

الثالثة: الحفاظ على سرية إيمانه في بداية الأمر؛ ليضمن إيصال الفكرة إلى قومه كاملة، وليستمروا في سماعه حتى النهاية.

المعلم الثالث: إتقان فنون المحاوراة والإقناع:

امتلك مؤمن آل فرعون مفاتيح الدعوة إلى الله ﷻ، وأتقن فنونها، وبرع في اختيار أساليب الإقناع المختلفة؛ ليدعم فكرته، وليخلّص إلى النتيجة التي يريدها من عدم التعرض لموسى ﷺ، أو رفض دعوته، ويمكن رصد مظاهر هذه السمة في النقاط السبع التالية⁽²⁾:

الأولى: البدء بتقطيع ما خطط له قومه من قتل موسى ﷺ، معلناً أنّ العقوبة المقررة في حق موسى ﷺ، لا تتناسب مع ما فعله أو قاله أنّ ربه الله ﷻ، وتصوير ما يقومون به بصورة بشعة قبيحة منكرة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾ [غافر: 28].

الثانية: بيّن لقومه أنّ موسى ﷺ يستند في دعوته على دلائل واضحة، وبراهين ساطعة، لا يُماري فيها عاقل، ولا ينكرها إلا جاحد، قال تعالى: ﴿...وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ [غافر: 28]، وهذا ما يزيد من بشاعة خطتهم، وشناعتها، لقتل موسى ﷺ.

الثالثة: الظهور بمظهر الرجل المحايد، صاحب النظرة الموضوعية المنصفة؛ ليكون هذا الأمر أدعى للنظر في مقالته، والتدبر في معانيها على الأقل، لعله يُغيّر مواقف بعض الفئة المحيطة بفرعون، قال تعالى: ﴿...وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ...﴾ [غافر: 28]، فكذب موسى ﷺ لن يلحق بنا ضرراً؛ لأنّ عاقبة الكاذب تعود عليه، ولا يكتوي بنار الكذب إلا صاحبه، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿...أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ...﴾ [غافر: 28].

(1) وهذا الفعل نظير ما فعل سيدنا يوسف ﷺ مع إخوته؛ ليستنقذ أخاه بنيامين، قال تعالى: ﴿...فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ...﴾ [يوسف: 76].

(2) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (6: 3079-3080)، التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (24: 131-132).

الرابعة: هزّ مشاعرهم، ولفّت أنظارهم، إلى خطورة التّكذيب بالحق، وذلك باللجوء إلى التهديد المبطن الخفي، الذي لا يمسُّ كبرياءهم، ولا يقدح في عزّتهم، التهديد بعقاب الله ﷻ، بأنّ الله ﷻ يحرم المكذّبين المسرفين من توفيقه وهدايته، وعقابه حالاً بهم، سواء أكان موسى عليه السلام، أم هم، قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28].

الخامسة: اغتنام فرصة انكسار قلوبهم، ومداخلة حجته نفوسهم، ليذكرهم بنعم الله ﷻ عليهم؛ حيث مكّن لهم في الأرض، وجعلهم ظاهرين على غيرهم؛ وليحدّثهم من عاقبة أفعالهم، والخروج عن طاعة ربهم، وعدم الاستجابة لأوامره، حيث تحل بهم الهزيمة بعد الانتصار، والضعف بعد القوة، والذلة بعد العزة؛ لأنّ النصر من عند الله ﷻ، ولا ناصر غيره، ولا معين سواه، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا...﴾ [غافر: 29].

السادسة: إدخال عموم قومه في مضمون النصيحة (يَقَوْمِ)؛ ليستميل قلوبهم، فيدفعهم إلى دعم موقفه أمام فرعون؛ فينصاع فرعون إلى اتفاق قومه، واجتماعهم، فيعدل عن قرار قتل موسى عليه السلام.

السابعة: اتباع الترتيب المنطقي في النصح، والتوجيه، فقد بدأ بتوجيه النصح في البداية لفرعون وملئه، ثم ثنّى بنصيحة الحاضرين من قومه، وهذا الترتيب الجميل نجده في الحديث الذي يرويه تميم الدّارِي عن النبي ﷺ، أنّه قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)⁽¹⁾ والمعتم الرابع: الرحمة والشفقة:

إنّ الرحمة والشفقة سمة هامة للقائد الدعوي؛ لأنّ الداعية الصادق يسعى لهداية الناس، والأخذ بأيديهم إلى طريق الاستقامة والصلاح، وتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة⁽²⁾؛ ولذلك لا بد أن تظهر عليه عند التعامل مع المدعويين الرحمة لهم، والشفقة عليهم، وهذا ما كان من مؤمن آل فرعون، حيث برزت شفقتة على قومه، وخوفه عليهم، فيما يتعلق بأمر دنياهم، وأمر آخرتهم، وبيان ذلك في الأمرين التاليين:

أولاً: خوفه على قومه من حلول عذاب الله ﷻ لهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿... فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا...﴾ [غافر: 29]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: 30].

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنّ الدين النصيحة: ح: 55، (1: 54).

(2) انظر: آداب الحوار وقواعد الاختلاف: للدكتور عمر بن عبد الله كامل: 13.

ثانياً: شففته على قومه من عذاب الله ﷻ لهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمٍ إِذْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
النَّارِ﴾ يَوْمٌ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿[غافر: 32-33].

المَعْلَمُ الخامس: الاستفادة من حوادث التاريخ وأخباره:

إنَّ نجاح الداعية الراشد في دعوته، منوط بما يمتلكه من خبرات، وبما يحيط به من معلومات، وبما يفهمه من واقعه الذي يعيشه، وهذا المعنى ظهر جلياً في مناظرة مؤمن آل فرعون لقومه؛ حيث احتج على قومه بما يعلمه من تاريخهم الصحيح⁽¹⁾، يُبين لهم ارتيابهم وشكهم في دعوة يوسف ﷻ من قبل، وهم اليوم في موقف مشابه بالموقف السابق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ
اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: 34].

المَعْلَمُ السادس: الهمة العالية، والعزيمة الماضية:

إنَّ مؤمن آل فرعون لم يُفْتَّ في عضده، ولم يُضعف من عزمته، ما قام به فرعون من التعريض بموقفه، والإشارة إلى ضلال رأيه، حيث نسب فرعون الرِّشَادَ إلى رأيه، قال تعالى: ﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]، لكنّه يبقى مُنطلقاً، مواصلاً طرح فكرته، ومستمرّاً في التحذير من مخاطر الإعراض عن دعوة موسى ﷻ، و متمسكاً بموقفه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُ يَنْفَرُوا أَتَبْعُونَ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 38].

إنَّه التحدي الواضح الصريح، الذي ينبع من همة عالية، لا تعرف الضعف، ولا يتملكها الخوف، تقول كلمة الحق، لا تخشى في الله ﷻ لومة لائم، لا تخشى سلطاناً ظالماً، ولا وزراء متآمرين، ولا منافقين مندسين.⁽²⁾

المَعْلَمُ السابع: الحرص الشديد على هداية قومه:

حرص مؤمن آل فرعون على حصول الهداية لقومه، يظهر ذلك في إلحاحه عليهم بالنصائح المتتالية، المرهبة والمرغبة، ومحاولته الشديدة لاستمالة قلوبهم، وتحريك وجدانهم من خلال تكرار عبارته المتلطفة (يا قوم).

المَعْلَمُ الثامن: الالتجاء إلى الله ﷻ:

يلجأ الداعية المخلص الصادق في الأوقات الصعبة، والمواقف الحرجة إلى الله ﷻ؛ لأنَّه يعلم أنَّ النفع والضرر بيده ﷻ، فإذا تنكَّر له العامة، وتوعده الزعماء، لجأ إلى خالقه؛

(1) انظر: التصور السياسي للحركة الإسلامية: الشيخ رفاعي سرور: 16.

(2) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 3082).

ليكشف كربيه، ويُزيل همه، ويُنصره على عدوه، يُمثلُّ هذا الموقفَ بكل معانيه مؤمنُ آلِ فرعون؛ فقد فَوَّضَ أمره إلى ربه؛ لَمَّا رأى إعراض قومه، ورفضهم لنصحه، أو الانتفاع بوعظه، قال تعالى: ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر:44].

المطلب الثاني: مؤمن آل يس:

هو حبيب بن مري، من أهل أنطاكية، وكان نجارًا، وقيل: إسكافيًا، وقيل: قصارًا، لَمَّا بلغه إجماع قومه على قتل الرسل الثلاثة، فانطلق يسعي إليهم، يذكرهم بالله ﷻ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فما كان من قومه إلا أن رجموه بالحجارة حتى مات. (1)

معالم القيادة الدعوية الراشدة عند مؤمن آل يس:

ههنا أستنبط خمسة معالم راشدة لقيادة مؤمن آل يس، وهي كما يلي:

المعلم الأول: المبادرة، والإيجابية:

تحرك مؤمن آل يس في مبادرة قوية، ينصر بها رُسل الله ﷻ، الذين كذبهم قومه، فقد انطلق من مكان بعيد، مسرعًا في سيره نحو بني قومه، يدعوهم إلى اتباع المرسلين، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:20]، وهذا نظير قوله تعالى في النَّاصِحِ لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص:20]

ينطلق هذا المؤمن داعية إلى الله ﷻ، بفطرة مستقيمة، يظهر فيها الصدق، والبساطة، والحرارة، والاستجابة لنداء الحق، والدفاع عنه، ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ، دون أن يطلب أحد منه التحرك، أو الانطلاق، تحرك في الوقت المناسب، حينما بلغ التهديد بالرسول مبلغه، ولم يعد هناك فائدة في القعود، والسكوت، أو المشاهدة، والمراقبة من بعيد، بل انطلق بعقيدته الصحيحة، وإيمانه الصادق؛ ليغيّر الضلال، والجحود من حوله. (2)

المعلم الثاني: الرحمة والشفقة:

ابتدأ مؤمن آل يس نصحه لقومه بما يُظهر شفقتهم عليهم، ورحمته بهم، فناداهم بلطف وحنان، قال تعالى: ﴿... قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:20].

المعلم الثالث: استخدام البراهين العقلية:

امتلك مؤمن آل يس القوة المنطقية في المحاجة والمناظرة، يحترم من خلالها عقول قومه، وأفهامهم، فأخذ يقيم عليهم الحجة تلو الأخرى؛ تأييدًا لفكرته، ودعمًا لرسول الله ﷻ،

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (20: 405-505)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (15: 17).

(2) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 2963)، مجلة البيان، العدد: 193، فطوف تروبية حول قصة أصحاب القرية، دعامتنا التغيير الحضاري: للدكتور حمدي شعيب: 28.

والتي تستوجب منهم الاستجابة والانقياد للحق، يظهر ذلك من خلال الأدلة الثلاثة التالية⁽¹⁾:
أولاً: إِنَّ رَسَلَ اللَّهِ ﷺ يَتَمَيِّزُونَ بِالنَّزَاهَةِ وَالْعِفَّةِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَسْمِعُونَ مِنْ لَدُنَّا مَنْ لَمْ يَشْكُرْ آبًا وَآبًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس:21].

ثانياً: أَكَّدَ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ ﷻ وَاجِبَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، كَمَا أَنَّ مَالَ الْإِنْسَانِ وَمَرْجِعُهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لِي لَأَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:22].

ثالثاً: أَكَّدَ أَنَّ النِّعَمَ وَالضَّرَّ بِيَدِ اللَّهِ ﷻ وَحْدِهِ، وَالْأَلِهَةَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُنْقِذُ صَاحِبَهَا مِنَ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُ مِنَ النَّارِ أَعْيُنًا وَمَا يَرَى مِنْهَا شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴾ [يس:23].

المَعْلَمُ الرَّابِعُ: الشَّجَاعَةُ:

تَمَيَّزَ مُؤْمِنُ آلِ يَسَ بِالشَّجَاعَةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ، وَالْجُرْأَةِ فِي إِدَاءِ الرَّأْيِ، لَمْ يَخْشَ فِي ذَلِكَ لَوْمَةَ لَائِمٍ؛ فَإِنَّ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ تُكْسِبُ صَاحِبَهَا الشَّجَاعَةَ وَالْقُوَّةَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ نَاصِرُهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَهُ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ ضَرٍّ، فَانْطَلَقَ يَعلَنُ إِيمَانَهُ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّي كَمَا فَاسْمَعُونَ ﴾ [يس:25].

إِنَّ مُؤْمِنَ آلِ يَسَ صَارَحَ قَوْمَهُ بِحَقِيقَةِ إِيمَانِهِ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَصَارِحَةِ، بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَقُوَّةٍ، مَصَارِحَةً لَا تَقْبَلُ الشُّكَّ، أَوْ التَّرَدُّدَ، وَلَنْ يُثْبِتِيَهُ عَنِ إِيمَانِهِ، وَعَدَّ وَلَا وَعِيدَ، وَلَنْ يَرُدَّعَهُ عَنِ قَوْلِ الْحَقِّ، قَتْلًا وَلَا تَعْذِيبًا.⁽²⁾

المَعْلَمُ الْخَامِسُ: سَلَامَةُ الصَّدْرِ:

إِنَّ مُؤْمِنَ آلِ يَسَ مَنَحَهُ اللَّهُ ﷻ مَزِيَّةً عَظِيمَةً، لَا يَسْتَطِيعُهَا كَثِيرٌ مِنَ الدَّعَاةِ الْيَوْمِ، أَلَا وَهِيَ فَضِيلَةُ سَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغَلِّ، وَالْحَقْدِ، وَالضَّغِينَةِ، وَالْبَغْضَاءِ، فَنَرَاهُ رَغْمَ مَا لَاقَى مِنْ قَوْمِهِ مِنْ تَعْذِيبٍ وَتَتَكِيلٍ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ قَتِيلًا، يَتَمَنَّى لَوْ يَعْلَمُ قَوْمَهُ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ فِي الْجَنَّةِ؛ لَيْسَلُكُوا طَرِيقَهُ، وَيَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ؛ وَلِأَنَّ الدَّاعِيَةَ الرَّاشِدَةَ تَتَوَجَّهُ نَفْسُهُ إِلَى الصَّلَاحِ الْمَحْضِ، وَلَا مَكَانَ لِحُظُوظِ الدُّنْيَا، وَسَفَاسِفِ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهِ، حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا⁽³⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس:26-27].

(1) انظر: مجلة البيان، العدد: 193، قطوف تربوية حول قصة أصحاب القرية: 28.

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (12: 24).

(3) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (22: 371)، أخلاق المؤمن: لعمر خالد: 129.

"إنَّ الدعوةَ الإسلاميَّةَ اليومَ في أمسِّ الحاجةِ إلى هذا الطرازِ من الدعاة، من أصحابِ هذه القلوبِ المتجرِّدة، الذين يُقدِّمُونَ حينما يُحجِّمُ الآخرونَ، ويصبرون ويثبتون، عندما يجزع الآخرونَ، ويحلُّمُونَ عندما يجهل الآخرونَ، ويغفرون ساعة يُخطئ في حقهم الآخرونَ، ولا يتأرون لأنفسهم وذواتهم عندما يُسئ إليهم الآخرون"⁽¹⁾.

(1) خواطر على طريق الدعوة: لمحمد حسَّان: 105-106.

المبحث الثالث

النماذج الراشدة للقيادة العلمية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: العبد الصالح (رضي الله عنه).
- المطلب الثاني: نبي الله موسى عليه السلام والرحلة في طلب العلم.

المبحث الثالث: النماذج الراشدة للقيادة العلمية

بين يدي المبحث:

اعتنى الإسلام بالعلم بعناية كبيرة، وجعل للعلم والعلماء مكانة عظيمة بارزة في المجتمع؛ فالعلماء هم أهل الريادة والقيادة، وأصحاب الكلمة المسموعة، والمشورة النافذة. أهمية وجود القيادة العلمية:

تكمُن أهمية وجود القيادة العلمية في النقاط الخمس التالية:

1. العلماء هم ورثة الأنبياء؛ لأنهم المؤهلون لتوجيه الأمة التوجيه الصحيح، الذي يأخذ بيدها نحو النصر والتمكين، فقد ورد في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (...وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)⁽¹⁾.

2. يكشف العلماء عن الخلل، ويُقَوِّمون الزلل، ويرشدون الناس إلى الحق والخير، وإلى أسباب الصلح مع خالقهم، على وفق المنهج الصحيح من الكتاب والسنة، وإعطاء المسائل والقضايا حجمها الحقيقي الذي تقتضيه الحكمة؛ لتتصلح أحوالهم، فيصوغون أهدافهم بما يحقق لهم النصر على عدوهم في الدنيا، ويدخلون جنة ربهم في الآخرة.

3. إنَّ غياب العلماء يُتيح الفرصة للجهلة والضعفاء ومدعي العلم، ليقولوا في أمور العامة، فيضلوا الناس بغير علم، ويُعَرِّضُوا المجتمع للهلاك⁽²⁾، دلَّ على ذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)⁽³⁾.

4. تنسيق جهود الأمة، لتحقيق معنى الانتساب للطائفة المنصورة المجاهدة، على منهج الله صلى الله عليه وسلم، القائم على اتباع الدليل الصحيح من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح رضي الله عنهم، ورفض كل ما يُنافي حقيقة الإيمان، ومبادئ الإسلام.

5. تقديم النصح الصادق لقادة الأمة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، بعيدًا عن الطعن والتجريح، النصح الذي يأخذ بيد القادة نحو إصلاح أنفسهم؛ ليحققوا الصلاح لأمتهم.

(1) سنن أبي داود: كتاب العلم: باب الحث على طلب العلم: (ح: 3641، ص: 403)، سنن الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في فضل الفقه في العبادة: (ح: 2628، ج: 5، ص: 48)، سنن ابن ماجه: المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: (ح: 223، ص: 81)، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع: للألباني: حديث رقم: 6297.

(2) انظر: أسباب تخلف المسلمين: لناصر بن سليمان العمر: 14-15.

(3) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب كيف يُقبضُ العلمُ: (ح: 100، ج: 1، ص: 32)، صحيح مسلم: كتاب العلم: باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان: (ح: 2673، ص: 1072).

المطلب الأول: العبد الصالح (رضي الله عنه):

اختلف العلماء في شخصية العبد الصالح، واسمه، ونبوته، وموته؛ وألخص هذا الاختلاف في النقاط الثلاث التالية:⁽¹⁾

1. إنَّه عبد صالح، آتاه الله العلم، والحكمة، والنبوة.
2. لا يدل طلب موسى ﷺ العلم من العبد الصالح (رضي الله عنه)، على كونه أعلم من موسى ﷺ، فموسى ﷺ أعلم من العبد الصالح (رضي الله عنه) يقيناً في العلوم الإيمانية والأصولية؛ لأنَّه من أولي العزم من الرسل.
3. الراجح موت العبد الصالح (رضي الله عنه)؛ لأنَّه لو كان حياً زمن النبي ﷺ لوجب عليه اتباعه، والاجتماع به، ونصرته.

معالم القيادة العلمية الراشدة عند العبد الصالح (رضي الله عنه):

ظهرت في قصة العبد الصالح (رضي الله عنه) معالم راشدة للقيادة العلمية رصدتها في العشرة التالية:

المُعَلِّمُ الأول: حوز العلوم الراشدة:

ينبغي على القيادة العلمية الراشدة أن تكون علومها راشدة؛ ليتسنى للناس الانتفاع بهذا العلم، في دنياهم، وآخرتهم، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ على لسان موسى ﷺ: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66].

المُعَلِّمُ الثاني: الثقة بالنفس:

تميَّز العبد الصالح (رضي الله عنه) بشخصية المعلم القوية الواثقة بنفسها وعلمها، حيث أجاب موسى ﷺ مباشرة دون تردد بأنَّه لن يستطيع الصبر في أخذ العلم عنه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67].

المُعَلِّمُ الثالث: الأدب في الحوار والاختلاف:

إنَّ من أهم الأخلاق التي يجب على القيادة العلمية الراشدة الاتصاف بها الالتزام بضوابط العلم الصحيح، وأخلاقه، وآداب الاختلاف والحوار، حيث تجلَّى هذا المُعَلِّمُ في قول العبد الصالح (رضي الله عنه): ﴿وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: 68]، حيث احترام رأي المتعلم، والتماس العذر له، في حال المعارضة، والمُخالفة، فلكلِّ من العالم، والمتعلم رأيه، واجتهاده، وقدراته العقلية التي منحه الله ﷻ إيَّاهَا.⁽²⁾

(1) انظر: البدء والتأريخ: لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي: (1: 148)، البداية والنهاية: لابن كثير: (1: 349)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 481، مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 290-292.

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (14: 8958).

المعلم الرابع: الفراسة:

امتلك العبد الصالح قوةً في الفراسة؛ لذلك نجده لما رأى في موسى عليه السلام النباهة والذكاء، وأنه قد يخالفه ويعترض عليه، اشترط اكتفاء موسى عليه السلام بالمراقبة لأعماله، دون الاستفسار عن مغزاها، والمراد منها، وأن ينتظر حتي يُبين له عن مغزاها، بعد أن أوضح له في البداية أنه لن يستطيع الصبر على علوم لا يعرف حقيقتها؛ ليكتمل أداء رسالة التعليم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَأْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: 70].

المعلم الخامس: الصبر على المتعلمين، وقبول العذر منه:

إنَّ خُلُقَ الصبر من أهم الأخلاق التي يجب على العالم أن يتحلَّى بها؛ لأنه يواجه أفعالاً مختلفة، وعقلاً متعددة، ومدارك متفاوتة، وقد ضرب الخضر عليه السلام مثلاً عظيماً في الصبر على المتعلم، حيث صبر على اعتراض موسى عليه السلام له، وأعطاه الفرصة ليستزيد من العلم مرتين، وقبل عذره فيهما، وفارقه في الثالثة:

الأولى: الصبر على اعتراض موسى عليه السلام على خرق السفينة، قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [الكهف: 71]، وقبل عذره بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف: 73].

الثانية: الصبر على إنكار موسى عليه السلام قتل الغلام، قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَضَلَّهُ، قَالَ أَفْتَلتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ [الكهف: 74]، وقبل اعتذار موسى عليه السلام، وأعطاه فرصة أخيرة للتعلُّم، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: 76].

لطيفة:

إنَّ العجيب في مواقف نبي الله موسى عليه السلام التي أنكرها على العبد الصالح، هو قد فعلها شخصياً من قبل، وبيان ذلك:

1. إنَّ الخوف على أهل السفينة من الغرق، يُشابهه أن أمه قد قذفت به في تابوت، وقذفته في اليم، وهو رضيع، فتولاه ربه بالحفظ ولم يغرق، قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَدْبِرِي فِي السَّبُوتِ فَأَقْذِفِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ، وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِيُضَمِّعَ عَلَيَّ عَيْفًا ﴾ [طه: 38-39].

2. وأما قتل الغلام، فقد وقع سيدنا موسى عليه السلام في القتل؛ حيث قتل رجلاً من الفراعنة كان يُقاتل رجلاً من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ

(1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 276.

يَقْتَنِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْنَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿[القصص:15].

بل هم أن يبیطش برجلٍ آخر بعد فترة وجيزة من قتل الأول، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَآمُنُ بِكَ يَا أَرْضَ مَدْيَنَ وَآمَنَ بِنَبِيِّكُمْ فَلَا يُبْدِي سَآئِرَ آيَاتِهِمْ فِيكُمْ فَذَكَرُوا إِلَىٰ مَوْسَىٰ شِعْرَةَ الْكَلْبِ قَالَ يَشَاءُ اللَّهُ لِيَأْكُلَنَّ أَهْلُهَا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلٌ يُرْجَعُونَ فِيهَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ نَزِلًا وَرُجُلًا وَهُمْ فِيهَا فَاعِلُونَ ﴿[القصص:19].

3. وأمّا عدم أخذ الأجرة على تعديل الجدار، فيُشابهه أن نبي الله موسى ﷺ سقى للمراتين أغنامهما، ولم يأخذ أجرة، فأكرمه الله ﷻ بالأمن، والإيواء، والزواج في بيت والدهما، قال تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿[القصص:24].

المعلم السادس: توجيه المتعلم وتذكيره بضوابط العلم، في كافة مراحل الموقف التعليمي: إنَّ العبد الصالح برع في التوجيه والتذكير منذ البداية مع موسى ﷺ، وأثناء الموقف التعليمي، وبعد الانتهاء من الموقف التعليمي، وبيان ذلك: أولاً: قبل الموقف التعليمي؛ وذلك من وجهين:

أ. العبد الصالح يُعلم موسى ﷺ أن العلم يحتاج إلى الصبر، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ مُحِطٌ بِهِ خَيْرًا ﴿[الكهف:67-68].

ب. العبد الصالح يشترط على موسى ﷺ عدم الاعتراض أو السؤال عن أي شيء حتى يقوم هو بإيضاحه وتفسيره، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿[الكهف:70].

ثانياً: أثناء الموقف التعليمي؛ وذلك من وجهين أيضاً:

أ. تذكير العبد الصالح موسى ﷺ بعجزه عن الصبر، بعد اعتراضه على خرق السفينة، ويترك له المجال للتراجع، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿[الكهف:72].

ب. العبد الصالح يذكر موسى ﷺ مرة أخرى بالصبر، ويؤكد عليه بعد اعتراضه على قتل الغلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿[الكهف:75].

ثالثاً: بعد الموقف التعليمي:

يُبين العبد الصالح لنبي الله موسى ﷺ في نهاية الموقف التعليمي، أنه لو صبر لتعلم أكثر؛ فالمواقف التي اعترض موسى ﷺ عليها كان من الممكن الصبر عليها حتى يظهر سرها، قال تعالى: ﴿...ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿[الكهف:82].

وهذا من قبيل توجيه اللوم لموسى ﷺ على استعجاله في فهم معاني الأعمال العجيبة، التي قام بفعلها العبد الصالح، وعدم صبره إلى أن يُبيّن له العبد الصالح الحكمة من وراء هذه الأعمال.⁽¹⁾

المَعْلَم السابع: الحزم:

إنّ العبد الصالح كان حازماً مع موسى ﷺ بعدما وقع منه الاعتراض الثالث؛ فمجرد قيام موسى ﷺ بالاعتراض على إقامة الجدار مجاًناً وهما جائعان، أعلّمه العبد الصالح بنهاية الصحبة، وإعلان الفراق، قال تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ... ﴾ [الكهف:78]، ولم يدع مجالاً للتحاور، أو إبداء الأسباب، تنفيذاً لما اشترطه موسى ﷺ على نفسه، من إنهاء الصحبة عند أول اعتراض قادم، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكُمْ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف:76].

المَعْلَم الثامن: التوضيح والبيان للمعاني غير المدركة للمتعلّم:

التزم العبد الصالح بتوضيح الحكمة من وراء الأعمال العجيبة التي قام بها، وأنكرها عليه موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿...سَأْنِيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:78]، وهذا الأمر من كمال هدي القيادة العلمية الراشدة، ومصداقيتها، فيطمئن الناس إلى كلامها، وعودها، وتتق الرعية بصحة ما تقوله، وتفني به.

المَعْلَم التاسع: الأدب مع الله ﷻ:

إنّ من أهم معالم القيادة العلمية الراشدة، التزام الأدب مع الله ﷻ؛ من حيث انتقاء ألفاظها، وعباراتها، عند فتواها، أو عند مخاطبة الناس، ومحادثتهم، يظهر هذا في أسلوب العبد الصالح عند بيانه للحكمة من الأفعال الثلاثة التي قام بها، وبيان ذلك:⁽²⁾

أ. نسب العبد الصالح خرق السفينة لنفسه؛ لأنّ ظاهره الشر المحض الذي لا خير فيه، قال تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْجِبَهَا... ﴾ [الكهف:79].

ب. أسند العبد الصالح الفعل عند بيانه الحكمة من قتل الغلام لضمير الجمع، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف:80-81]؛ لاشتمال قتل الغلام على أمرين؛ القتل، والإبدال بالأفضل؛ فالقتل للعبد الصالح، والإبدال لله ﷻ.

(1) انظر: التحرير والتنوير: لطاهر بن عاشور: (16: 11).

(2) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 289-290.

ج. نسب العبد الصالح مسألة بناء الجدار لله ﷻ؛ لأنها خير محض، لا عيب فيه، ولا نقص⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ...﴾ [الكهف:82].

المعلم العاشر: التواضع مع الاعتراف بالفضل لله تعالى:

إنَّ العبد الصالح بعد تأويل الأحداث الغريبة، لم يَقْنُه أَنْ ينسب الفضل في إدراك بواطن الأمور لأهله، وَأَنْ يَنْفِي الغرور عن نفسه بما أُوتِي من علم، بلْ ختم كلامه بقوله تعالى: ﴿... وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا...﴾ [الكهف:82]، فما حدث كان بأمر الله ﷻ الذي تفضَّل عليَّ بهذا العلم، فليس لي فيه يد، ولا عمل.⁽²⁾

المطلب الثاني: موسى ﷺ، والرحلة في طلب العلم:

هو نبي الله موسى ﷺ، من أنبياء بني إسرائيل، وهو أحد أولي العزم من الرسل الخمسة، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة.⁽³⁾ سبب الرحلة العلمية لموسى ﷺ:

لم يتطرق القرآن الكريم لبيان سبب رحلة موسى ﷺ في طلب العلم، والبحث عن العبد الصالح، ولكنَّ السنَّة النبوية أرشدت إلى ذلك، فقد روى أبي بن كعب ؓ عن النبي ﷺ: (أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ، فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ...)⁽⁴⁾.

يتضح من الحديث السابق أَنَّ الله ﷻ لَمْ عَتَبَ على سيدنا موسى ﷺ؛ في كونه لم يَرِدْ العلم في ذلك لله ﷻ، وأخبره أَنَّ هناك عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، تطلَّعت نفسه للاستزادة من العلم؛ ففَرَّرَ شَدَّ الرَّحَالِ إِلَيْهِ، ولو مضى مسافراً حُفْبًا، ويؤيد ذلك أَنَّ الله ﷻ لم يأمر نبيه محمد ﷺ أَنْ يسأله الاستزادة من شيء إِلَّا من العلم، قال تعالى: ﴿... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114].

معالم القيادة العلمية الراشدة عند نبي الله موسى ﷺ:

تميَّز نبي الله موسى ﷺ بأخلاق القيادة الراشدة في دعوته، وفي طلبه للعلم، مع كونه نبي، ينزل عليه الوحي، وأعلم الناس بأحكام التوراة، ومع ذلك كله ضرب أروع الأمثلة في أخلاق العالم في طلبه العلم، ألخصها في المعالم الستة التالية:

- (1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 290.
- (2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (14: 8962).
- (3) انظر: قصص القرآن: لابن كثير: جمع وترتيب: أحمد بن شعبان: 180.
- (4) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ما يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، ح: 122، (ج: 1، ص: 35).

المَعْلَمُ الأول: العزيمة القوية، وتبصير الأتباع بحقيقة الأشياء:

ابتدأ موسى ﷺ رحلته في طلب العلم، بالإعلان عن رغبته الشديدة في الخير، وطلب الزيادة في العلم، وإن طالبت به الشقة، ولحقت به المشقة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا آتِبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:60].
إنَّ موسى ﷺ بيَّن لفناه منذ البداية، أنَّ الرحلة ستكون شاقة وطويلة؛ ليستعد لها مادياً، ومعنوياً، ويظهر في هذا البيان، جمال أخلاق القيادة الراشدة، في تبصير الأتباع بالمخاطر المُحتمل مواجهتها، وبالصعوبات التي قد تعترض طريقها، منذ البداية؛ ليشتدوا همهم، ويُقوُّوا من عزيمتهم.

المَعْلَمُ الثاني: تحمل المسؤولية:

أشار القرآن الكريم إلى حادثة نسيان الحوت بضمير المثنى، الذي يجمع بين نبي الله موسى ﷺ، وفتاه في تحمل مسؤولية نسيان الحوت، مع أنَّ المؤكَّل بحفظ الحوت، ومراقبته، هو الفتى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:61]، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ صاحب العمل؛ وإنَّ وكَّله إلى غيره، ينبغي عليه المراقبة والمتابعة، وتحمل المسؤولية تجاه ما يلحق هذا العمل من نقص، أو عيب.⁽²⁾

المَعْلَمُ الثالث: التلطف في معاملة الخدم والأتباع، والصبر عليهم:

إنَّ نبي الله موسى ﷺ صاحب أدب رفيع في التعامل مع المرافقين له، فنجدته يتعامل مع فتاه يوشع بن نون لما نسي أن يُخبره بأمر الحوت، وانسلاله من المِكتل⁽³⁾، ودخوله الماء، بغاية الرقة والتلطف؛ فلم يُعَنِّفه، أو يُوبِّخه على ذلك، بل أجاب إجابة هادئة، أنَّ هذا الأمر هو غاية ما نريده؛ للقاء العبد الصالح، قال تعالى على لسانه ﷺ: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ...﴾ [الكهف:64]، فالعبد الصالح المطلوب لقاؤه موجود في المكان الذي فقدنا فيه الحوت.⁽⁴⁾

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 481.

(2) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (15: 366).

(3) المِكتل: بكسر الميم الزنبييل، وهو ما يعمل من الخوص، ويحمل فيه التمر، وغيره، والجمع: مَكَاتِلُ، والمِكتل أقرب ما ذكره الشيخ صالح الفوزان من أنَّ الصَّاع يُقدَّر بثلاثة كيلو جرامات تقريباً، وقريباً منه ما رجَّحه الدكتور وهبة الزحيلي بأنَّ الصَّاع بالأوزان المعاصرة يساوي (2751 جم) تقريباً، فيكون وزن المِكتل تقريباً: (45 كجم أو 41.3 كجم). انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: 776، الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي: للأزهري: 255-256، الفقه الإسلامي وأدلته: للدكتور وهبة الزحيلي: (1: 379)، إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان: للشيخ صالح الفوزان: 74.

(4) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (8: 551).

المَعْلَمُ الرَّابِعُ: التواضع في طلب العلم:

ضرب نبي الله موسى عليه السلام أروع الأمثلة في تواضع العالم للعلماء، وأولي الفضل، فَمَعُ كونه نبياً يُوحى إليه، إلا أننا نجدّه يطلب من العبد الصالح أن يُعلمه بتواضع جم، وأدب عال، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:66].

المَعْلَمُ الخَامِسُ: عدم الإثقال على العالم:

إنَّ نبي الله موسى عليه السلام لم يُردِ الإثقال على العبد الصالح، فطلب أن يعلمه من بعض علمه⁽¹⁾، أفاد هذا المعنى التعبير القرآني (بِمَنْ) التبعية في قوله تعالى: (مِمَّا عَلَّمْتَ).

المَعْلَمُ السَادِسُ: طلب العلم الراشد:

إنَّ القيادة العلمية دائماً تطلب العلم الراشد، الذي يعود عليها وعلى المجتمع بالرفع والخير في الدنيا والآخرة، ولهذا وصف موسى عليه السلام العلم الذي يريده بالرشاد، قال تعالى: ﴿...عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:66].

(1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 275.

المبحث الرابع

النماذج الراشدة للقيادة العسكرية (الحربية)

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: طالوت عليه السلام.
- المطلب الثاني: النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: طالوت ﷺ:

هو شاول بن قيس من سبط بنيامين، أبى اليهود أن يُدْعِنُوا لِحُكْمِهِ، إِلَّا بآية دالة تُبرهن على اصطفاء الله ﷻ له؛ لأنه كان من سبط ليس فيهم نبوة ولا مُلك، فكانت آيته أن يأتيهم التابوت تحمله الملائكة، فأذعنوا لحكمه، ثم اقتتل هو وجالوت، فهزم جيش العمالقة، واستنقذ الأسرى من أيديهم، وقتل داوود ﷺ جالوت. (1)

معالم القيادة العسكرية الرائدة عند طالوت ﷺ:

قصَّ علينا القرآن الكريم جانباً من حياة طالوت، ذلك القائد العسكري الذي خرج لقتال من أخرج بني إسرائيل من ديارهم، وأسر أبناءهم، خرج لقتال العمالقة بقيادة جالوت، ومن خلال هذه القصة يمكن استخلاص بعض المعالم الرائدة في قيادة طالوت جيشه، وتحقيق النصر بهم على عدوهم، وهي خمسة كالتالي:

المعلم الأول: العلم:

إنَّ أهمَّ أمرٍ استحقَّ طالوت به القيادة العسكرية لجيوش بني إسرائيل العلم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]، حيث علل نبي بني إسرائيل لقومه اختيار طالوت للقيادة، بما اصطفاه الله ﷻ به من العلم، والمعرفة، والعقل، والإحكام في التفكير المستقيم، في أمور الحروب، وقد تميَّز به عن أقرانه من بني إسرائيل. (2)

فائدة:

إنَّ اختيار قادة الأمة لا يعتمد ابتداءً على حَسَبٍ ولا نسب، ولا جاه ولا سلطان، كما يعتقد أهل المصالح والشهوات، ولكنَّ الاختيار الصحيح يقوم على ثلاثة أخلاق:

الأول: أن يكون الشخص من أهل التقوى والصلاح، قال تعالى: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ﴾ [الحجرات: 13].

الثاني: أن يكون من أهل القوة، والخبرة، والكفاءة، والثقة، قال تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: 55].

الثالث: أن يكون من أهل الأمانة؛ فقد علَّت ابنة شعيب ﷺ نُصِحَهَا لأبيها باستئجار سيدنا موسى ﷻ؛ لاتصافه بالأمانة مع القوة، فقال تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، كما انتدب عفریت من الجن نفسه لإحضار

(1) انظر: البدء والتاريخ: لأبي زيد بن سهل البلخي: (1: 155)، الأتس الجليل بتاريخ القدس والخليل: لمجير الدين الحنبلي: (1: 104).

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 566).

عرش بلقيس لما يتصف به من القوة والأمانة، فقال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا
مَأْيِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل:39].

المعالم الثاني: القوة البدنية (سلامة الجسم والحواس):

تميز طالوت بجانب صفة العلم، بصفة أخرى ضرورية للقائد العسكري، وهي البسطة
في الجسم، المعبر عنها بقوة البنية، وسلامة الأعضاء والحواس من العيب، وكمال الصحة،
والخلو من الأمراض، المستلزم صحة العقل والفكر؛ فإنها أدعى لظهور الوقار عليه⁽¹⁾، ووقوع
المهابة في قلوب الأعداء منه، مع القدرة على المدافعة، ومكابدة الحروب، قال تعالى: ﴿...
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسَدِ...﴾ [البقرة:247].

المعالم الثالث: الحوز على تأييد الله ﷻ وتوفيقه:

إن امتلاك القيادة القدرات والمواهب القيادية المتعددة أمر ضروري، ولكنه لا يُغني شيئاً
عن تأييد الله ﷻ وتوفيقه للقائد؛ لأنه الأساس في حصول النصر على العدو وعدمه؛ لأن الأمور
كلها بيد الله ﷻ، ولا تكون إلا بإرادته ومشينته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعِلْتُ ذَلِكَ
غَدًا﴾ [الكهف:23].

وقد أشارت الآيات إلى أن الله ﷻ أعطى طالوت برهاناً للدلالة على أحقيته بالملك
والقيادة، حيث كانت العلامة أن يأتيهم التابوت الذي فقدوه، ويتشوقون إلى العثور عليه
واسترداده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنْ
كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:248]، حيث كان بنو إسرائيل يستبشرون بوجود التابوت معهم، فقد كان من
شأنه حصول الغلبة لهم على عدوهم إذا قاتلوا به.⁽²⁾

فائدة:

تَحْصُلُ الغلبة لبني إسرائيل على عدوهم إذا اصطحبوا التابوت معهم، ولا يُفهم من ذلك
التقديس للتابوت ذاته؛ فهو مجرد صندوق لا يضرب ولا ينفع، وإنما العبرة فيه أنه يحوي بعض
آثار آل سيدنا موسى وهارون (عليهما السلام)، فإذا اصطحبوه معهم تذكروا رسالة موسى وهارون
(عليهما السلام)؛ فكان ذلك حافزاً لهم على القتال؛ لإعلاء كلمة الله ﷻ.

(1) انظر: تفسير البيضاوي: لناصر الدين الشيرازي: (1: 543)، تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (2:

379).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (3: 247).

المعلم الرابع: تدريب الجنود على قوة التحمل والصلابة:

إنَّ المعركة التي سيخوض غمارها بنو إسرائيل معركة صعبة، سيواجهون فيها عدوًّا شرسًا، صلدًا، مُتَحَفِّزًا للقائهم، جمع العَدَدِّ والعُدَد، وبنو إسرائيل قد يتعرضون لحصار عدوهم، فينفد زادهم، وينقطع شرابهم، فكان لزامًا على القائد العاقل أن يُدَرِّب جنوده على قوة التحمل؛ لمواجهة الأخطار المتوقعة، ويقف على أرض صلبة، وليَعْلَم قوة جيشه الحقيقية، فيكون على بينة من أمره، فيضع الخطط والحلول المناسبة للمواجهة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ...﴾ [البقرة: 249].

المعلم الخامس: الحزم والشجاعة:

ظهر على طالوت الحزم منذ البداية، حيث أعلن أن كل من يخالف الأمر، ويشرب من النهر؛ فلن يكون في جيشه، ومع أن الكثرة قد شربت، فقد أمضى قوله، وأنفذ عزمه، وانطلق بالقلعة التي بقيت معه، ليواجه أشرس المقاتلين وأجلدهم، وهذا يدل على الشجاعة التي ملأت قلبه، وظهرت في قوله وفعله، قال تعالى: ﴿...فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَفُوا إِلَى اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (2: 1054).

المطلب الثاني: النبي محمد ﷺ:

هو رسول الله ﷺ أبو القاسم "مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ" (1)؛ وهو القدر المتَّفَقُ فيه بين علماء السير والمغازي.

وقد كان النبي ﷺ من أشرف قبائل العرب، وأشرف العرب نسباً، ففي الحديث الصحيح عن وائلة بن الأسقع (2) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَالدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ). (3)

معالم القيادة العسكرية الراشدة عند النبي محمد ﷺ:

حاز النبي ﷺ السمات القيادية في جميع مجالات القيادة؛ الدعوية، والعلمية، والأمنية، والاقتصادية؛ فهو يُمَثِّلُ القدوة لكل قائد راشد في أمور الحياة كلها، وسنعرض في هذا المطلب بعض المعالم القيادية الراشدة في جانب العسكرية عند النبي ﷺ، وهي في النقاط السبع التالية:

المَعْلَمُ الأول: الخُلُقُ العظيم:

انصف النبي ﷺ بالأخلاق العالية الرفيعة الكريمة، ووقفه الله ﷻ إلى السلوك الصحيح القويم في كل أفعاله وأقواله، فقد شهد القرآن الكريم بكمال أخلاق النبي ﷺ، وكفى بها من شهادة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].

المَعْلَمُ الثاني: الحرص على راحة الجند:

انَّصَفَ النبي ﷺ في كلِّ أحواله وتعاملاته مع المسلمين، بالحرص على سلامتهم، ودرء المشقة عنهم، وتحقيق السكينة والطمأنينة والسعادة والعزة لهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ...﴾ [التوبة:128].

(1) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مبعث النبي ﷺ...، وذكر اسمه: (5: 45).

(2) هو وائلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل الكناني الليثي، كنيته أبو شداد وقيل: أبو الأسقع، وأبو قرصافة، وغير ذلك، صحابي جليل، وُلِدَ سنة (22 ق. هـ)، أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، فشهد تبوك، ويقال: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، شهد فتح دمشق، وحمص، وغيرهما، مات سنة خمس أو ست وثمانين للهجرة، فيكون بلغ من العمر (105) سنة تقريباً، وقيل توفي عن عمر يناهز (98) سنة، وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة الكرام. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر: 757، أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير: (4: 652)، الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: (6: 310)، الأعلام: للزركلي: (8: 107).

(3) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: (ح: 2276، ج: 4، ص: 1782).

وإن كانت مناسبة الآية الآنفة الذكر في معرض أخلاق النبي ﷺ الدعوية، فقد كانت معانيها حاضرة في سلوك النبي ﷺ العسكري؛ يظهر ذلك في الأمور الأربعة التالية:

أ. حرصه على إرسال فرق الاستطلاع التي تؤمن الطريق للجيش الإسلامي في غزواته كافة.

ب. الحزن الشديد على شهداء أحد، وتوعده التتكيل بالمشركين؛ وخاصة حين وجد عمه حمزة ؓ قد بُقِرَ بطنه، وأُخرج كبده، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهَوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:26].

ج. حزن النبي ﷺ على القادة الشهداء الثلاثة في معركة مؤتة؛ جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، ثم عبدالله بن رواحة ؓ.

د. استقباله ﷺ خالد بن الوليد ؓ بالبشر، والفرح، عند عودته من معركة مؤتة، ووصفه ﷺ لخالد، وجنده بالكُرَّار، مع أنهم انسحبوا من المعركة؛ لأنَّ الحفاظ على سلامة الجند وأرواحهم من أهم ما يهدف إليه القائد العسكري الراشد.

المعلم الثالث: الرفق ولين الجانب:

إن من أبرز أخلاق النبي ﷺ الرفق، ولين الجانب، مع المؤمنين، قال تعالى:

﴿...بِالمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:128]، وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوُكُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾ [آل عمران: 159]، ومع غير المسلمين، المسالمين منهم والمحاربين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

ومما يدل على ذلك المواقف الثلاثة التالية:

الأول: قبوله ﷺ الفداء من أسرى بدر؛ وقد ظهر أن ذلك كان خلاف الأولى.

الثاني: أمره ﷺ بمعاملة ثمامة⁽¹⁾ معاملة حسنة، وإكرامه⁽²⁾؛ وهو الذي دبّر مكيده لقتل النبي ﷺ⁽³⁾.

(1) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة الحنفي اليمامي، سيد أهل اليمامة، صحابي جليل، هم بقتل النبي ﷺ، واحتال لذلك، فأهدر النبي ﷺ دمه، ثم خرج معتمراً، فلما قارب المدينة المنورة أخذته رسل النبي ﷺ، وأتوه به، فربطه النبي ﷺ في المسجد ثلاثة أيام ثم عفا عنه، فأسلم، وخرج معتمراً إلى مكة، ثم رجع إلى بلده فضيق على قريش؛ فلم يدع حبة تأتئهم من اليمامة، حتى أدن له النبي ﷺ بذلك، ثم لما ادعى مسيلمة النبوة، فلم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة، وقام ثمامة فوعظ قومه، ونصحهم بالثبات على دين النبي ﷺ، ونهاهم عن اتباع مسيلمة، ثم لحق بجيش العلاء بن الحضرمي، وقاتل معه المرتدين، ومات مقتولاً ؓ، قتله بنو قيس، طائفتين أنه هو الذي قتل سيدهم؛ لما رأوا على ثمامة خميصة سيدهم. انظر: كتاب الطبقات الكبير: لابن سعد: (8: 11)، تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محبى الدين بن شرف النووي: (1: 193).

(2) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال: (ح: 4372، ج: 5، ص: 170).

(3) انظر: السنن الكبرى: للبيهقي: كتاب السير: باب ما يفعله بالرجال البالغين: (ح: 18490، ج: 9، ص: 66).

الثالث: عزله ﷺ لسعد بن عبادَةَ ﷺ عن إمارة كتيبة الأنصار في فتح مكة؛ لمقالة قالها سعد ﷺ: (اليوم يوم الملحمة، اليوم أذلَّ اللهُ قريشاً)، وأعطى الراية لابنه قيس بن سعد بن عبادَةَ (رضي

الله عنهما) وقال: (اليوم يوم الرحمة، اليوم أعزَّ اللهُ قريشاً).⁽¹⁾

المعلم الرابع: القدرة على التنظيم، والتخطيط، وتوزيع المهام:

إنَّ من أهم السمات التي يجب أن يحوزها القائد العسكري الراشد القدرة على التخطيط، والتنظيم، ووسيلة ذلك النزول إلى الميدان؛ ليضع الخطة المناسبة، ويُنظِّم مواقع الجند، ويُوَرِّع المهام على الجنود، بناءً على سُلْم الأوليات لديه؛ ليتجنب المفاجآت، وليتعامل مع الأزمات بصورة صحيحة مناسبة، فيُحقِّق الانتصار، وقد كان النبي ﷺ مثلاً لهذا القائد، قال تعالى:

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 121].

المعلم الخامس: الشورى:

إنَّ النبي ﷺ مع كونه يُوحى إليه إلاَّ أنَّه كان يداوم على مشورة صحابته الكرام ﷺ، ويأخذ بمشورتهم ولو تقدموا بها حسبةً، استجابة لأمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران: 159].

وقد طبَّق النبي ﷺ مبدأ الشورى واقعاً في حياته؛ ليعوِّد الصحابة الكرام ﷺ على التفكير في أمور الأمة العامة، ومحاولة وضع الحلول المناسبة للمشكلات التي تواجههم، وليقوي ثقتهم بأنفسهم من خلال إفساح المجال لهم لإبداء آرائهم⁽²⁾، وأمثلة ذلك كثيرة؛ منها هذه الثلاثة:

الأول: مشاورته ﷺ لصحابته الكرام ﷺ من المهاجرين والأنصار في شأن خوض المواجهة العسكرية مع المشركين في معركة بدر.

الثاني: أخذ النبي ﷺ بمشورة الحباب بن المنذر في الموضع الذي يُعَسِّر فيه المسلمون يوم بدر⁽³⁾.

الثالث: النبي ﷺ يستشير الصحابة الكرام ﷺ في كيفية التصدي للمشركين في غزوة أحد؛ هل يخرجون لملاقاتهم، أم يتحصنون بالمدينة، ويُقاتلون من فوق البيوت، والأزقة؟⁽⁴⁾.

(1) انظر: كتاب المغازي: للواقدي: (2: 821-822)، سيرة الرسول ﷺ: لمحمود المصري: 549.

(2) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: لعلي محمد الصلَّابي: (2: 120).

(3) انظر: كتاب المغازي: للواقدي: (1: 53).

(4) انظر: المستدرک على الصحيحين: للحاكم: كتاب قسم الفيء: (ح: 2588، ج: 2، ص: 129)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجَاه.

المعلم السادس: الحزم:

ذكرتُ في النقطة السابقة حرص النبي ﷺ على ترسيخ مبدأ الشورى في حياته، وحياء الصحابة الكرام ﷺ، ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ حازماً، لا يترك الأمور دون الإعلان عن الموقف فيها، التزاماً بقول الله ﷻ: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾ [آل عمران: 159].

وقد برزت سمة الحزم عند النبي ﷺ في مواقف عديدة تحتاج إلى الحزم، لكنّه الحزم المرتبط بالحكمة؛ وأذكر هنا مثالين؛ لتوضح الصورة، ويتأكد المعنى، دون التوسع والإطالة:

الأول: استقرت المشورة في غزوة أحد على الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة المنورة، لكنّ الذين أشاروا بذلك شعروا أنّهم قد استكروها رسول الله ﷺ على الخروج، فندموا على ما كان منهم، وقالوا للنبي ﷺ: (يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل)، فكانت إجابة النبي ﷺ حازمة قاطعة (مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ⁽¹⁾ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ).⁽²⁾

الثاني: الحزم في عدم الاستعانة بالمشركين في معارك المسلمين ضد الكافرين، فقد كان موقفه ﷺ ممن عرض عليه المشاركة في الحرب مع البقاء على كفره الرفض القاطع: (ارْجِعْ، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ)⁽³⁾.

المعلم السابع: الاستفادة من الخبرات العسكرية للأمم الأخرى:

إنّ القائد العسكري الراشد يستفيد من الخبرات العسكرية حتى من أعدائه، فهدفه تحقيق النصر لحفظ الإسلام والمسلمين، وحياء النبي ﷺ خير شاهد على حرصه على الاستفادة من أيّ خبرات عسكرية، تحفظ دماء المسلمين، وتُحقق لهم النصر على عدوهم، وتُعطي رأيهم، ومما يدل على ذلك؛ الأخذ بنصيحة سلمان الفارسي ﷺ في غزوة الأحزاب، والاستفادة من خبرات الفرس القتالية، وحفر خندق حول المدينة؛ ليحفظها من جيوش قريش وحلفائها، ويحقق النصر عليهم، حيث كانت فكرة حفر الخندق فكرة غريبة عند العرب لم يعرفوها من قبل، وإنّما عرفها الفُرس في حروبهم.⁽⁴⁾

(1) اللأمة مهموزة: الدرع، وقيل: السلاح، ولأمة الحرب: أداته. النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير: (4: 220).

(2) سبق تخريجه ص: 177، هامش: (4)، انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ: لمحمد بن عبد الوهاب: 160.

(3) صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان: كتاب السير: باب الخروج وكيفية الجهاد: (ح: 4726، ج: 11، ص: 28)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: لعبد الرحمن السهيلي: (2: 300).

(4) انظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين: لمحمد الطيب النجار: 265.

المبحث الخامس

النماذج الراشدة للقيادة الأمنية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: يعقوب عليه السلام.
- المطلب الثاني: أصحاب الكهف (رضي الله عنهم).

المطلب الأول: يعقوب عليه السلام:

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) فهو نبي بن نبي بن نبي، ويُسمى إسرائيل الذي ينتسب بنو إسرائيل له، رزقه الله ﷻ باثني عشر رجلاً، وهم الأسباط⁽¹⁾؛ وهم يوسف وإخوته الذين كان فيهم آيات للسائلين.

معالم القيادة الأمنية الرائدة عند نبي الله يعقوب عليه السلام:

قصّ علينا القرآن الكريم جانباً من حياة يعقوب عليه السلام، حيث ظهر في هذا الجانب بعض المعالم الأمنية في شخصيته عليه السلام، وذلك في معرض بحثه عن ابنه يوسف عليه السلام، وكيفية التعامل مع فقد ابنه الثاني بنيامين، سجيناً عند المصريين، أرصد منها المعالم السبعة التالية:

المعلم الأول: الفراسة:

إنّ نبي الله يعقوب عليه السلام تميّز بالفراسة، وقوة الملاحظة، حيث استطاع عليه السلام أن يتفكر الكذب في وجوه أبنائه وكلامهم، ويكشف زيف بكائهم، واضطراب دليلهم، في قصة ما أكل يوسف عليه السلام من قبل الذئب، فقد عبّ عليه السلام على ما بدرَ منهم من البكاء الخادع، والدم الكاذب على القميص، بأنّه لا يوافق الحقيقة؛ بل هو كذب واختلاق، قال تعالى: ﴿...قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمُ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف:18].

المعلم الثاني: الصبر:

إنّ خلق الصبر أمر يجب على القائد الأمني الراشد التخلُّق به؛ فالبحث والتقصّي، للوصول للحقيقة يحتاج إلى وقت طويل في مواقف كثيرة، وهذا ما ظهر على نبي الله يعقوب عليه السلام، وأفصح عنه بكلامه، قال تعالى: ﴿...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾ [يوسف:18، 83].

المعلم الثالث: الاستعانة بالله ﷻ:

إنّ موقف فقد يوسف عليه السلام الذي مرّ به يعقوب عليه السلام صعب جداً؛ فهو ما بين أمرين؛ القسوة، والرحمة والشفقة؛ القسوة على أبنائه لكذبهم، والرحمة بهم فهم أبنائه، فمواجهة هذا الأمر تفوق قدرات الإنسان وطاقاته، فكان اللجوء من يعقوب عليه السلام إلى الله ﷻ⁽²⁾، قال تعالى: ﴿...وَأَلِلَّهُ الْمُسْتَغَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18].

المعلم الرابع: الاستفادة من التجارب السابقة:

إنّ نبي الله يعقوب عليه السلام تميّز بالقوة في استحضار تجارب التاريخ، وعدم الغفلة عنها، وهذا ما يجب أن يكون عليه القائد الأمني، الذي يربط السابق باللاحق، والأسباب بالمسببات؛

(1) انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (1: 223)، الأنس الجليل: لمجير الدّين الحنبلي: (1: 65-66).

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (11: 6892-6893).

ليتمكن من إيجاد الحلول المناسبة للقضايا التي يتعامل معها، لذلك نجد أن نبي الله يعقوب عليه السلام لمّا وقع تحت إبحاح أبنائه لإرسال أخيهم بنيامين معهم؛ ليأخذوا ميراثهم من عزيز مصر، مع تعهدهم بحفظه، أجابهم بما كان منهم في السابق مع يوسف عليه السلام، فكانت النتيجة التي تعرفونها؛ فإنّ وعودكم لا يُوثق بها⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ...﴾ [يوسف: 64].

المعلم الخامس: التوكل على الله تعالى:

إنّ المتأمل في الآيات يجد أنّ نبي الله يعقوب عليه السلام بعد إنكاره على أبنائه عدم الوفاء بعهدهم الأول من حفظ يوسف عليه السلام، يُنبئ ذلك بما يدلُّ على كمال توكله على الله تعالى، قال تعالى: ﴿...فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64].

كما يظهر التوكل الصادق عند وصيته عليه السلام لأبنائه عند خروجهم لمصر، حيث أرفد الوصية بإعلان التوكل على الله تعالى، ولأنّ تدبيره لن يحقق شيئاً إلا بتوفيق الله تعالى، وحفظه، قال تعالى: ﴿...وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67].

ولكننا نجد أن نبي الله يعقوب عليه السلام مع كمال توكله على الله تعالى، قد أخذ بالأسباب؛ فالأخذ بها لا يتنافى مع التوكل على الله تعالى، فنجده يأخذ العهود والمواثيق على أبنائه لكي يُرسل معهم أخاهم بنيامين، قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: 66].

المعلم السادس: الأخذ بأسباب الحيطة والحذر:

يجد الناظر في وصية نبي الله يعقوب عليه السلام لأبنائه عند خروجهم لمصر، تلك الوصية العجيبة، وصية القائد الأمني الراشد، الدالة على حرصه على أبنائه، والتخطيط لهم بما يحفظ سلامتهم وأمنهم، حيث أوصاهم بعدم دخول مدينة العزيز من باب واحد، ودخولها من أبواب متعددة متفرقة؛ لحكمة أرادها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ...﴾ [يوسف: 67].

وقد ذكر العلماء حكمتين لهذه الوصية، من إخفاء كونهم جماعة واحدة؛ وهما: (2)

الأولى: صرف أنظار الحراس عنهم، حيث أشكالهم، وأزيائهم غريبة، فيقع التوجس في قلوب الحرس من عددهم، فيحبسونهم؛ خشية أن يكونوا سرّاقاً، أو جواسيس.

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (7: 389).

(2) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (13: 20).

الثانية: الخشية عليهم من العين؛ إن هم دخلوا من باب واحد، فيكون ذلك من باب الاحتراز؛ لأنَّ قَدَرَ اللهُ نَافِذًا، وَلَكِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

المَعْلَمُ السَّابِعُ: حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﷻ، وَعَدَمُ الاستِسْلَامِ لِلْيَأْسِ:

إِنَّ القَائِدَ الوَائِقَ بِاللَّهِ ﷻ يَظَلُّ قَلْبُهُ مَتَعَلِّقًا بِخَالِقِهِ، فَلَا يَبْأَسُ، وَلَا يَفْطَنُ، بَلْ يَبْقَى الْأَمَلُ يَمَلُّ قَلْبَهُ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِخَالِقِهِ مِنْهُجَةٌ وَدِيدَنَةٌ، يَنْطَلِقُ هَذَا الشَّعَاعُ النُّورَانِي مِنَ الشُّعُورِ بِرَحْمَةِ اللهِ ﷻ، وَلَطْفِهِ بِعِبَادِهِ⁽¹⁾، وَهَكَذَا كَانَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوبَ ﷺ، فِي وَسْطِ الحُزْنِ وَالْأَلَمِ؛ بِفَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْأَحْبَةِ، نَجَدَهُ دَائِمًا الصَّلَاةَ بِرَبِّهِ ﷻ، يَلْجَأُ إِلَيْهِ، يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ، وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ وَلَطْفَهُ، وَلَا يَفْقَدُ الْأَمَلَ بِرُجُوعِ أبنَائِهِ جَمِيعًا لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83].

المطلب الثاني: أصحاب الكهف:

هَمُ فِتْنَةٌ قَذَفَ اللهُ ﷻ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَقَادَتَهُمْ جَذْوَةُ الْإِيمَانِ إِلَى الْوَقُوفِ فِي وَجْهِ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ وَالْكَفْرِ، فَكَانَتِ المَوَاجَهَةُ قَوِيَّةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الشُّرْكِ، وَلَمَّا خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ الرُّجُوعَ إِلَى الكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، قَامُوا بِأَعْظَمِ تَضْحِيَةٍ؛ التَّضْحِيَةِ بِالمَالِ وَالجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالمُوطِنِ، فِي سَبِيلِ المَحَافِظَةِ عَلَى العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، فَفَرُّوا بِدِينِهِمْ، فَهَدَاهُمُ اللهُ ﷻ إِلَى اللُّجُوءِ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَضَرَبَ اللهُ ﷻ عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ ثَلَاثِمِائَةَ سَنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعَةَ أَعْوَامٍ، ثُمَّ بَعَثَهُمُ اللهُ ﷻ بَعْدَ هَذِهِ المَدَّةِ؛ لِيَكْمُلُوا المَهْمَةَ؛ مَهْمَةَ تَرْسِيخِ مَبْدَأِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ القَرْيَةِ المُؤْمِنِينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ حَقٌّ وَعَدَّ اللهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا...﴾ [الكهف: 21].

وَقَدْ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي زَمَنِ ظُهُورِهِمْ، فَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ عِيسَى ﷺ⁽²⁾، وَذَهَبَ الْآخَرُونَ إِلَى أَنَّهُمْ بَعْدَ بَعْثَةِ عِيسَى ﷺ، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ شَرِيعَتِهِ⁽³⁾.
إِنَّ النَّاطِرَ فِي أَقْوَالِ المَفْسِرِينَ فِي تَحْدِيدِ زَمَنِ ظُهُورِهِمْ يَجِدُ أَنَّهَا لَا تَسْتَدِنُّ إِلَى أُدْلَةٍ وَاضِحَةٍ قَوِيَّةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ قِصَّةَ الفِتْنَةِ لَمْ يَرِدْ فِي تَحْدِيدِ زَمَانِهِمْ، أَوْ أَسْمَائِهِمْ خَبْرٌ صَحِيحٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكُلُّ فَرِيقٍ يَسْتَدِنُّ إِلَى أُدْلَةٍ تَارِيخِيَّةٍ، أَوْ تَفْسِيرِيَّةٍ، وَالَّذِي يَعْنِينَا فِي نَهَايَةِ الأَمْرِ أَخْذُ العِبْرَةِ وَالعِظَّةِ، بِعِضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّفَاصِيلِ؛ وَهَذَا هُوَ مِنْهُجَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي تَنَاقُلِ القِصَصِ وَالأَخْبَارِ.

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2025).

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (5: 140).

(3) راجع: الكامل في التاريخ: لابن الأثير: (1: 274).

معالم القيادة الأمنية الراشدة عند فتية الكهف:

إنَّ المتأمل في قصة أصحاب الكهف يخرج بمعالم قيادية راشدة في الجانب الأمني، والتي يمكن حصرها في المعالم التسعة التالية:

المَعْلَم الأول: اللجوء إلى مكان آمن (الكهف):

إنَّ الفتية المؤمنين لما أُلجأهم الحاكم الكافر الظالم إلى ترك بلدهم وأهلهم، فعلوا ذلك هروباً بدينهم وإيمانهم، ولم يترددوا لحظة واحدة في تقديم الدِّين على كل شيء، ومع قوة إيمانهم وثقتهم بربهم ﷻ؛ إلا أنَّهم تحصَّنوا بالكهف؛ ليحفظهم الله ﷻ من بطش الملك الظالم الكافر، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْىٰ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ...﴾ [الكهف:10].

إنَّ ما فعله الفتية المؤمنون من اللجوء إلى الكهف لا يخدم قوة إيمانهم، ولا يطعن في صدق توكلهم على ربهم، ولا يعيب عليهم ضعف ثقتهم بخالقهم، بل إنَّه من جملة الأسباب التي يجب أن يلجأ إليها المسلم في المواقف الصعبة؛ ليحفظ نفسه، ويحيا ليستمر في حفظ دينه، وخدمة وطنه.

فائدة:

إنَّ لجوء الفتية المؤمنين إلى الكهف يُؤكِّد على قضية هامة؛ وهي أنَّ ما يفعله المجاهدون اليوم، من اللجوء إلى الأنفاق طلباً للحماية، والحفظ من عدوهم، لا يطعن في إيمانهم، وصدق انتمائهم لدعوتهم، ولا يقلل من شأنهم، ولا يُنقص من شجاعتهم، فإنَّ هناك من سبقهم لهذا الأمر، وقد خلد القرآن الكريم ذكرهم، وأعلى من شأنهم، ومدح قوة إيمانهم، وبشهد بصحة ذلك ما فعله النبي ﷺ في غزوة الخندق من التَّدرع بالخندق؛ لردع العدو من دخول المدينة المنورة.

المَعْلَم الثاني: الإيمان بالله ﷻ:

إنَّ الإيمان بالله ﷻ هو القوة الحقيقية التي يمنحها الله ﷻ لعباده في أداء مهامهم، فهؤلاء الفتية المؤمنون، قد منحهم الله ﷻ إيماناً حقيقياً، تجاوز معاني الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، إلى بصيرة نافذة، وطاقة حقيقية محرَّكة نحو العمل للدِّين، والتضحية من أجله بالوطن والأهل، قال تعالى: ﴿لَمَّا نَقَضُ عَلَيْهِمْ نَبَاهُهم بِالْحَقِّ إِنَّمهم فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهمْ وَزِدْنهمْ هُدًى﴾ [الكهف:13].

المَعْلَم الثالث: قوة القلب:

منح الله ﷻ فتية الكهف قوة في القلب، وثباتاً على الحق، وصبراً على فراق الأهل، فأصبحت إرادتهم قوية، وعزيمتهم ماضية، لا تُزعجهم الشدائد، ولا تضعفهم الكروب، مصممين على تحقيق مرادهم، قال تعالى: ﴿وَرَبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبهمْ...﴾ [الكهف:14].

المَعْلَمُ الرَّابِعُ: الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ ﷻ:

إِنَّ الْفِتْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا لَجَأُوا إِلَى الْكَهْفِ الضَّيِّقِ، مُخَلَّفِينَ جَاهَهُمْ وَسُلْطَانَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَهْلَهُمْ، فَارَّينَ بَدِينَهُمْ، عَلِمُوا بِأَنَّ لَهُمْ رَبًّا سَيَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ، لِذَلِكَ لَجَأُوا إِلَيْهِ ﷻ، وَتَضَرَعُوا إِلَيْهِ، بِأَنَّ يَرْحَمَ مَا هُمْ بِهِ مِنْ انْقِطَاعِ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ، وَأَنْ يُبَسِّرَ لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى الْخَيْرِ وَالْحَقِّ وَالسَّادِدِ(1)؛ فَكَانَتْ الْجَائِزَةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِأَنَّ هَيئَةَ لَهُمْ مَنَافِعَ الْحَيَاةِ فِي الْكَهْفِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَسْتَدْرِكُ إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف:16]، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10].

المَعْلَمُ الْخَامِسُ: الثَّبَاتُ فِي قَوْلِ الْحَقِّ، وَالِدَعْوَةُ إِلَيْهِ:

إِنَّ الْفِتْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ تَعَاهَدُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، عَلَى الْعِزْمِ وَالْإِنْطِلَاقِ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَمُنَابَذَةِ النَّاسِ، وَالصَّدْعِ بِالْحَقِّ، وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، بِنِيَّةِ صَادِقَةٍ، وَعِزْمَةِ مَاضِيَةٍ، وَإِرَادَةِ قَوِيَةٍ، وَتَحْدِيدِ أَكِيدٍ لِلْمَلِكِ الظَّالِمِ وَأَعْوَانِهِ(2)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ أَلْسَنَاتِنَا وَأَلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف:14].

المَعْلَمُ السَّادِسُ: الشَّخْصِيَّةُ الْقَوِيَّةُ، وَالْمَنْطِقُ الرَّزِينُ:

تَمَيَّزَ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَعَ صِبْغِ سَنِّهِمْ، وَقِلَّةِ خَبْرَتِهِمْ، بِشَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَمَنْطِقِ سَلِيمٍ، فِي الْمَحَاوِرَةِ وَالْمُنَازَرَةِ، أَفْصَحَ عَنْهُمَا مَطَالِبَتَهُمْ قَوْمَهُمْ بِالْحِجَةِ وَالْبِرْهَانِ عَلَى صِدْقِ عِبَادَتِهِمْ لِلْأَوْثَانِ وَالْحِجَارَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف:15].

إِنَّ هَذِهِ شَخْصِيَّةُ صَاحِبِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ، الْقَائِمِ عَلَى الدَّلِيلِ الصَّحِيحِ، وَالْبِرْهَانِ الْوَاضِحِ، وَالْحِجَةِ السَّدِيدَةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ دَلِيلٌ قَوِيٌّ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ، وَيَبْرَهَانُ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ، وَإِلَّا رَفَضَهُ النَّاسُ وَكَذَّبُوهُ، وَقَدْ ظَهَرَ الْفِتْيَةُ بِمَوْقِفِ صَرِيحِ حَاسِمٍ، لَا تَرَدُّدَ فِيهِ وَلَا تَلَعُّثٍ، فِي إِنْكَارِ مَا عَلَيْهِ قَوْمُهُمْ مِنَ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ(3).

المَعْلَمُ السَّابِعُ: الْإِهْتِمَامُ بِالْقَضَايَا الْجَوْهَرِيَّةِ (تَرْتِيبُ الْأَوْلِيَايَاتِ):

إِنَّ الْفِتْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ اسْتِيقَازِهِمْ مِنَ النَّوْمِ تَسَاءَلُوا عَنِ الْمُدَّةِ الَّتِي قَضَوْهَا وَهَمَّ نِيَامًا، فَاخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي تَعْيِينِ هَذِهِ الْمُدَّةِ، لَكِنَّهُمْ سَرَعَانِ مَا أَنْهَوْا هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الَّتِي لَا تَفِيدُ كَثِيرًا،

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (14: 8848).

(2) انظر: روح المعاني: للألوسي: (11: 170).

(3) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (4: 2262).

وتركوا الجدل الدائر بينهم، وأكلوا علم ذلك إلى الله ﷻ، وانطلقوا إلى القضية الأهم، إلى الأمر المثمر النافع، وهو البحث عن الطعام الذي يحفظ لهم حياتهم، وكيفية الحصول عليه، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ...﴾ [الكهف:19].

المعلم الثامن: اختيار الكفء لتنفيذ المهام:

إنَّ الفتية المؤمنین سيعثون أحدهم بعد استيقاظهم من نومهم الطويل، وهي مهمة خطيرة؛ سيقتمون فيها أسوار الملك الظالم الكافر، الحامي للباطل وأهله؛ وإحضار ما يحتاجونه من طعام وشراب، وحالهم يشير إلى أنهم سوف يختارون الأفضل لأداء هذه المهمة الدقيقة؛ حتى لا يفتضح أمرهم، ويتعرضوا لتكيل الملك وزبائنه، قال تعالى: ﴿...فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ...﴾ [الكهف:19].

إنَّ هذا المعلم يشير إلى أهمية حسن الاختيار للأفراد المؤهلين عند تنفيذ المهام الصعبة، دون مجاملة، أو محاباة، أو أي معايير أخرى غير موضوعية، فكم من ثغور ضيقت لسوء اختيار القائمين عليها.⁽¹⁾

المعلم التاسع: أخذ الحيطة والحذر عند التنفيذ:

إنَّ أداء المهمات الدقيقة يحتاج إلى قدر كبير من الحذر والاحتياط؛ لتلافي المفاجآت، والمواقف الحرجة؛ لذلك نرى أنَّ الفتية المؤمنین أمرُوا من وقع عليه الاختيار للقيام بمهمة الإتيان بالطعام بالتلطف، ودخول المدينة خلسة، وأنَّ يكون على قدر كبير من الحيطة والترقب؛ كي لا يقع في يد أتباع الملك الظالم، قال تعالى: ﴿...وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:19].

فائدة:

يجب على قيادة المقاومة في فلسطين أخذ الحيطة والحذر عند التعامل مع العدو الصهيوني، وعدم الغفلة عنه وعن أتباعهم من العملاء، وعدم الركون إلى أقواله الخداعة؛ لأنَّهم وإن دخلوا في تهدة عسكرية، فإنَّهم ينشطون في الجانب الاستخباراتي، والعمل على جمع أكبر قدر من المعلومات عن المقاومة الفلسطينية، وهذا من باب فقه الواقع، والإحاطة بطباع الناس، وأخلاقهم؛ ليحفظ على المجاهدين مقدراتهم، وأرواحهم، والاستمرار في أدائهم لمهامهم على أكمل وجه.

(1) انظر: حسن اختيار الوافدين: حمدي شعيب (محاضرة)، <http://www.almujtamaa-mag.com>.

فائدة:

إنَّ المتأمل في المعالم السابقة للقيادة الأمنية الراشدة ليجدها قد تحققت في جماعة المقاومة الفلسطينية الأسيرة للجندي الصهيوني شاليط⁽¹⁾؛ فكانوا مثالا للقيادة الأمنية الراشدة في زماننا الحاضر، حيث استطاعت رغم المؤامرات الداخلية، والاستخبارات الخارجية، من المحافظة على هذا الجندي الأسير وإنجاز صفقة وفاء الأحرار⁽²⁾، ويظهر ذلك من الوجوه التالية:

1. اختيار أصحاب الكفاءة العالية في جميع مراحل القضية؛ سواء في التخطيط للعملية وتنفيذها، أو في اختيار المفاوضين أصحاب المنطق الرزين لإنهاء صفقة وفاء الأحرار.

2. قوة القلب التي تمتع بها المنفذون؛ فإنَّ اقتحام مواقع العدو الحصينة يحتاج إلى قلوب مؤمنة قوية، لا تخشى عدة العدو ولا عتاده.

3. قد سلك المنفذون مسلكاً خفياً للوصول إلى مواقع العدو، وكأنَّ شعارهم قوله تعالى: ﴿...﴾

وَلَيْتَأْتَفُ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿الكهف:19﴾.

4. اللجوء إلى مكان آمن لا تستطيع مخابرات العدو الوصول إليه بنفسها، أو عن طريق عملائها.

5. الثبات على مطالبهم العادلة رغم ضخامة المؤامرة على المقاومة الفلسطينية وأتباعها.

6. ترتيب الأولويات في المطالب التي قررتها المقاومة الفلسطينية؛ حيث طالبت بالإفراج عن السجينات الفلسطينيات، ثم عن أصحاب الأحكام العالية، وهكذا.

(1) تمت عملية أسر الجندي الإسرائيلي بتاريخ: 2006/6/25م.

(2) أنجزت المرحلة الأولى من الصفقة بتاريخ: 2012/10/18م.

المبحث السادس

النماذج الراشدة للقيادة الاقتصادية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: يوسف الكبيسي.
- المطلب الثاني: شعيب الكبيسي.

فائدة:

يجب على القيادة الراشدة أن تُحافظ على نفسها ومبادئها، بأن تكون صادقة في أقوالها وأفعالها، من خلال الاحتياط لأقوالها ووعودها للرعية، وذلك بابتعادها عن القطع على نفسها بتحقيق الرخاء والرفاهية للرعية، دون تعليق ذلك بتوفيق الله ﷻ لها، ومساعدة المجتمع المحلي لها، وتفهمه لسلوكها؛ لأنَّ تخطيطها وتنظيمها للأمور منوط بتوفيق الله ﷻ لها، وبمدى توافر العوامل اللازمة لتحقيقها وحصولها، يستفاد ذلك من قول الساقى ليوسف ﷺ⁽¹⁾: (لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ).

المعلم الثاني: بذل العلم والنصح ابتداءً دون تأخر أو اشتراط:

إنَّ نبي الله يوسف ﷺ لم يكن يتعامل مع الناس بمبدأ المصلحة المتبادلة، ولاسيما إن كان الطالبون للعلم أو النصح يحتاجونه، وهذا من أعظم أبواب الكرم والتفضل، ظهر ذلك في الموقفين التاليين:

الأول: تأويله لرؤيا صاحبيه في السجن، ومن ثمَّ طلب من الذي توقع نجاته أن يذكره عند الملك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ...﴾ [يوسف: 42].
الثاني: تأويله لرؤيا الملك دون أن يشترط عليه إخراجه من السجن مقابل ذلك.

المعلم الثالث: الحرص على نقاء العرض والذكر:

إنَّ القائد الراشد لا يتصدر لإدارة أمور العامة إلا بعد تنقية مواقفه من افتراءات الناس عليه، واتهاماتهم له، وحتى يصبح كالزجاج النقي الصافي، الذي لا تشوبه شائبة، ولا تُحجب الرؤية من خلاله، لهذا نجد أنَّ يوسف ﷺ قبل خروجه من السجن اشترط إظهار البراءة التامة مما تُسبب إليه؛ لتكون الحقيقة أشدَّ وضوحًا ونصاعة، وحتى لا يظن الناس أن صفاء الصفحة ونقاء العرض، كان بتدخل من يوسف ﷺ⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50].

وقد أبرز هذا المعنى الإمام الزمخشري فقال: "إنما تأتَّى وتثبت في إجابة الملك، وقدَّم سؤال النسوة؛ ليُظهِر براءة ساحته عما قُدِّف به وسجن فيه؛ لئلا يتسلَّق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده، ويجعلوه سُلماً إلى حطِّ منزلته لديه، ولئلا يقولوا ما خَلَدَ في السجن سبع سنين إلاَّ لأمر عظيم، وجُرم كبير، حُقَّ به أن يُسجن ويُعَدَّب ويُستكفَّ شرُّه، وفيه دليل على أنَّ الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب انتقاء الوقوف في مواقفه"⁽³⁾.

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (11: 6975).

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (7: 374).

(3) الكشَّاف: للزمخشري: (2: 450).

المعلم الرابع: التخطيط لمواجهة الأزمة الاقتصادية:

إنَّ القيادة الرائدة تواجه كافة الأزمات التي تواجهها بالتخطيط الصحيح السليم؛ لتفادي مخاطرها، ومعالجة أضرارها، بمنهجية واضحة المعالم؛ من خلال بيان أسبابها، والوسائل اللازمة لمواجهتها، والأساليب الناجحة للسير فيها، وهكذا واجه يوسف عليه السلام الأزمة الاقتصادية المتوقعة التي سوف يعيشها أهل مصر، حيث حدد معالم الأزمة، ووضع الخطة لمواجهتها؛ ليقى المصريين ويلات القحط والمجاعة، قال تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حَصَرْتُمْ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف: 47-49].

إنَّ يوسف عليه السلام قد أوضح للملك وحاشيته ما يجب عليهم فعله؛ لتلافي خطر القحط القادم على البلاد والعباد، وبنى خطته على الأمور الستة التالية:⁽¹⁾
أولاً: العمل الدؤوب في زراعة القمح، وبلا انقطاع، في السنوات السبع الأولى.
ثانياً: ادّخار القمح في سنبله⁽²⁾؛ ليحفظه من التسوس، ومن الرطوبة التي تؤدي إلى التعفن، أو الإنبات.

ثالثاً: الحبوب لغذاء الناس، والتبن طعاماً للبهائم والدواب.

رابعاً: مراعاة القصد والاكتفاء في مآكل الناس، والرضا بالقليل (حُسن التدبير للموارد المتاحة).

خامساً: الإبقاء على جزء قليل يُدخّر للبذر.

سادساً: إعلان البشارة للناس بانتهاء أعوام القحط والجذب بعام خير وبركة؛ ليُصبرَّ الناس في أعوام القحط.

المعلم الخامس: القيام بالتنفيذ الأمين للخطة:

إنَّ نبي الله يوسف عليه السلام لم يكتفِ بوضع الخطة لمواجهة الأزمة الاقتصادية، لكنَّه طلب من الملك أن يُوكِّل له أمر تنفيذ الخطة؛ لأنَّه أدرك أنَّ الخروج من الأزمة يحتاج إلى إدارة حكيمة، ولأنَّه لن يُجيد التنفيذ الأمين السليم لأيِّ أمرٍ إلَّا من أدرك أبعاده، وحجم الخطر المتوقع منه، فكان لزاماً على نبي الله يوسف عليه السلام أن يتكفل بمتابعة التنفيذ السليم لبند الخطة، وهذا من تمام تقديم النصِّ والمشورة، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجْمَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴾ [يوسف: 55].

(1) انظر: تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (12: 264) بتصرف.

(2) ذكر الدكتور زغول النجار أنَّ الحبوب تكون مغطاة بأغلفة واقية؛ تحميها من الفطريات، والبكتيريا، والحشرات، والرطوبة، مع السماح للجنين الكامن في داخل البذرة من التهوية غير المباشرة والمستمرة؛ تحول دون ارتفاع نسبة الرطوبة؛ للحيلولة دون إنبات الجنين وقت التخزين، كما أنَّ البذرة الجافة وأغلفتها تحتوي على آثار طفيفة من مركبات كيميائية حافظة للبذرة. انظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: للدكتور زغول النجار: (1: 370).

فائدة:

يجب على كل من يجد في نفسه الكفاءة لأداء أمر معين، مع اليقين بأن غيره لن يُوفي الأمر حقّه، أن يتقدم ويطلب القيام به، ولا يُعدُّ ذلك من باب طلب الإمارة المنهي عنه.

المعّم السادس: العدالة في توزيع الطعام بين أفراد الرعية:

إنّ نبي الله يوسف عليه السلام لما جَهَّز إخوته بجهازهم، طلب منهم أن يُحضروا أخاهم؛ حتى يعطيهم كيل بغير إضافي فوق ما أخذوه؛ لأنّه لا يُعطي أحداً شيئاً دون ظهور البينة على وجوده، ويُعدُّ هذا التزاماً منه عليه السلام بالعدل في توزيع الميرة على الرعية⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أوفى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿59﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿60﴾﴾ [يوسف: 59-60].

المعّم السابع: المتابعة الميدانية الذاتية لسير التعاملات التجارية:

إنّ نبي الله يوسف عليه السلام لم يكن يتكف بأن يكون هو المسؤول الأول عن تنفيذ الخطة الاقتصادية، بل نزل إلى الرعية؛ ليتعرف على حاجاتها، ويتلمس مطالبها، ويضمن وصول الطعام إلى محتاجيه، يدلُّ على هذا إشرافه على عملية البيع مع إخوته، وأنهم دخلوا عليه دون أن يحجبهم حاجب، أو يمنعهم مانع، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: 58].

فائدة:

يجب على القائد الراشد النزول إلى الميدان، والتعرّف على أحوال رعيته، ولا يكتفي بالجلوس في مكتبه، يتتبع أخبار الرعية من خلال التقارير اليومية التي تصل إليه؛ لتشعر الرعية بقربه منهم، وتواضعه لهم، وحرصه على القيام بمصالحهم على أكمل وجه.

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (11: 7007).

المطلب الثاني: شعيب عليه السلام:

هو نبي الله شعيب عليه السلام، وكان يُطلق عليه خطيب الأنبياء؛ لحسن مراجعته قومه، وإقامة الحجة عليهم، وكان كثير الصلاة، وقد بعثه الله ﷻ إلى أمته (1) مدين، وأصحاب الأيكة، ودعاهم إلى الإيمان والتوحيد، لكنهم تَمَادَوْا في غيِّهم وكفرهم، ولمَّا أيس من استجابتهم، دعا الله ﷻ أن يُهلكهم، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: 89]، فأهلك الله ﷻ أهل مَدِين بِالرَّجْفَةِ (2)، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴾ [الأعراف: 91]، وأهلك أصحاب الأيكة بعذاب يوم الظُّلَّة (3)، قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: 189]، وقبره عليه السلام موجود في حطين، وهي قرية من قرى ساحل الشام. (4)

- (1) ذهب بعض المفسرين إلى أن نبي الله شعيب عليه السلام بُعث إلى أمة واحدة، عبَّر عنها القرآن الكريم مرَّةً بمدين، ونارةً بأصحاب الأيكة، ولكنَّ المتأمل لتعبير القرآن الكريم يجد أن هناك بينهما اختلاف، فقد كان التعبير القرآني مع مدين، يختلف عنه مع أصحاب الأيكة، فقد وصف سيدنا شعيبًا عليه السلام بأنه من أهل مدين، فقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفِقُونَ عَبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... ﴾ [الأعراف: 85]، بخلاف التعبير مع أصحاب الأيكة فقال، تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلِ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴾ [الشعراء: 176-177]، فلم يقل أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، ولما ذكر مدين قال: أخاهم شعيبًا؛ لأنه كان منهم، كما أن مدين أهلكوا بالرجفة، وأصحاب الأيكة بالحرق، ويؤيِّد ذلك ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن قتادة قال: (بعث الله ﷻ شعيبًا عليه السلام إلى أمتين؛ إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة...). المستدرک مع التلخيص: كتاب التاريخ: ذكر عذاب يوم الظُّلَّة: (ج: 4075، ص: 2، ص: 569).
- (2) الرجفة: الهزة العنيفة التي ترجُّ الإنسان رجًا غير اختياري، وتُطلق على الزلزلة، وقيل: الصيحة. انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (7: 251)، خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (7: 4249).
- (3) عذاب يوم الظُّلَّة: فقد بعث الله ﷻ على أصحاب الأيكة حرًا شديدًا، فخرجوا يطلبون الظلَّ، فأظلتهم سحابة، فتداعوا إليها، فأمرت عليهم نارًا فاحترقوا. انظر: إعراب القرآن وبيانه: لمحيي الدين درويش: (7: 128).
- (4) انظر: تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي: (1: 345-346)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (7: 248).

معالم القيادة الاقتصادية الراشدة عند نبي الله شعيب عليه السلام:

إن نبي الله شعيب عليه السلام بُعث إلى قوم تميّزوا بأخلاق سيئة في مجال الحياة الاقتصادية؛ من تطفيف الكيل والميزان، وقطع الطريق، وبخس الناس أشياءهم، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال إنقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ قد جاءكم بكنة من ربكم فآوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكلٍ صرطٍ توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً وأذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وأنظروا كيف كان عقبة المفسدين﴾ [الأعراف: 85-86].

إن هذه الأمور من أعظم ما يفسد على الناس حياتهم؛ لأن حياة الناس تعتمد اعتماداً أساسياً على التعاملات الاقتصادية، والتبادلات التجارية فيما بينهم، فقد كان فساد قوم شعيب عليه السلام عظيماً، ولذلك استحقوا به العقاب الشديد من الله تعالى؛ لاعتدائهم على أموال الناس، وأكلها بغير وجه حق.

وقد سلك نبي الله شعيب عليه السلام سبلاً متعددة في إرشاد قومه؛ ليعدّل سلوكهم المنحرف في جانب المعاملات الاقتصادية، حيث نهاهم عن الأخلاق السيئة، وأمرهم بالأخلاق القويمة المستقيمة، وأرصد هنا هذه النصائح الثلاث:

النصيحة الأولى: إيفاء الكيل والميزان:

إن الله تعالى يبعث الأنبياء ليعالجوا العقائد والأخلاق الفاسدة المنتشرة في المجتمع، حيث كانت أسوأ الأخلاق الشائعة في أهل مدين بعد الشرك بالله تعالى تطفيف الكيل والميزان، وهو خُلق يبدو أنه أمر سهل، وأنّ الفُبح فيه قليل، ولكنّه أمر خطير؛ لأنّه أكلٌ لأموال الناس بالباطل، ولأنّه خُلقٌ يدل على خداع الناس، والمكر بهم، مما يجعل الفساد في المجتمع عامّاً، فبعث الله تعالى النبي شعيباً عليه السلام؛ ليأمر قومه بالانتهاء عن هذا الخلق القبيح، وأن يوفوا الناس حقهم إذا كالوهم أو وزنوا لهم، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال إنقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ قد جاءكم بكنة من ربكم فآوفوا الكيل والميزان...﴾ [الأعراف: 85].

النصيحة الثانية: الوزن للناس بالميزان العدل:

إن لكل نوع من البضاعة ميزاناً خاصاً يوزن به، فميزان الذهب يختلف عن ميزان الفحم، إلى غير ذلك، فأمرهم أن يكون ميزانهم عدلاً، يزنون كل بضاعة بالميزان الذي يُناسبها، قال تعالى: ﴿وزنوا بالقيسطاس المستقيم﴾ [الشعراء: 182].

النصيحة الثالثة: عدم بخس الناس أشياءهم:

أَمَرَ نبي الله ﷺ قومه بالعدل عند الشراء، فإذا أرادوا أن يبتاعوا شيئاً من الناس، يجب عليهم أن يُقيموه بثمنه الحقيقي، دون التبخيس فيه، والتقليل من قيمته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء:183].

الخلاصة:

بعد استعراض النماذج الراشدة للقيادة بأنواعها المتعددة، والتأمل في أقوال المفسرين يمكن تسجيل النتائج التسع التالية:

1. إنَّ تطبيق مبدأ الشورى عند القائد الراشد يكون في جميع المواقف والأحوال؛ يسيرها وشديدها، ولا يكون في المواقف الصعبة التي يفقد فيها قدرته على التفكير، فالشورى عنده منهج متَّبَع، وليست ضرورة تنتهي بانتهاء الضرورة.⁽¹⁾
2. إنَّ مُحَرِّكَ الثورات، ومُهَبِّ ربحها، هم الشباب؛ فهم أصحاب القدرة على التفاعل معها، والاستمرار بها، والإصرار على بلوغ نتائجها، مهما كانت العقبات والمعوقات.⁽²⁾
3. إنَّ من أهم أبواب التربية، أن يعمق الفرد المسلم مفهوم المسؤولية الفردية لديه؛ لأنَّ الفرد المسلم منوط به التغيير الحضاري في المجتمع، وذلك بالتوافق مع كافة أفراد المجتمع.
4. إنَّ القائد الراشد مطالبٌ بترتيب الأولويات، والعناية بعنصر الوقت في تنفيذ المهمات، وتقديم الأهم على المهم.
5. إنَّ فقه الواقع، والتَّعَرُّف على الأبعاد العامة لحركة المجتمع، يُعطي القائد الراشد مساحة كبيرة في حسن التعامل مع متطلباته، ومع الظروف الطارئة التي تحل به، ومواجهتها بالأساليب المناسبة لتطور المجتمعات وتقدمها.
6. إنَّ حب الوطن والأهل لا يتنافى مع صدق الإيمان بالله ﷻ، فالمؤمنون الحق هم أصدق الناس حباً لوطنهم؛ لأنَّهم يريدون أن يحققوا له السعادة في الدنيا والآخرة.
7. إنَّ المؤمن الحق ينطلق مدافعاً عن دينه إذا تعرض للنيل منه، أو الحط من شأنه، أو إحقاق الأذى بقادته ودعاته، ولا يبقى في هذا الموقف مجال لكتمان الإيمان والإسرار به.
8. إنَّ رحمة الداعية وشفقته بالعصاة هي الشعار الذي يجب أن يتحرك به بين الناس.
9. القائد الراشد يوظف طاقات أفراد المجتمع، ويستفيد من قدراتهم.

(1) انظر: حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء: الحلقة الأولى: لمحمد بن شاکر الشریف، مجلة البيان: العدد: 217، ص: 4.

(2) هذا لا يعني الاستغناء عن حكمة الشيوخ.

الفصل الرابع

النماذج الفاسدة للقيادة في ضوء القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: النماذج الفاسدة للقيادة العامة.
- المبحث الثاني: النماذج الفاسدة للقيادة الدعوية.
- المبحث الثالث: النماذج الفاسدة للقيادة العلمية.
- المبحث الرابع: النماذج الفاسدة للقيادة العسكرية (الحربية).
- المبحث الخامس: النماذج الفاسدة للقيادة الأمنية.
- المبحث السادس: النماذج الفاسدة للقيادة الاقتصادية.

المبحث الأول

النماذج الفاسدة للقيادة العامة

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: النمروذ.
- المطلب الثاني: فرعون.

المطلب الأول: النمرود⁽¹⁾:

هو النمرود بن كنعان، وهو من ملوك الجرامقة⁽²⁾، ولقد كان على بدعة الصابئة⁽³⁾، وكان أول من عبد النار و سجد لها، وكان عاملاً على سواد العراق، ولمّا دعاه إبراهيم الخليل ﷺ إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له؛ حمله الجهل على إنكار الصانع، فحاجَّ إبراهيم الخليل ﷺ في ربه، وادعى لنفسه الربوبية، وهو من أمر بإشعال النار، وإلقاء إبراهيم الخليل ﷺ فيها، وقد دخلت بعوضة في منخري النمرود، فكان يُقاسي الألم والعذاب بسببها، وكان لا يهدأ الألم حتى يُضرب رأسه بالنعال، حتى هلك بها.⁽⁴⁾

معالم القيادة الفاسدة عند النمرود:

إنّ المتأمل للآيات التي ذكرت النمرود يخرج بمعالم قيادية فاسدة عند النمرود، وأجملها في المعالم الخمسة التالية:

المعلم الأول: المجادلة بالباطل:

إنّ من أبرز السمات لقيادة النمرود الفاسدة، المحاجة والمخاصمة بالباطل؛ ليثبت معتقده الفاسد، غاضاً الطرف عن الحقّ الواضح الظاهر؛ كبراً وغروراً وبطراً، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِمْ فِي رَبِّهِمْ... ﴾ [البقرة: 258].

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ المحاجة في أكثر من موضع للدلالة على المخاصمة بالباطل⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وجهيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ... ﴾ [آل عمران: 20].

(1) ذكر أهل اللغة أنّ نمرود يجوز فيه الوجهان؛ بالذال المهملة (نمرود) عند البصريين، وبالذال المعجمة (نمرود)، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: لمريضي الزبيدي: (9: 240).

(2) الجرامقة: قوم ينتهي نسبهم إلى باسل بن آشور بن سام بن نوح ﷺ، وهم أهل الموصل في الزمن القديم من ولد جرموق بن آشور بن سام، وقيل الجرامقة من ولد كاتر بن ارم بن سام. انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرزية: لتقي الدين أحمد بن علي المقرزي: (1: 405)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: للقلقشندي: (1: 10).

(3) الصابئة: الصابئة هم قوم يعبدون الكواكب، ويبنون لها الهياكل، واسمهم مأخوذ من إذا خرج من شيء إلى شيء، ومن دين إلى دين، وقد وصفوا الله ﷻ بصفات السلوب، وهم قوم نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ الذين ناظرهم في بطلان ما هم عليه من الشرك وعبادة الأوثان. انظر: الملل والنحل: للشهرستاني: (3: 2)، لوامع الأنوار البهية: للشيخ محمد السفاريني: (1: 77)، مقالة التعطيل والجعد بن درهم: لمحمد بن خليفة التميمي: (1: 143)، معارج القبول: لحافظ بن أحمد الحكمي: (2: 470).

(4) انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (1: 171)، تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (2: 452)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لابن خلدون المغربي: (2: 11)، تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب: (1: 73).

(5) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (1: 592).

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ

بِهِ عِلْمٌ... ﴾ [آل عمران: 66].

المَعْلَمُ الثاني: إنكار فضل الله ﷻ، ووضع الكفر مقام الشكر:

لقد بدأت الآيات التي تشير إلى موقف النمرود من دعوة التوحيد، بالإشارة إلى أن ما حازه من المُلْك كان من عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رِيهٍ أَنِ اتَّهَمَ اللهُ الْمُلُوكَ... ﴾ [البقرة: 258]، ومع ذلك نجده يُحَاجُّ في وجود الله ﷻ، ويُنكر فضل الله ﷻ عليه، ويدعي لنفسه الربوبية.

وقد جعل الله ﷻ في يد النمرود السلطان، والحكم، فكان الواجب عليه أن يشكر هذه النعمة، ويعترف بالفضل لمسديها إليه، لكنَّ المُلُوك والسُلطان يُطغیان من لا يُقدِّرون نعمة الله ﷻ، ولا يُدركون مصدر الإنعام، فيضعون الكفر موضع الشكر، فضلوا بالشيء الذي كان يجب عليهم أن يكونوا به مهتدين. (1)

المَعْلَمُ الثالث: ادعاء الربوبية:

إنَّ النمرود ادعى لنفسه بعض صفات الربوبية؛ من الإحياء، والإماتة، حيث رأى نفسه متسلطاً على رقاب رعيته، منفذاً فيها سلطانه؛ فحمله ذلك كله على المحاجة في ربوبية الله ﷻ، والزعم أنه يفعل مثل فعل الله ﷻ (2)، قال تعالى: ﴿... إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ... ﴾ [البقرة: 258].

المَعْلَمُ الرابع: ضعف الحجَّة:

إنَّ المتأمل في ختام الموقف الجدلي للنمرود يرى أنه فقد الحجَّة، وانقطع عن الدليل، واستسلم لقوة دليل نبي الله إبراهيم ﷺ، حيث انكشف عجزه، وبطلت حجته، قال تعالى: ﴿... قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ... ﴾ [البقرة: 258].

المَعْلَمُ الخامس: الحرمان من هداية الله ﷻ:

خُتِمَت المحاجة بين نبي الله إبراهيم ﷺ، وبين النمرود بتسطير حقيقة ملازمة للحُكَّام الظلمة، ألا وهي الحرمان من توفيق الله ﷻ؛ جزاءً بما كسبت أيديهم، وبما نطقت ألسنتهم، وبما اعتقدت قلوبهم، قال تعالى: ﴿... وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 258].

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (1: 297).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 111.

المطلب الثاني: فرعون:

كان فرعون أطغى الفراعنة⁽¹⁾، وأعظمهم قولاً وجرأة على الله ﷻ، حيث ادعى الربوبية من دون الله ﷻ، وكان قاسي القلب على بني إسرائيل، فسامهم سوء العذاب، حيث جعلهم خدماً، وخولاً⁽²⁾، وصنّفهم في أعماله؛ فقسّم بينون، وقسّم يحرثون، وقسّم يزرعون، وهكذا، ومن لم يستطع العمل منهم فعليه الجزية، وتزوج آسية بنت مزاحم، وهي من خيار نساء بني إسرائيل، ولما اقترب زمن موسى ﷺ، جاءه منجموه، وأخبروه أنّ مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه، يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك من أرضك، ويبدل دينك، فأمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان، وأمر باستحياء النساء، حتى إذا أوشك على إفناء بني إسرائيل، فأمر بقتل الغلمان عامّاً، واستحيائهم عامّاً، فولد هارون ﷺ في السنة التي يُستحيا فيها الغلمان، وولد موسى ﷺ في السنة التي فيها يقتلون، فلما خشيت أم موسى ﷺ عليه، أوحى الله ﷻ لها أن ترضعه، وإن خافت عليه أن تلقيه في النيل، فوضعتة في تابوت، وألقته في النّيم، فعثرت جوارى آسية امرأة فرعون على التابوت، فلما فتحته ونظرت إليه، وقعت عليه رحمته وأحبته، ولم تزل تكلم فرعون حتى تركه لها، فكان هلاكه على يدي موسى ﷺ.⁽³⁾

معالم القيادة الفاسدة عند فرعون:

تميّزت قيادة فرعون لأهل مصر بمعالم قيادية فاسدة، رصدتها في الثمانية التالية:

المعلم الأول: العناد وجحود الحق مع العلم واليقين به:

كان فرعون مستيقناً بصحة ما جاء به موسى ﷺ، من الدعوة إلى التوحيد، وصرف العبادة لله ﷻ وحده لا شريك له، إلاّ أنّه بقي مُصِرّاً على كفره، معانداً للحق الذي اعتقده بقلبه، قال تعالى: ﴿وَمَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ...﴾ [النمل: 14].

(1) وفرعون في التاريخ المصري رجل عاتٍ كانت الأمة المصرية تدين بعبادته، وتدعن لقداسته، وكان الملوك الفراعنة في قديم الزمان يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس، ويضعون مكانتهم في إطار من الإلهية، لا جهلاً منهم بأنهم أناس لا يختلفون عن غيرهم، ولكنهم يفعلون ذلك تمويهاً على العامة حتى يأمنوا غائلة الثورات الهوج من الذين يطمعون في تبوؤ عرش الملك. انظر: قصص الأنبياء: لعبد الوهاب النجار: 182.

(2) الخَوْل: الأتباع، وواحد الخَوْل خائل، قال الفراء: يقال فلان يَخُولُ على عياله، أي يرضى عليهم، وقال: الخَوْل الرُعاة، وقال غيره: خَوْلُ الرجل الذين يملك أمرهم وقال هو من قولهم خَوْلَكَ اللهُ مالَ فلان أي مَلَكَكَ إِيَّاه. الزاهر في معاني كلمات الناس: لأبي بكر محمد بن القاسم الأتباري: (2: 52).

(3) انظر: تاريخ الرسل والملوك: لمحمد بن جرير الطبري: (1: 386-390).

المَعْلَم الثاني: الاستعلاء في الأرض بغير الحق:

إنَّ فرعون استعلى على جميع رعيته بالباطل والظلم والعدوان، العامة والكبراء على حدٍ سواء، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص:4]، حتى إنَّه استعلى على الذي خلقه، فادعى الألوهية، وجدد الحقَّ البين؛ بسبب استعلائه بذاته ومنصبه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ [النمل:14]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:51]، لهذا أعطى لنفسه الفضل على موسى عليه السلام؛ وعلل ذلك بأنَّ موسى عليه السلام ضعيف مهين، لا يحسن الكلام، فقير لا مال له، دليل لا سلطان ولا قوة معه، قال تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:52].

المَعْلَم الثالث: الكبر:

تكبَّر فرعون في الأرض بغير الحق، لأنَّ فرعون لا يملك الأسباب الحقيقية للتكبر على الخلق؛ فالإنسان يتكبر عندما يكون سلطانه، وماله، وعظمته، تتبع من ذاته، ليس لأحدٍ عليه فيها فضل، فكيف وإن كان كل ما يتكبر به على الناس هبة من الله تعالى، ليس له يدٌ فيها، فيكون كبره ادعاءً، وسلطانه كذبة، لهذا جاء القرآن الكريم واصفًا حال فرعون في تكبره الزائف على الناس، أنَّه تكبَّر بغير حق، قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِتِنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص:39].

المَعْلَم الرابع: الإفساد في الأرض:

إنَّ من أبرز السمات التي تميَّزت بها قيادة فرعون الإفساد في الأرض، وكان لفساد هذه القيادة صور متعددة، نذكر منها الأربعة التالية:

الأولى: العمل على تفريق بناء المجتمع:

إنَّ من أعظم الإفساد في الأرض العمل على تفكيك البناء الاجتماعي للأمة، وقد برز فرعون في هذا الجانب برورًا كبيرًا، حيث عمل على تفريق اجتماع بني إسرائيل، وجعلهم شيعًا وأحزابًا متفرقةً، كل طائفة لها استقلالها، فيسلط بعضها على بعض، ويُسخر بعضها لبعض، فهذه الطائفة للبناء، وتلك للسحر، وثالثة لخدمته ومناصرته، وهكذا⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا...﴾ [القصص:4].

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 375).

فائدة:

إنَّ القيادة الفاسدة في كل زمان ومكان تسعى إلى جعل الأمة جماعاتٍ وقرناً متنازعة متناحرة، وإذكاء نار الاختلاف والصراع بينها؛ ليشغلها عن قضيتها وهدفها، فلا يتفرغوا للتفكير في مواجهته، والوقوف في وجه ظلمه، والمطالبة بحقوقهم المشروعة، ويبقى هو مسيطراً على الأمة، ناهباً لخيراتها، مستعبداً أهلها في حاجاته ورغباته.⁽¹⁾

إنَّ المتأمل في واقعنا الفلسطيني يرى ما يفعله العدو الصهيوني وأعدائه، من الحرص على تمزيق البناء الاجتماعي الفلسطيني، والعمل الدؤوب على زرع بذرة الخلاف والشقاق بين جماعاته المقاومة، واستغلال جماعات أخرى لمناصرته وتأييده، والسير معه في تنفيذ مخططاته؛ ليصبح له الحق في أرض فلسطين بوعده من الفلسطينيين أنفسهم.

الثانية: قتل المواليد الذكور من بني إسرائيل:

إنَّ من مظاهر الإفساد في الأرض الاعتداء على النفس الإنسانية بالقتل دون وجه حق، والأعظم فساداً الاعتداء على النفس البريئة، التي لم ترتكب ذنباً، ولم تقارف مخالفة، تقتضي إفناءها والقضاء عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدْرِكُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:4].

إنَّ قتل الذكور، واستبقاء النساء، من أعظم الفساد؛ لأنَّه يؤدي إلى فناء العنصر البشري، والقضاء عليه، ولأنَّه استعباد لجزء هام من المجتمع، وهو المرأة، لتكون مهمتها خدمة الحاكم الظالم والقيام على شؤونه، فاقدة رسالتها الطبيعية التي خلقت من أجلها، ألا وهي الإنجاب؛ لاستمرار العنصر البشري، والمحافظة على وجوده.

الثالثة: معاقبة الناس على مجرد التهمة دون البيّنة والدليل:

إنَّ سحرة فرعون لما أظهروا إيمانهم بدعوة موسى عليه السلام، هجم عليهم فرعون بالاتهام الباطل، القائم على الظن والتخمين، البعيد عن الحجة والدليل، بأنَّ ما فعلوه كان بتدبير منهم، فموسى عليه السلام هو زعيمهم الذي علمهم السحر، فأصدر فرعون حكمه على السحرة بالعقاب الشديد، دون المصير إلى الحجة والدليل؛ لأنَّه أعجزته الحجة، فصار إلى استخدام قوته وجبروته⁽²⁾، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:123].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10872).

(2) انظر: التحرير والتوير: للطاهر بن عاشور: (9: 54).

الرابعة: رفض الحقّ، وقَتْلُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ:

إِنَّ أَهْلَ الْفُسَادِ - أَيْنَمَا وُجِدُوا - يَرْفُضُونَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، بَلْ يَحْرِصُونَ عَلَى إِفْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَتَعْذِيبِهِمْ، وَالنَّيْلَ مِنْ عَزِيمَتِهِمْ؛ لِيَعُودُوا إِلَى حَظِيرَةِ الْفُسَادِ وَأَهْلِهِ، وَهَذَا مَا صَنَعَهُ فِرْعَوْنُ مَعَ السَّحْرَةِ؛ لَمَّا أَيْقَنُوا بِصَدَقِ مُوسَى ﷺ، وَأَعْلَنُوا الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ، فَهَدَّاهُمْ بِالتَّعْذِيبِ الْمُؤَدِّي لِلْمَوْتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:124].

المَعْلَمُ الخَامِسُ: اتِّخَاذُ بَطَانَةِ سَيِّئَةٍ:

اتَّخَذَ فِرْعَوْنُ بَطَانَةً فَاسِدَةً، جَعَلَهُمْ زُرَّاءَ وَمُسْتَشَارِيَهُ، يَغْرُونَهُ بِرَفْضِ الْحَقِّ، وَالْحَاقِ الْأَذَى بِمُوسَى ﷺ، وَبِمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ مُوسَى ﷺ فِي نَظَرِهِمْ قَدْ ارْتَكَبَ جَرِيمَتَيْنِ تَسْتَحِقَّانِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ؛ وَهُمَا:

الأولى: سَعَى مُوسَى ﷺ، وَاتِّبَاعَهُ بِالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.

الثانية: صَدُّ النَّاسِ عَنِ فِرْعَوْنِ، وَعَنِ اتِّبَاعِهِ، وَعَنِ عِبَادَةِ آلِهَتِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ...﴾ [الأعراف:127].

فَائِدَةٌ:

إِنَّ الْبَطَانَةَ الْفَاسِدَةَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لَكِي تُحَافِظَ عَلَى مَكَانَتِهَا، وَمَكَاسِبِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ؛ تُزَيِّنُ لِلْحَاكِمِ أَعْمَالَهُ الْفَاسِدَةَ، وَتُصَوِّرُهَا بِصُورَةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ الَّذِي لَا يَجِبُ مَخَالَفَتُهُ، وَأَنَّ الْمَخَالَفِينَ لَهُ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ إِفْسَادَ الْمَجْتَمَعِ، وَتَخْرِيْبَهُ، حَتَّى وَلَوْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الْإِصْلَاحِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ، وَعَدَمِ التَّنَازُلِ عَنْهُ، وَالْحِفَافِ عَلَى مَقَدَرَاتِ الْأُمَّةِ، وَخَيْرَاتِهَا.

المَعْلَمُ السَّادِسُ: الْإِسْتِخْفَافُ بِعُقُولِ الْأُمَّةِ:

إِنَّ الْإِسْتِخْفَافَ بِعُقُولِ الرِّعِيَّةِ سَمَةٌ بَارِزَةٌ لِلْقِيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ، فَهَذَا فِرْعَوْنُ يُخَاطِبُ رَعِيَّتَهُ مُسْتِخْفِئًا بِعُقُولِهَا، غَيْرَ أَبِيهِ بِمَدَارِكِهَا، مُسْفِهًا أَفْهَامَهَا؛ لِيُظْهِرَ بَطْلَانَ دَعْوَةِ مُوسَى ﷺ، وَأَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لِلآلِهَةِ الَّذِي يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَبِدَلِّ عَلَى ذَلِكَ الْمَوَاقِفِ الْآرِبَةِ التَّالِيَةِ:

أَوَّلًا: يَعْقِدُ فِرْعَوْنُ مَقَارَنَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ، يُظْهِرُ فِيهَا أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْإِتِّبَاعِ مِنْ مُوسَى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلَّةٌ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف:51-54].

ثَانِيًا: يَسْتِخْفِ فِرْعَوْنُ بِعُقُولِ قَوْمِهِ، فَيَسْعَى لِيَصْرِفَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ مُوسَى ﷺ، فَيَأْمُرُ بِبِنَاءِ صَرْحٍ عَظِيمٍ؛ لِيَرَى إِلَهَ مُوسَى ﷺ، وَيُلْهِئُ قَوْمَهُ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﷺ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَمْ كُنْ أُطْلِعُ إِلَهًا إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: 38].

يُبرز هذا المعنى الشيخ الشعراوي فيقول: "وكأنه يريد أن يُرضي قومه، فما هو يريد أن يبحث عن الإله الذي يدّعيه موسى ﷺ، وكأنه إن بنى صرحًا واعتلاه سيرى ربَّ موسى ﷺ، لكن هل بنى له همامان هذا الصرح؟ لم يبين له شيئًا، مما يدل على أن المسألة هزلٌ في هزل، وضحكٌ على القوم الذين استخفَّهم، ولعب بعقولهم" (1).

ثالثًا: فرعون يُخوّف قومه من موسى ﷺ، ويصفه بالساحر الذي يريد الاستيلاء على الحكم والأرض، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِنَا هِيَ تَعْبَانُ مُبِينٌ ﴾ ﴿ وَرَفَعَ يَدَهُ فَإِنَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴾ ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: 30-35]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 78]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: 57].

رابعًا: إظهار الشفقة على الناس من دعوة موسى ﷺ، القائمة على تغيير المعتقد الصحيح، وإظهار الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: 26].

المعلم السابع: إقناع الخصوم بالقوة والطغيان، وإلحاق الأذى بهم؛ لفقده الحجة والبرهان: تلجأ القيادة الفاسدة دائمًا إلى إقناع المخالفين لها في الرأي بقوة السلطة والسلاح، وليس بقوة الحجة والبرهان؛ وذلك لأنَّ القيادات الفاسدة لا تملك مبررات وجودها في رأس السلطة، ولأنَّ آراءها وأفكارها التي تدعو إليها في الغالب ينكرها صاحب كل عقل سليم، وهذا ما حدث مع موسى ﷺ في مناظرته لفرعون، حيث وجد السخرية والاستهزاء بدعوته بداية، وفي النهاية لما فقد فرعون كل حجة منطقية، توجه إليه يهدده بالسجن، قال تعالى: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ قَالَ لِيِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ [الشعراء: 25-29]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴾ [غافر: 25].

(1) خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (18: 10927).

فائدة:

إنّ نظرية إقناع الخصوم بالقوة هي النظرية السائدة لدى قادة الأنظمة في الدول العربية والإسلامية، إذ لا مجال عندها للمناقشة أو المحاورّة في أيّ قرار تتخذه؛ لأنّها تخشى من سقوط آرائها في أدنى مناظرة تكون؛ لأنّ آراءها وقراراتها تصبّ في الغالب في مصلحة أعداء الأمة.

المعّم الثامن: الاستبداد بالرأي:

تتميز القيادة الفاسدة لفرعون بالاستبداد بالرأي، وترك مبدأ الشورى، فهو صاحب الرأي السديد، والقول الرشيد، ويجب على الرعية السمع والطاعة دون مناقشة أو تغيير، قال تعالى:

﴿... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29].

فائدة:

إنّ أنظمة الحكم الفاسدة في زماننا الحاضر لثُمَّلُ الصورة الحقيقية للاستبداد بالرأي؛ حيث جعلت من أجهزتها الاستخباراتية سوطاً مسلطاً على رقاب الأمة، فكل من يفكر في إبداء الرأي، أو التوجه لهذه القيادة بالنقد، توجّهت إليه أيديها بالقمع والتنكيل، فلا مجال للحديث، أو التعبير عمّا يجول في خاطر؛ فالعواقب رهيبة ومرعبة؛ قتل وتشريد وتعذيب واغتصاب، وهذا ما رأيناه يحدث في اليمن وسوريا وليبيا، وكيف يتقن قادة الأنظمة في كيفية إنزال العذاب المهين بأبناء شعبهم.

المبحث الثاني

النماذج الفاسدة للقيادة الدعوية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: السامري.
- المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة.

المطلب الأول: السامري:

تعددت الأخبار في نسب السامري؛ فمنها ما نسبته إلى بني إسرائيل، ومنها ما نسبته إلى غيرهم من القبط، أو الهند، وغير ذلك⁽¹⁾، لكن الذي يعنينا هنا، أنه كفر وتمرد، ودعا بني إسرائيل إلى عبادة العجل.

المعالم الدعوية الفاسدة عند السامري:

خرج السامري على بني إسرائيل ببذعة عبادة العجل، وهي عبادة قريبة من قلوب بني إسرائيل، حيث طلبوا من موسى عليه السلام بعد أن نجاهم الله ﷻ من فرعون، وقد مروا على قوم يعبدون أصنامًا، ويعكفون عليها، أن يجعل لهم إلهًا يرونه بأعينهم ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:138].

فائدة:

تسرّب الشرك، وعبادة الأوثان إلى عقيدة بني إسرائيل من خلال طول عبوديتهم تحت أسيادهم الفراعنة؛ فقد كان للفراعنة آلهة⁽²⁾ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذِرْ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكَ وَيَإْتِيَنَّكَ...﴾ [الأعراف:127]؛ ولما كان المملوك حريصًا على إرضاء سيده؛ تحاشيًا لغضبه ونكاله؛ فإن بني إسرائيل كانوا يعبدون تلك الأصنام أسوة بأسيادهم، وحين تراخت الأجيال أُلّفت الأحماد آباءهم عليها، كما حصل لقوم نوح، وقوم إبراهيم، ثم للعرب في الجاهلية.

ويمكن رصد المعالم الدعوية الفاسدة عند السامري في الأربعة التالية:

المعلم الأول: توظيف علمه للصد عن سبيل الله ﷻ:

لقد تجمّع عند السامري علم بطبيعة جبريل عليه السلام، فاستغلّ هذا العلم ليصنع لبني إسرائيل عجلًا، ويُلقِي عليه قبضة من أثر جبريل عليه السلام، فيخرج لبني إسرائيل عجلًا جسديًا له خوار، وهذا ما علل به السامري موقفه لما سأله موسى عليه السلام عن سبب هذه الفعلة الشنيعة المنكرة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْئِرُ﴾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه:95-96].

(1) انظر: البدء والتاريخ: لأبي زيد البلخي: (1: 153)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (11: 233-234).
(2) ذكر المفسرون أنّ فرعون كان له آلهة عبدها من دون الله ﷻ، وأمّر قومه أن يعبدوها؛ تقريبًا إليه؛ فقيل: كانت الآلهة من الكواكب، وقيل: من الأصنام الحجرية. انظر: روح المعاني: للأوسى: (6: 314)، والظاهر من تاريخ الفراعنة أنّهم كانوا يعبدون الشمس، فقد كان شعار مصر القديمة قرص الشمس، وحورس إله الشمس.

المَعْلَم الثاني: العمل على تفريق صف بني إسرائيل:

إنَّ دعوة السامري بني إسرائيل إلى عبادة العجل، جعلت بني إسرائيل فريقين؛ فريق المؤمنين الذين اتبعوا نبي الله هارون عليه السلام، وفريق عبدة العجل الذين أطاعوا السامري، وتكفروا لنبي الله هارون عليه السلام؛ وقد دلَّ على حدوث الفرقة تعليل نبي الله هارون عليه السلام تركه عبدة العجل من بني إسرائيل على حالهم، وعدم قتالهم، أو مفارقتهم، هو خشيته عليهم من حصول التفرق والتشتت لهم، وجعله إيَّاهم فرقتين متنازعتين، قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:94].

المَعْلَم الثالث: الكذب، والتدليس على العامة:

استغلَّ السامري ميول الفاسدين من بني إسرائيل إلى عبادة إله يرونه، ويشعرون بوجوده، كما استغلَّ بلادة عقولهم، وغباءهم، فصنع لهم عجلاً له خوار، وافترى عليهم فرية عظيمة؛ حيث صورَّ لهم هذا العجل بصورة الإله الذي ينشدونه، فلماً رآوه وسمعوا صوته، لم يترددوا في القول بأنَّ هذا العجل هو إلههم، وإله نبي الله موسى عليه السلام أيضاً، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَتَيْبٍ﴾ [طه:88].

المَعْلَم الرابع: التحريض على القيادة الراشدة، والدعوة على الخروج عليها:

إنَّ السامري لما رأى إقبال بني إسرائيل على عبادة العجل، تبوأ فيهم مكان الزعامة والقيادة، فحرَّضهم على عدم الاستماع إلى نصح نبي الله هارون عليه السلام، بل وعلى النيل منه، وإلحاق الأذى به، والتحريض على قتله، أشار إلى هذا الواقع ما صرَّح به نبي الله هارون عليه السلام، في معرض الدفاع عن نفسه أمام أخيه موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿... قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:150].

إنَّ هذا المَعْلَم نراه في واقع أمتنا اليوم، حيث نرى الفاسدين في كل زمان ومكان يستغلون ميول العامة تجاه شهوة مُعيَّنة، أو شبهة مُضلَّلة، ليحرِّضوا النَّاسَ على قيادتهم الراشدة؛ بل ويدعونهم إلى الخروج عن طاعتها، وعدم الاستجابة لنظامها، وعدم التعامل مع قوانينها التي تضبط بها سير المجتمع، وتُنظِّم أحواله.

فائدة:

إنَّ اقتراب أهل الصلاح من تحقيق أهدافهم، وإقامة كيان الأمة على المنهج الصحيح، ونشر الخير والعدل في ربوع الشعب، لا يعني تسليم أهل الباطل والفساد بالأمر الواقع، فتجدهم يُحاولون بكل ما أوتوا من قوة احتواء النتيجة، بل والاستفادة في بعض الأحيان من تحركات أهل الصلاح، والعمل على إعادة الأمة إلى فترات الضعف والهوان.⁽¹⁾

(1) انظر: التصور السياسي للحركة الإسلامية: للشيخ رفاعي سرور: 50.

ثانياً: الجنون:

بلغ تفكير زعماء كفار مكة مبلغاً كبيراً من التناقض والاضطراب؛ حيث عُرف النبي ﷺ بينهم بالصدق، والأمانة، ورجاحة العقل، وسلامة الرأي، ولكنهم عندما جاءهم بالحق من عند ربهم وصفوه بالجنون، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر:6].

ثالثاً: الشُّعْر:

إنَّ زعماء كفار مكة مع اعتقادهم الجازم بأنَّ القرآن الكريم لا علاقة له بالشعر من أيِّ باب من الأبواب، إلاَّ أننا نجدهم يُعطلون مواهبهم وقدراتهم في فهم اللغة العربية وأساليبها، وهم أهلها وأربابها، ويُعارضون قناعاتهم بتميّز القرآن الكريم على كل كلامهم، وشعرهم، ونظمهم، فيتهمون النبي ﷺ بالشعر، وأنَّ ما جاء به هو من كلام الشعراء، فردَّ عليهم القرآن الكريم زيف زعمهم، وصدَّق النبي ﷺ في دعوته، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:69]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة:41].

رابعاً: الكهانة:

وصل الأمر بزعماء كفار مكة في تصديهم لدعوة النبي ﷺ مبلغاً عظيماً، فنسبوه إلى الكهانة؛ كي يُنفروا الناس من الاستماع للقرآن الكريم، والاستجابة لدعوة التوحيد، فنزلت آيات القرآن الكريم تنفي هذا الاتهام الباطل عن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِعَمَتِ رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا مَجْنُونٌ ﴾ [الطور:29]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴾ [الحاقة:42].

الصورة الثانية: تشويه حقيقة القرآن الكريم (صورة الحق):

سعى زعماء مشركي مكة جاهدين للنيل من شخص النبي ﷺ، لكنهم لم يُفلحوا في تحقيق مرادهم، بل انقلب الأمر على عكس ما يريدون؛ لهذا نراهم قد توجهوا للطعن في القرآن الكريم من الجانبين التاليين:

أولاً: القرآن الكريم كلام بشر:

اتَّهم زعماء كفار مكة النبي ﷺ بأنَّ الذي يُعلمه القرآن الكريم بشر من بني آدم⁽¹⁾، وليس هو من عند الله ﷻ، فنزلت آيات القرآن الكريم تُكذِّبهم في قولهم، وتفضح افتراءهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل:103].

(1) اختلف العلماء في اسم هذا الرجل؛ فذهب بعضهم إلى غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر، وقال بعضهم: هو عبد رومي، واسمه بلعام. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (17: 298)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (10: 177).

إنَّ الذي يَمِيلون إلى أَنَّهُ يُعلم النبي ﷺ، رجل أعجمي، لا يُحسن اللغة العربية حتى يُتقن فنونها وأساليبها وقواعدها، وأن يُحيط بقوة فصاحتها، وأسرار المعاني فيها، فيأت بما لم يستطيعوا الإتيان به، وهذا أظهر دليل على كذبهم وافتراءهم.

ثانياً: وصف القرآن الكريم بأنه مُفترى من دون الله ﷻ:

إنَّ زعماء كفار مكة لما عجزوا عن إثبات زعمهم، بأنَّ النبي ﷺ يُعلمه بشر، اهتدوا إلى اتهام جديد؛ علَّهم يفوزون في موقف في محاربتهم للنبي ﷺ، وللحق الذي جاء به، فوصفوا القرآن الكريم بأنه مُفترى⁽¹⁾، وأنه من بنات أفكار النبي ﷺ، وتخيلاته، وأنه لا علاقة له بالإله المعبود، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور:33]، فجاء الرد الحاسم في القرآن الكريم يُبطل زعمهم، ويتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، أو بعشر سور مثله مفتريات، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور:34]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتْ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود:13-14]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود:13-14]، وقال تعالى: ﴿يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:37].

إنَّ عجز زعماء كفار مكة عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، يفترونها من دون الله ﷻ، لهو أعظم دليل على أنَّ القرآن الكريم كلام الله ﷻ، وأنَّ اتهامهم للنبي ﷺ باطل، لا علاقة له بالصدق من قريب ولا بعيد.⁽²⁾

الصورة الثالثة: التقليد الأعمى للأباء والأجداد:

إنَّ طاغوت التقليد لما عليه الآباء والأجداد، ليُمثِّل العائق الأخطر والأكبر الذي تُجابه به دعوات الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام)، ومن أكثر الأساليب استخداماً للصدِّ عن سبيل الله ﷻ⁽³⁾، يستميلون به قلوب العامة، ويُحرِّكون عواطفهم؛ ليرفضوا الحق الذي جاء به المرسلون.

(1) الافتراء: هو العظيم من الكذب المتعمد، ومعنى افترى افعل واخترق ما لا يصح أن يكون، ومخالفة الكلام الواقع؛ سواء كانت المخالفة في النفي أو الإثبات، وهو أفحش الكذب، والافتراء إذا كان بحضرة المقول فيه يكون بهتاناً. انظر: الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية": لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي: 154، خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (10: 6372).

(2) انظر: رسالة الأنبياء: لعمر أحمد عمر: (3: 66).

(3) انظر: الطريق إلى المدينة: لمحمد العبدية: 43.

إنَّ هذا المبدأ في عدم الخروج عمَّا يعبده الآباء والأجداد، مبدأً ظاهر للمخالفين لدعوة الحق على مرَّ الأزمان، حيث قصَّ علينا مواقف متعددة كان هذا المبدأ المعيق لاتباع دعوة التوحيد، فعلى لسان قوم صالح، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذَكُوتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَنَّهُمْ أَنَا نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِمْ﴾ [هود:62]، وعلى لسان قوم شعيب، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ آبَاؤُنَا أَنَّا نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:87]، فالطابع العام لهم التقليد للآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ وَإِنَّا لَنَاجِرِينَ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:23].

وقد سلك زعماء مشركي مكة هذا الطريق في التصدي لدعوة النبي ﷺ، فلم يقبلوا الحجة بالحجة، بل قابلوا الحجة بالتقليد لما عليه الآباء والأجداد؛ فمن العيب والعار مخالفة دين الآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:104].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان:21].

الصورة الرابعة: التواصي بالصبر على الآلهة الباطلة استناداً إلى حقائق باطلة:

إنَّ النبي ﷺ لما جابه زعماء مشركي مكة بالحق الذي آتاه الله ﷻ إياه، وسفَّه ما هم عليه من عبادة الأوثان، انطلق الأشراف منهم يتواصون فيما بينهم بالصبر على آلهة الآباء والأجداد، مهتماً هوَّ النبي ﷺ من شأنها، وحطَّ من قدرها، ونهى عن عبادتها⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَسْمُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:6].

وقد استند زعماء مشركي مكة في وجوب الصبر على آلهتهم، وعدم التخلي عن عبادتها، إلى أنَّهم لم ينته إلى أسماعهم، ولم يصل إلى آبائهم، مثل هذه الدعوة التي يصدع بها النبي ﷺ بين ظهرانيهم، بل إنَّ أصحاب الكتب السماوية السابقة؛ كالنصرانية، واليهودية، يُنكرونها ويكذبون ما جاء فيها، وهم أهل الكتاب، وأصحاب الديانة⁽²⁾، قال تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ﴾ [ص:7].

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (12: 133).

(2) ذكرت كتب التفسير أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) يحتمل معنيين: الأول: أي ملة قريش، الثاني: الملة النصرانية. انظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: للطبري: (21: 152-153).

الصورة الخامسة: الحرص على المصالح الشخصية، والمكانة الدنيوية:

إنَّ من أهم الأسباب التي تدرع بها زعماء كفار مكة لرفض دعوة النبي ﷺ، أنَّ اتِّباعه يؤدي إلى فقدان مكة مكانتها الدينية، والاقتصادية بين القبائل العربية، وأنَّ تَفَقَدَ هيبتها العسكرية؛ فيتخطفهم الناس ويغزونهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْمُدَيِّ مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ نُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا إِمْنَا يُجِئُ إِلَيْهِ نَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:57].

إنَّ هذا المنحى الذي سلكه كفار مكة لتحذير الناس من اتباع النبي ﷺ، ينهجه دعاة الفساد في كل زمان ومكان، وما نراه اليوم في واقعنا الذي نعيشه أكبر دليل على ذلك؛ حيث نجد المنافقين الذين يعيشون بين ظهرانينا، وهم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويظهرون الخوف على مصالح أمتنا، يُخوفوننا إن لم نلتزم بما يُريده الأعداء منا، أن نعيش حياة الضنك والضييق والحصار والفقر، وفُقدان المكانة والمنزلة، ولهذا قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ... ﴾ [المائدة:52].

المبحث الثالث

النماذج الفاسدة للقيادة العلمية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: علماء السوء من أهل الكتاب.
- المطلب الثاني: الشياطين يعلمون الناس السحر.

المطلب الأول: علماء السوء من أهل الكتاب:

افترق علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى فريقين:

الأول: فريق التزم بما علمه الله ﷻ من الكتاب، فلم يحرف أو يبدل، بل سخرُوا علمهم في خدمة الدين والعقيدة، وفي النصح الصادق للأمة، وفي صدق التوجه لله ﷻ، فصدقوا في أقوالهم وأفعالهم، وهؤلاء هم القلة القليلة من علماء أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 113-114].

الثاني: فريق أخذ العلم بهدف تحقيق المصالح الشخصية، والمكاسب الدنيوية، مستغلين جهل الناس بعلوم الشريعة؛ ليدلسوا عليهم أمور دينهم ودنياهم، فقادوا الناس نحو الهاوية، والهلاك في الدنيا والآخرة، وهم الكثرة الغالبة من علماء أهل الكتاب.

وسأقتصر في هذا المطلب على الحديث عن معالم الفساد عند الفريق الثاني.

معالم القيادة العلمية الفاسدة عند علماء السوء من أهل الكتاب:

بعد التأمل لآيات القرآن الكريم، أسجل هذه المعالم التسعة التالية لفساد علماء أهل

الكتاب:

المعلم الأول: الوقوع في الاختلاف بعد العلم اليقيني القاطع:

اختلف علماء أهل الكتاب في حقيقة الدين الحق الذي بُعث به النبي ﷺ، ما بين مؤمن وما بين منكر، والمنكرون اختلفوا فيما بينهم حول طبيعة الإنكار وأسبابه، مع علمهم القاطع بصدق النبي ﷺ، فكان اختلافهم حسداً وظلماً وبغياً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ وَمَا ائْتَفَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19].

إنَّ اختلاف علماء أهل الكتاب في الحق قبيحٌ من وجهين⁽¹⁾:

الأول: عبَّر القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى: (أُوتُوا الْكِتَابَ)، وفي هذا التعبير تقييحٌ لهم، وتشنيعٌ عليهم؛ لأنَّ الوقوع في الاختلاف بعد إتيان الكتاب دليل على اضطراب عقولهم، وفساد أفهامهم؛ حيث جعلوا سبيل هدايتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة سبب شقائهم وتعاستهم، فهذا من باب وضع الشيء في غير محله.

(1) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (6: 6).

الثاني: تعبير القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى: (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ)، زيادة في تقبيح أفعالهم وأقوالهم؛ لأنَّ إنكار الحق والاختلاف فيه بعد العلم القاطع دليل على فساد القلوب والأنفس.

المعلم الثاني: تحريف الكتاب:

إنَّ من أبرز ما اتصف به علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، التحريف والتبديل لكلام الله ﷻ، فيجعلون له معاني غير التي يُريدها الله ﷻ، ولا رسوله، قال تعالى: ﴿ فِيمَا نَقُضُوا مِنْهُمْ يَتَّبِعُهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾¹ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: 13-14].

المعلم الثالث: كتمان الحق:

إنَّ علماء أهل الكتاب كانوا يعلمون بمبعث النبي ﷺ، وكانوا يهددون به العرب في المدينة المنورة، ولكنه لما بُعث النبي ﷺ أنكروا ذلك، مع علمهم الأكيد بصفاته وزمن مبعثه، وكتموا ما عندهم من العلم؛ حقداً وحسداً وغيظاً؛ أن يكون النبي من العرب، وليس من يهود، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 89]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 146].

المعلم الرابع: افتراء الكذب على الله ﷻ:

قصَّ علينا القرآن الكريم مواقفَ متعددةً لافتراء أهل الكتاب، وكذبهم على الله ﷻ، يظهر فيها مدى جُرأتهم على الله ﷻ، أُجملها في المواقف الخمسة التالية:

الأول: الابتداء في الدين، والإحداث في الشريعة ما ليس منها:

إنَّ علماء أهل الكتاب لما رأوا إعراض الناس عنهم، وإقبالهم على الدنيا حرصاً وتعلقاً بها، بحثوا في كيفية إرجاع المكانة لهم، وصرف وجوه الناس إليهم، فأحدثوا في تعاليم الشريعة ما ليس منها، ونسبوا ذلك إلى الله ﷻ كذباً وافتراءً⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَسْنَنَهُمُ بِالْكَتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 78].

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (2: 7).

الرابع: التحليل والتحريم:

إنَّ مِنْ أَعْظَمِ صُورِ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ ﷻ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﷻ، وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّهُ ﷻ، وَهَذَا مَا تَلَبَّسَ بِهِ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَلَّوْا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا
الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

إنَّ هَذَا الْفِعْلَ مِنْ أَعْظَمِ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ صَاحِبُ تَشْرِيعِ الْحَالِ
وَالْحَرَامِ، وَلَا يَضَعُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا مُفْتَرٍ كَذَّابٌ.

الخامس: التدليس على عوام الناس وجُهاً لهم؛ لتحقيق المكاسب المادية:

أشار القرآن الكريم إلى أَنَّ الغاية من وراء الكذب على الله ﷻ تحقيق المكاسب
المادية الدنيوية، من خلال كتابة ما أحدثوه في شريعتهم، وبيعه، وتسويقه على عوام الناس
وجُهاً لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُوبُونَ﴾ [البقرة: 79].

المعتم: الخامس: شهادة الزور:

إنَّ الْحَقَّ وَالْحَسَدَ إِذَا تَمَكَّنَا مِنْ قَلْبِ الْإِنْسَانِ، أَظْهَرَ صِفَاتِهِ الذَّمِيمَةَ، وَأَخْلَقَهُ الرَّذِيلَةَ،
وَطَبَائِعَهُ الْخَبِيثَةَ، الَّتِي تَحْمِلُهُ عَلَى التَّخْلِيقِ عَنِ الْوَقُوفِ إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ، وَالشَّهَادَةِ لِلْبَاطِلِ
بِالْخَيْرِيَّةِ، وَهَذَا مَا وَقَعَ مِنْ يَهُودٍ، حَيْثُ شَهِدُوا زُورًا لِكْفَارِ مَكَّةَ بِالْخَيْرِيَّةِ، فِي مَقَابِلِ دَعْوَةِ الْحَقِّ
وَطَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ
وَالطَّلْعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: 51].

إنَّ هَذَا الْمَعْتَمَ يَظْهَرُ جَلِيًّا فِي وَاقِعِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمِ، حَيْثُ نَجَدُ ثَلَاثَةً مِنْ عُلَمَاءِ
السُّلْطَانِ الَّذِينَ بَاعُوا دِينَهُمْ بِدُنْيَا غَيْرِهِمْ، يُزَيِّنُونَ الْبَاطِلَ لِلْحُكَّامِ الظَّالِمَةِ الْفَسَقَةِ، وَيُجَمِّلُونَ لَهُمْ
صُورَتَهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَيُجَوِّزُونَ لَهُمْ قَمْعَ أَهْلِ التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ، وَمَلَا حَقَّتْهُمُ وَالنَّيْلُ مِنْهُمْ، وَيَشْهَدُونَ
زُورًا وَبِهْتَانًا عَلَى أَنَّ الْفَسْقَ وَالْفُجُورَ، خَيْرٌ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِتْرَامِ بِالَّذِينَ، وَقَدْ حَمَلَهُمْ عَلَى شَهَادَةِ
الزور هذه حقدُهم وحسدُهم للنجاحات التي يُحَقِّقُهَا أَهْلُ التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ، فِي حِينِ هُمْ يَتَأَخَّرُونَ،
وَيَفْقَدُونَ الْمَكَانَةَ، وَالْمُصَدَّاقِيَّةَ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ.

المعتم السادس: أكل أموال الناس بالباطل:

عَمَدَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى اسْتِغْلَالِ عِلْمِهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالشَّرِيعَةِ؛ لِأَيُّكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ؛ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ مَكَانَةٍ فِي الدِّينِ، وَمَنْصِبٍ وَرِيَاةٍ فِي النَّاسِ، حَيْثُ كَانَ
لأَحْبَابِ الْيَهُودِ، وَرَهْبَانِ النَّصَارَى، حَرْجٌ وَهَدَايَا وَضَرَائِبُ يَأْخُذُونَهَا مِنَ النَّاسِ دُونَ وَجْهِ حَقِّ (1)،

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (4: 138).

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ ءَأْمَٰلَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34].

المعْلَم السابع: الصد عن سبيل الله ﷻ:

إن علماء أهل الكتاب لم يتركوا جريمة إلا ولهم فيها نصيب، حتى وصل بهم الأمر إلى الصد عن سبيل الله ﷻ، والوقوف في وجه الإسلام ودعوة التوحيد، وإنكار دعوة النبي ﷺ؛ استجابة لأحقادهم وشهواتهم ومصالحهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ ءَأْمَٰلَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: 34].

المعْلَم الثامن: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ترك علماء أهل الكتاب، وخاصة أحرار اليهود، أعظم مهمة كُلفوا بها، ألا وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ حيث جاءت آيات القرآن الكريم تُنكر عليهم سكوتهم عن المنكر، وعدم نهيم لقومهم عن الشر، فهذه سمة المجتمعات الفاسدة المؤذنة بانهيائها ودمارها⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسُدُّونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 62-63]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78-79].

المعْلَم التاسع: التلبس بمقام الألوهية:

جعل علماء أهل الكتاب أنفسهم في مقام الإله المعبود، حتى جعلوا الناس يتخذونهم أرباباً من دون الله ﷻ، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَٰهُ هُوَ...﴾ [التوبة: 31].

لكن عبادة الناس لهم لم تكن شعائر تعبدية، بل عبادتهم قائمة على متابعة الناس لهم فيما يُحللون ويُحرّمون، فهذا معنى اتخادهم أرباباً من دون الله ﷻ، أشار إلى هذا المعنى حذيفة بن اليمان ؓ عندما سُئل عن قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)، هل عبدوهم؟ فقال: "لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه"⁽²⁾.

(1) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (2: 929).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (ح: 16634، ج: 14، ص: 211)، السنن الكبرى: للبيهقي:

(ح: 20848، ج: 10، ص: 116)، من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري عن

حذيفة ؓ، والحديث صحيح الإسناد.

المطلب الثاني: الشياطين يُعلمون الناس السحر:

قد مثل الشياطين قيادة علمية فاسدة؛ وذلك بما قاموا به من تعليم النَّاس السحر الذي حَرَّمَ اللهُ ﷻ على عباده تَعَلَّمَهُ، وقد برزت معالم فسادهم في النقاط الخمس التالية:

الأولى: الافتراء على نبي الله سليمان ﷺ والكذب عليه، حيث أسند الشياطين إليه ما انتحلوه من السحر، وما تلبَّسوا به من الكفر على سبيل التديليس والإضلال، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَذِبٌ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 102].

الثانية: فتنة العامة بالسحر، وإضلالهم عن طلب الأشياء بالجد والاجتهاد، وصرفهم عن طلبها من أسبابها الظاهرة وطرقها المشروعة، مع علمهم بانعدام الفائدة من هذا العلم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿...وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ...﴾ [البقرة: 102].

الثالثة: الحرص على إلحاق الأذى بالناس من خلال العلم الذي منحه الله ﷻ لهم، حيث يُفرِّقون بسحرم بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ...﴾ [البقرة: 102].

الرابعة: حصول الكفر بالله ﷻ لهم بما حازوه من العلم، قال تعالى: ﴿...وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ [البقرة: 102].

الخامسة: تحويل النعمة إلى نقمة، واستخدامها في غير الوجه الذي أراده الله ﷻ، وهذا مقابلة للنعمة بالكفران لا بشكر المنعم عليها.

فائدة:

قد أنزل الله ﷻ إلى الأرض مَلَكَيْنِ يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ؛ هما هاروت وماروت، وهذا التكليف تضمَّن ست مهام، وهي كالتالي:

الأولى: تعليم الناس السحر؛ ليُفرِّقوا به بين معجزات الأنبياء وبين السحر، لذلك نجد السحرة في قصة موسى ﷺ لَمَّا رَأَوْا معجزة العصا، وقعوا ساجدين على الأرض، معلنين إيمانهم برب هارون وموسى (عليهما السلام)؛ لأنَّهم بعلمهم بالسحر استطاعوا أن يُفرِّقوا بين سحرم الزائف، وبين المعجزة الحقيقية.

الثانية: تحذير الناس من فتنة السحر، والعمل به؛ لأنَّه يؤدي بصاحبه إلى الكفر⁽²⁾، قال تعالى: ﴿...وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ [البقرة: 102].

(1) انظر: تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا: (1: 329)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي: 61.

(2) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (1: 495).

الثالثة: اختبار النَّاس؛ للتمييز بين قوي الإيمان الذي يرفض السحر، ويرفض الأسباب المؤدية إليه، وبين ضعيف الإيمان الذي يريد السحر، ويسعى لتعلمه.⁽¹⁾

الرابعة: الإخبار بأنَّ حصول الضرر للإنسان بالسَّحَر مقرون بإرادة الله ﷻ ومشيتته، لا بما يريد السَّاحِر ويرجوه، قال تعالى: ﴿...وَمَا هُمْ بِضَّارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [البقرة:102].

الخامسة: إخبار الناس أنَّ تعلُّم السَّحَر لا ينفَع الإنسان إلَّا في الشر، وحصول الشر بالعلم بالشيء في حقيقته ضرر، قال تعالى: ﴿...وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ...﴾ [البقرة:102].

السادسة: الإخبار بحصول الخسران للسَّحَرَة المجرمين في الآخرة، قال تعالى: ﴿...وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:102].

فائدة:

إنَّ المتأمل في الأقوال الأنفة الذَّكْر والمتعلقة بالملَكَيْن يخرج بحقيقة مفادها، أنَّ الملكين لم يخرجوا عن طاعة الله ﷻ، ولم يُخالفا أمره؛ لأنَّ طبيعة الملائكة الطاعة المطلقة، مصداقًا لقوله تعالى في الملائكة: ﴿...لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6]، وإنَّما جاءت الإشارة إليهما في الآية للأمر الخمسة المذكورة آنفًا.

(1) انظر: تفسير سورة البقرة: لمحمد بن صالح العثيمين: (1: 245).

المبحث الرابع

النماذج الفاسدة للقيادة العسكرية (الحربية).

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: جالوت.
- المطلب الثاني: عبدُ اللهِ بنُ أبيِّ بنِ سنُّول.

المطلب الأول: جالوت:

كان جالوت من جبابرة الكنعانيين، وكان صاحب جسم، وقوة، طويل القامة، قوي البطش، شديدًا في الحرب، فقد كان من أشد الناس وأقواهم، فكان يهزم الجيوش وحده، ملكَ جهة فلسطين، وقيل: إنَّ البربر سكنوا فلسطين، وكان جالوت ملكهم.⁽¹⁾

إنَّ القرآن الكريم أشار إلى جالوت في معرض حديثه عن طالوت وجيشه الذي خرج لرفع الظلم والضيغ من بني إسرائيل، حيث كان جالوت هو قائد جيش العمالقة الوثنيين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ...﴾ [البقرة: 250].

معالم القيادة العسكرية الفاسدة عند جالوت:

إنَّ المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد عدم إشارتها إلى جالوت بأي إشارة تُظهر مواقفه في حكمه، أو قيادته لجنده، شأن القرآن الكريم في الحديث عن الظلمة والفسقة؛ من الإغفال لهم ولحياتهم، وأخبارهم، لكننا من خلال النظر في قصة خروج بني إسرائيل مع طالوت؛ لقتال جالوت، يمكن استخلاص بعض المعالم لقيادة جالوت الفاسدة، في المعلمين التاليين:

1. ظلم الناس والتجبر عليهم؛ فقد أُخْرِجَ هو وجنوده بني إسرائيل من ديارهم، وأسَرَ أبناءهم، قال تعالى: ﴿... قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَايَنَا...﴾ [البقرة: 246].
2. الاستخفاف بالناس والتقليل من شأنهم، نجد ذلك فيما ذكرته كتب التفسير عند رؤيته لداود عليه السلام لما خرج مبارزًا له، حيث قال له: "وبلك، ما خرجت إلا كما يُخْرَجُ إلى الكلب بالمقلع والحجارة، لأبَدَنَّ لحمك، ولأطعمته اليوم الطير والسباع".⁽²⁾

فائدة:

ذكرت كتب التفسير موقفًا لجالوت قبل بدء القتال بين جيش طالوت وجيشه، حيث طلب جالوت من طالوت أن يبرز لمبارزته، أو يُخْرِجَ له أحدًا من جيشه ليُبَارِزَه؛ فإن كانت الغلبة لجالوت يُصبح ملكًا على الجميع، وإن كانت الغلبة لطالوت أصبح هو الملك على الجميع.⁽³⁾

ويمكن لنا توجيه هذا الموقف إلى معنيين:

الأول: إنَّ جالوت لما رأى قلة جيش طالوت، مع جرأتهم على النزال، قذف الله رعبه في قلبه، فهيمن عليه الوجل؛ فأراد بالمبارزة أن يجسَّ نَبْضَ أولئك القلة؛ لعَلَّهم إذا قُتِلَ مُبَارِزَهُمْ أَنْ يَفُتَّ ذلك في عَضُدِهِمْ، ويتولوا مدبرين.

(1) انظر: تاريخ دمشق: لابن عساكر: (24: 439)، الأُنس الجليل: لمجير الدّين الحنبلي: (1: 104)، سير أعلام النبلاء: للذهبي: (18: 429)، الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (3: 256).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (5: 356).

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (5: 355)، روح المعاني: للألوسي: (2: 300)، وغيرهما.

الثاني: اغترار جالوت بقوته وسطوته، واستخفافه بمن يخرج لمبارزته، ولو كان طالوت، وهذا هو ديدن الطغاة المتجبرين في كل زمان ومكان.

المطلب الثاني: عبد الله بن أبي بن سلول:

هو عبد الله بن أبي بن سلول، وسلول أم عبد الله، وقيل: أم أبي، أي جدة عبدالله، وهو رأس المنافقين زمن النبي ﷺ، أظهر الإسلام، وأبطن الكفر، وحمل الضغينة للإسلام، وللنبي ﷺ؛ لأنه فُيِّل مجيء النبي ﷺ المدينة المنورة كادوا أن يتوجوه ملكاً عليهم، فلم تجتمع الأوس والخزرج على رجل مثل اجتماعهم عليه، فلما جاء النبي ﷺ المدينة انصرف عنه قومه إلى الإسلام وتركوه.⁽¹⁾

معالم القيادة العسكرية الفاسدة عند عبد الله بن أبي بن سلول:

إنَّ القرآن الكريم لم يتحدث عن ابن سلول كقائد عسكري بصورة واضحة، لكننا سنتحدث في بعض المعالم الفاسدة في حياته من خلال ذكر القرآن الكريم لبعضها، وفضحه فيها، والتعليق عليها، ألخصها في المعالم الثلاثة التالية:

المعلم الأول: الاعتماد على القوة المادية في تحقيق النصر، والحماية:

كان ابن سلول حليفاً لليهود بني قينقاع في الجاهلية، واستمر التحالف بينهما بعد مجيء النبي ﷺ المدينة، حيث قام النبي ﷺ بتنظيم العلاقات داخل المدينة المنورة، بين المسلمين واليهود القاطنين في المدينة، ومن هؤلاء اليهود بنو قينقاع، فكان بينهم وبين النبي ﷺ معاهدة اتفق عليها الطرفان، إلا أن يهود بني قينقاع خانوا، وغدروا بما عاهدوا عليه النبي ﷺ، وتآمروا على قتله، فأمر النبي ﷺ بالخروج إليهم ومحاصرتهم، وفي نهاية الأمر نزلوا على أمر النبي ﷺ، فأمر أن يُكْتَفُوا فَكُتِّفُوا، فأراد قتلهم، فكلمه ابن سلول وألحَّ عليه ﷺ، وأدخل يده في جيب درعه، فقال له النبي ﷺ: ويحك! أرسلني، وغضب النبي ﷺ حتى رأوا لوجهه سُمْرَةً لشدة غضبه، ثم قال: ويحك! أرسلني، فقال: والله لا أرسلك حتى تُحْسِنَ في موالي؛ فإنهم عترتي⁽²⁾، وأنا امرؤ أخشى الدوائر، فقال ﷺ: حَلُّوْهُمْ لَعْنَهُمُ اللهُ ﷻ، ولعنه معهم، وأمر ﷺ أن يُجْلَوْا من المدينة.⁽³⁾

(1) انظر: السيرة النبوية: لابن هشام: (2: 446، 526، 584)، وتهذيب الأسماء واللغات: للإمام النووي: (1: 366، 389).

(2) العترة: عترة الرجل وله، وذريته، وأخص أقاربه، وأهله وبنو أعمامه الأذنون، وقيل: أصله. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير: (3: 385)، الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: 350.

(3) انظر: السيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي: (2: 476-478).

إن موقف ابن سلول الآنف الذكر يدل على ثلاثة أمور:

الأول: حرص القيادات الفاسدة على حماية أعوانها وأتباعها من الكفار؛ لاعتقادهم الفاسد بأنهم يجلبوا لهم النفع، ويدفعوا عنهم الضرر، وهذا الاستفادة من قول ابن سلول: (وأنا امرؤ أخشى الدوائر)، قال تعالى في شأنه وأضراجه: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَلِيمِينَ ﴾ [المائدة: 52].

الثاني: اعتزاز القيادات الفاسدة بروابط الصداقة والمصلحة مع أعداء الأمة، وتقديمها على أخوة الدين والعقيدة، وأخوة النسب أيضاً، وهذا الاستفادة من قول ابن سلول: (فإنهم عترتي)؛ حيث قدم تحالفه مع اليهود، على ما كان يُظهره من اتباع دين الإسلام، ودخوله تحت لواء المسلمين.

الثالث: انعدام ثقة القيادة الفاسدة بالله ﷻ، واعتمادها على القوة المادية.

المعلم الثاني: التخلي عن القيادة العامة، والانسحاب بثلث الجيش في غزوة أحد:

استقر رأي المؤمنين في غزوة أحد على الخروج من المدينة لملاقاة جيوش المشركين، لكن رأي ابن سلول كان البقاء في المدينة، والقتال من داخلها، ولمّا تجهّز المسلمون للمعركة، وحشدوا ما يُقارب ألف مقاتل، وانطلقوا متوجهين خارج المدينة، وعندما وصل المسلمون الشوط⁽¹⁾، انسحب ابن سلول بثلث الجيش، مُتَدَرِّعًا بعدم وقوع القتال، أو معترضًا على قرار القتال خارج المدينة⁽²⁾، قال تعالى: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَّأَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَذْعَبُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: 167].

إن الآية تُشير بوضوح إلى توجُّه المؤمنين الصادقين إلى المنافقين بأحد أمرين؛ أن يُقاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ، أو يُقاتلوا من أجل الدفاع عن أنفسهم وأهلبيهم ومدينتهم، فيدفعوا عنها عار الهزيمة والمهانة⁽³⁾، ولكنهم رفضوا الأمرين، واستجابوا لأمر ابن سلول رأس النفاق والخيانة.

فائدة:

إن من أبرز سمات المنافقين الحرص على حياتهم، وتحقيق مصالحهم الشخصية، مع التخلي عن أهلهم وذويهم، وإن زعموا خلاف ذلك؛ من التظاهر بالوطنية، والحرص على مصالح الأمة العليا.

(1) الشوط: اسم بستان بين المدينة وأحد. انظر: دلائل النبوة: للبيهقي: (3: 239).

(2) انظر: السيرة النبوية: للصَّلابي: (2: 123-124).

(3) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (2: 330).

المعلم الثالث: اضطراب مفهوم القيم عند ابن سلول:

قد تضطرب المفاهيم عند بعض الناس، فلا يَبَيِّن لهم الأمر على حقيقته، فينظرون إلى ظاهره، ويتركون جوهره، وهذا ما وقع من ابن سلول، إذ التَّبَسَّ عليه مفهوم العزة الحقيقية، فأخذ يصف نفسه بالعزة والمنعة، واصفاً النبي ﷺ بالدَّلة والمهانة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ، قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ، فَكَسَعَ⁽¹⁾ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَسَعَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ)، فَسَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: فَعَلُوهَا!، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَلَبَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عَمْرٌ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أُضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ...) (2)، وفي رواية الترمذي: (...فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقَرَّ أَنَّكَ الدَّلِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَزِيزُ، فَفَعَلَ) (3).

وقد أثبت القرآن الكريم هذا الموقف لابن سلول وأتباعه من المنافقين، قال تعالى:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ...﴾ [المنافقون: 8].

إنَّ القائل هو ابن سلول، ولكنَّ القرآن الكريم نسب القول للمنافقين جميعاً؛ لأنَّهم رضوا بمقالته، وتابعوه عليها، وقد قالها على سبيل التَّبجح وسوء الأدب (4) (الذي هو خُلُقٌ مُتَّصِلٌ فِي الْمُنَافِقِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ)، معتقداً أنَّه بما يملك من المال والرجال والمكانة يستطيع أن يحوز العزَّة الرَّائفة، وأنَّ يُغالب النبي ﷺ في المدينة، وأنَّ يكون صاحب الأمر والنهي فيها، ولكنَّ القرآن الكريم ردَّ عليه مقالته الباطلة، محددًا مصدر العزَّة والغلبة الحقيقية، قال تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ

الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8].

(1) كَسَعَ: الكسع أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك، لسان العرب: لابن منظور: (8: 309).

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ

اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: 6]، (ح: 4905، ج: 6، ص: 145).

(3) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ومن سورة المنافقين: (ح: 3315، ج: 5، ص: 417). قال

الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي: للألباني: (ح: 2641، ج: 3، ص: 120)، وأصل قصة الحديث في البخاري ومسلم.

(4) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (410:14).

فائدة:

يسعى المنافقون في كل زمان ومكان ليحققوا العزة لأنفسهم من خلال الاعتماد على الأسباب المادية؛ من مال وجاه وسلطان ورجال، حيث سيطرت القيم المادية على حياتهم؛ فغاب عن أذهانهم أنّ أيّ شيء يمكن أن يحققه، هو بإرادة الله ﷻ ومشيبته، فوجد أنّهم يجتهدون ويكدّون ويتعبون، وفي النهاية يكون لهم الخسران المبين في الدنيا والآخرة، يُصدّق هذا قول الله ﷻ في كفار مكة في حربهم ضد النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].

المبحث الخامس النماذج الفاسدة للقيادة الأمنية

وفيه مطلبان:

• المطلب الأول: رهط قوم صالح عليه السلام.

• المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة.

المطلب الأول: رهط قوم صالح:

بعث الله ﷺ نبيه صالحاً ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد والإيمان بالله ﷻ، فانقسم قومه إلى فريقين متخاصمين؛ فريق مؤمن، وفريق كافر مستكبر معاند، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتُمْ مَنَّمُوكُمْ أَنْتُمْ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: 75-76].

وكان فريق الكفر والطغيان يضم مجموعة من المجرمين، قد أوغلوا في الإجرام، وأكثروا من الإفساد في الأرض، ورَفَضِ الحق، وبرعوا في المكر، والغدر بأهل الحق، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [النمل: 48-49].

لقد عزم الرهط المجرمون على الفتك بنبي الله صالح ﷺ، فأخذوا يُدَبِّرون، ويخططون في الطريقة المُتلى للقضاء عليه، ودون أن يشعر بهم أحد، (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ)، فقد أخذوا على أنفسهم العهد، وأقسموا على قتل نبي الله صالح ﷺ، واختاروا أن يكون التنفيذ في ظلمة الليل؛ ليستتروا عن أعين الناس في تنفيذ جريمتهم، ثم يُبعدوا شكوك الناس عنهم بالحلف الكاذب، والزور، والبهتان.

وقد حَبَكَت هذه الفئة المجرمة فصول المؤامرة جيداً، من جهتين: (1)

الأولى: التدبير الجيد لكيفية تنفيذ جريمة القتل.

الثانية: تجهيز الدفاع عن أنفسهم إذا وقعوا في المساءلة والمحاسبة.

فوائد:

من خلال التأمل في الموقف السابق، يمكن لنا أن نرصد الفوائد الثلاث التالية:

الأولى: إنَّ منهج المكر والاحتيايل والتخطيط لاغتيايل أئمة الهدى والإصلاح، منهج قديم جديد، يحمل لواءه المجرمون الفاسدون في كل عصر. (2)

الثانية: غفلة أهل الإجرام عن تدبير الله ﷻ لعباده الصالحين، وحفظه لهم، وفتكه بالمجرمين المفسدين، قال تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَادَ مَرْتَلَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: 50-51].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (17: 10801).

(2) انظر: منهجية البحث في التفسير الموضوعي: للدكتور زياد الدغامين: 59.

الثالثة: إنَّ الكذب، والافتراء، وشهادة الزور، خُلق متأصل في أهل الإجرام والفساد، حيث يسخَّرون أبوابهم الإعلامية؛ ليُظهروا نصاعة أخلاقهم، ونظافة أيديهم، وطهارة قلوبهم؛ ليدلسوا على الناس حقيقتهم الخبيثة الفاسدة (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ لِيئِمَّ مَا شِئْنَا مَهِّلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ).

المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة:

لقد تعرَّفنا في مطلب سابق⁽¹⁾ على موقف زعماء مشركي مكة من دعوة النبي ﷺ، وكيف بذلوا جهودهم الجبَّارة للصد عن سبيل الله ﷻ، ودفع الناس عن الاستجابة لدعوة الحق والعدل، سالكين في ذلك وسائلَ عدَّةٍ، وفي هذا المطلب أتحدث عن مكرهم بالنبي ﷺ، والتخطيط والتدبير لمنعه من القيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ، لكنَّهم في هذه المرَّة يكيِّدون ويُدبِّرون لإلحاق الأذى بالنبي ﷺ على وجه الخصوص، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ [الأَنْفَال:30].

تشير الآية السابقة إلى اجتماع زعماء مشركي مكة؛ ليحبِّكوا مؤامرةً للنيل من النبي ﷺ، من خلال اجتماع أمني لا يصل إلى النبي ﷺ خبره، ولا يتنامى إلى سمعه ما قرَّروا فيه بحقه ﷺ.

وقد خلص اجتماعهم إلى المفاضلة بين آراء ثلاثة للقضاء على النبي ﷺ، وهي⁽²⁾:
الأول: الحبس؛ فقد رأى بعضهم أن يمنعوا حركة النبي ﷺ في مكة، من خلال حبسه في بيت، أو تقييده وربطه وإيقاعه بالحبال.
الثاني: القتل؛ حيث تقوم جماعة قوية، قوامها أربعون رجلاً جليلاً من شباب مكة الأقوياء بقتل النبي ﷺ، فينفرق دمه بين القبائل، فلا يستطيع بنو هاشم القصاص له، فيقبلوا بالدية راغمين.
الثالث: النفي؛ وهو إخراج النبي ﷺ من مكة؛ فيستريحون منه، ومن دعوته.
 وقد استقر الأمر عندهم على الرأي القائل بقتل النبي ﷺ، فانطلقوا بكل جد واجتهاد لتنفيذ هذا الأمر.

إنَّ المتأمل للآية السابقة يخرج منها بفائدتين:

الأولى: اجتماع أهل الإجرام على اختلاف أماكنهم، وأزمانهم، على أرذل الصفات، وأشنعها؛ من تأمرهم على أهل التقوى والصلاح، وإخفاء كيدهم، وخبثهم، ومكرهم، عن أنظار الناس، ومُدَّارة ضعفهم المفضوح في المواجهة العلنية للحق وأهله، ولجوتهم إلى الوسائل الخفية، والطرق الملتوية؛ للوصول إلى مرادهم ومبتغاهم.

الثانية: معية الله ﷻ لعباده الصالحين، مهما كانت قوة المجرمين والمفسدين في الأرض، فالله ﷻ هو خير الحافظين؛ لأنَّ حفظه حماية للمؤمنين، ونُصرة للحق، وإدلالاً للباطل وأهله.

(1) انظر: هذا البحث: (208-212).

(2) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: لمحمد الخضري: 89-90.

المبحث السادس

النماذج الفاسدة للقيادة الاقتصادية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: قارون.
- المطلب الثاني: صاحب الجنتين في سورة الكهف.

المطلب الأول: قارون:

كان قارون إسرائيليًا من قوم موسى عليه السلام، وأكثر أهل العلم على أنه ابن عم موسى عليه السلام، وكانوا يُلقبونه المنور؛ لحسن صوته بالتوراة، وقد آتاه الله عز وجل مالا عظيما، إلا أنه نافق، وواطأ فرعون وملاه، وبغى على قومه، وأفسد فيهم، فأهلكه الله عز وجل.⁽¹⁾

المعالم الفاسدة للقيادة الاقتصادية عند قارون:

أنعم الله عز وجل على قارون بنعمة عظيمة، ألا وهي نعمة المال، فقد بلغت ثروته مبلغا عظيما، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَيْنَاهُ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُضْبَكِ أُولَى الْقُوَّةِ...﴾ [القصص:76]، لكنّه قابل هذه النعمة بالكفران لا بالشكر، فلم يستعملها في طاعة الله عز وجل، بل سخرها في ظلم الناس والتجبر عليهم، وحرمان الفقراء من حقهم في المال الذي أنعم الله عز وجل به عليه، وفي هذا المطلب أتحدث عن كيفية التوظيف الفاسد للمال، والثروة، في المعالم الأربعة التالية:

المعلم الأول: استعمال نعمة المال في البغي على الناس:

إن قارون قد وظّف المال الذي أنعم الله عز وجل به عليه في التكبر على الناس من بني قومه، فلم يُراعِ حرمة القرابة، والانتماء للمجتمع، بل سعى إلى تكديس الثروة في خزائنه، بل بالبغي عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...﴾ [القصص:76].

وقد ترك القرآن الكريم صورة بغي قارون على قومه مجهولة؛ ليذهب العقل فيها كل مذهب؛ من شناعة القبح في بغيه على قومه، ومن صور بغي قارون على قومه، وأصحاب الأموال أمثاله، الأربع التالية:⁽²⁾

- أ. ظلم الناس، وغصبهم أرضهم، وأشياءهم، ولا سيما أنه من المتواطئين مع فرعون على قومه.
- ب. حرمان الفقراء والمحتاجين من حقهم في المال الذي آتاه الله عز وجل إيّاه.
- ج. التكبر عليهم وازدراؤهم، والاستعلاء عليهم بماله وثروته، والتباهي بزينته وحُسن مظهره، والفخر عليهم بخدمه وحاشيته.
- د. تسخير الناس لخدمته، والقيام على تلبية حوائجه، والعمل على تحقيق أهدافه، رغما عنهم، أو غير ذلك من الأسباب.

(1) انظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (1: 300، 360).

(2) انظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: (5: 2711)، خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (18: 11012).

المَعْلَمُ الثاني: رفض النَّصْحِ الصادق:

إِنَّ قَوْمَ قَارُونَ لَمَّا رَأَوْا بَغْيَهُ وَطَغْيَانَهُ، تَوَجَّهَ إِلَيْهِ النَّاصِحُونَ مِنْ قَوْمِهِ بِخَمْسِ نَصَائِحٍ⁽¹⁾؛ لِيَنْجُوَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ﷻ، وَهِيَ:

أ. الْإِبْتِعَادَ عَنِ الْبَطْرِ وَالْفَرَحِ بِالْمَعْصِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿...إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ...﴾ [القصص:76].

ب. اسْتِعْمَالَ النِّعْمَةِ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ ﷻ لَهُ، فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالطَّاعَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقَرِيَّاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ...﴾ [القصص:77].

ج. التَّمَتُّعَ بِالنِّعْمَةِ فِيمَا أَبَاحَهُ اللَّهُ ﷻ لَهُ، مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ، دُونَ إِفْرَاطٍ أَوْ تَقْرِيطٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾ [القصص:77].

د. مَقَابَلَةَ إِحْسَانِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِ بِالنِّعْمِ الْعَظِيمَةِ، بِالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا مِنْ مَقَابَلَةِ الْحَسَنَةِ بِالْحَسَنَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾ [القصص:77].

هـ. عَدَمَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، بِالْبَغْيِ عَلَى النَّاسِ وَظَلْمِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿...وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص:77].

إِنَّ الْمَتَأَمِّلَ لِلآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، يَرَى بِكُلِّ وَضُوحٍ حَرَصَ الْمُخْلِصِينَ مِنْ قَوْمِ قَارُونَ عَلَيْهِ، وَالْخُرُوجَ بِهِ مِنْ حَالِ الْفُسَادِ، إِلَى حَالِ الصَّلَاحِ؛ لِيَسْتَعِدَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَكُنَّا نَجِدُ فِي الْمَقَابِلِ الرَّفْضَ السَّافِرَ لِهَذَا النَّصْحِ الصَّادِقِ، حَيْثُ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ تَبَجُّحٍ وَغَطْرَسَةٍ، مُصِرًّا عَلَى فُسَادِهِ وَجُحُودِهِ، أَنَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ هُوَ بِاجْتِهَادِهِ وَعِلْمِهِ، وَلَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا يَشَاءُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي...﴾ [القصص:78].

وَقَدْ بَلَغَ الْغُرُورَ وَالطَّغْيَانَ وَجُحُودَ النِّعْمَةِ بِقَارُونَ مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَحَمَلَهُ عَلَى الزَّعْمِ أَنَّ الْمَالَ الَّذِي يَحُوزُهُ إِنَّمَا كَانَ بِمَعْرِفَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ، مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، بِمَا عِلْمُهُ مِنَ التَّوْرَةِ.⁽²⁾

المَعْلَمُ الثالث: إنكار فضل الله ﷻ عليه:

إِنَّ أَيْ نِعْمَةً تُصِيبُ الْإِنْسَانَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ﷻ، يَتَفَضَّلُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، فَالْمُؤْمِنُ يَشْكُرُ وَلَا يَكْفُرُ، وَالْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ وَالْعَاصِي يَكْفُرُ وَلَا يَشْكُرُ، وَقَارُونَ مِنْ أَهْلِ الْفَرِيقِ الثَّانِي الَّذِينَ يُنْكِرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِمْ، لِهَذَا نَجِدُ أَنَّهُ مَعَ عِلْمِهِ الْيَقِينِيِّ بِأَنَّ الثَّرْوَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي يَمْلِكُهَا، هِيَ بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ وَتَوْفِيقِهِ، إِلَّا أَنَّهُ تَنَكَّرَ لِلْمُنْعَمِ، وَاعْتَنَى بِالنِّعْمَةِ، وَنَسَبَ الْفَضْلَ لِنَفْسِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي...﴾ [القصص:78].

(1) انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (18: 11014-11020)، التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: (20: 160-161).

(2) انظر: التفسير الوسيط: لطنطاوي: (10: 437).

المعلم الرابع: الكبر والخيلاء:

إنَّ قارون لم يكتفِ برفض النصيحة بقوله، بل أتبع القول بالفعل، فخرج على قومه متزيئاً مُتَجَمِّلاً، خرج على قومه خرجة مليئة كبراً وازدهاءً واستعلاءً⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ...﴾ [القصص:79].

المطلب الثاني: صاحب الجنتين في سورة الكهف:

ذكر المفسرون في حقيقة الرجلين اللذَّين ضرب الله ﷻ بهما مثلاً في سورة الكهف معنيين:⁽²⁾

الأول: إنَّ حال هذين الرجلين معروفة، فهو من قبيل تمثيل محسوس بمحسوس، واختلفوا في تعيينهما؛ فقيل: هما أخوان من بني مخزوم من أهل مكة، أحدهما مسلم، والآخر كافر، وقيل: هما أخوان من بني إسرائيل مات أبوهما، وترك لهما مالا، فاشتري أحدهما أرضاً، وجعل فيها جنتين، وتصدَّق الآخر بماله، إلى غير ذلك من الأقوال، فكان من أمرهما في الدنيا ما ذكرته سورة الكهف.

الثاني: إنَّ حال الرجلين مفروض، صوَّر الله ﷻ فيها صاحب الجنتين على هيئة لا يتخيل العقل البشري أجمل منها في مكاسب الناس الدنيوية، والتمثيل هنا نظير التمثيل في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَعْتٍ بَرِيءَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَّى أَكْهَافَ ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:265].

والأظهر أنَّ المثل لرجلين موجودين؛ دل على هذا سياق الكلام، وصناعة التراكيب، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:37]؛ حيث جاء الفعل (قال) غير مقترن بالفاء، وهذا من شأن حكاية المحاورات الواقعة، كما أنَّ الأوقع في النفس، والأظهر في أخذ العبرة والعظة، أن يكون المثل قصة معلومة.⁽³⁾

العالم الفاسدة للقيادة الاقتصادية عند صاحب الجنتين:

لقد أتى الله ﷻ صاحب الجنتين من النعيم ما تتطلع إليه النفوس البشرية، حيث أنعم عليه بالمال والجمال، فقد أعطاه جنتين بالغتي الحُسن والبهاء والجمال والإنتاج، ففيهما من أنواع

(1) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (20: 183).

(2) انظر: روح المعاني: للأوسى: (11: 248)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي: (3: 540).

(3) انظر: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور: (15: 317).

العنب، والحبوب، بالإضافة إلى أن إحاطة النخل بهما من جانب قد زادهما بهجة وجمالاً، كما منحه موارد أخرى يستثمر فيها ماله، وينميها، ولكنه مع كل هذا الفضل من الله ﷻ، نجده قد فسد وبطر وتكبر.

وأتكلم في هذا المطلب عن معالم فساده في المال الذي آتاه الله ﷻ إياه، من خلال المعالم الثلاثة التالية:

المعلم الأول: التفاخر والاستعلاء بالمال والأتباع:

انطلق صاحب الجنتين مزهوًا بنفسه، قد ملاً البطر نفسه، واستحکم الغرور والكبر على قلبه، متوجهًا إلى صاحبه الفقير بكلمات، تدل على استعلائه بماله، مستقويًا بأتباعه، وقد غفل عن شكر المنعم ﷻ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ⁽¹⁾ فَقَالَ لِيَصْحَبِيهِ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:34].

المعلم الثاني: القول على الله ﷻ بغير علم:

إن بطر صاحب الجنتين لم يقف عند الغفلة عن شكر الله ﷻ على ما أنعم عليه من ألوان النعم المتعددة، بل حمله غناه، ومكانته وجاهه، على أن يتقول على الله ﷻ بغير علم، وقد ظهر هذا في ثلاثة مواقف:

1. زعم أن النعمة، والمال، لن يزولا عنه البتة، ولن يُصيب جنتيه الهلاك، أو الفناء البتة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:35].

2. إن ما وصل إليه من الغنى، والجاه، دفعه إلى إنكار البعث، قال الله ﷻ على لسانه: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً...﴾ [الكهف:36].

3. زعم في حال قيام الساعة، أنه سيكون له من المكانة، والمنزلة أكثر مما ناله في الدنيا، قال تعالى: ﴿...وَلَكِنْ رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف:36]، وهذا نظير زعم اليهود والنصارى أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ آمَانِيُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:111].

(1) المقصود بالثمر في الآية هو امتلاكه لموارد أخرى؛ من ذهب، وفضة، وأولاد؛ لأن الولد ثمرة أبيه، وسوف

يقول لأخيه بعد قليل: أنا أكثر منك مالًا وأعز نفراً. انظر: خواطر حول القرآن الكريم: للشعراوي: (14):

المَعْلَم الثالث: إظهار النَّدَم بعد فوات الأوان:

إنَّ طُغَاةَ الْمَالِ وَالجَاهِ، تَتَمَلَّكُهُمُ الْغَفْلَةُ عَنِ الْقِيَمِ الْحَقِيقِيَّةِ لِمَا أَنْعَمَ اللهُ ﷻ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَيَغْفَلُونَ عَنِ شُكْرِ النِّعَمِ وَمِرَاقَبَةِ اللهِ ﷻ فِيهَا، وَلَا يَسْتَيْقِظُونَ مِنْ غَفْلَتِهِمْ إِلَّا بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَهَذَا مَا حَدَّثَ لِصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ؛ فَلَمَّا رَأَى هَلَاكَهُمَا، وَتَفَرَّقَ الْأَتْبَاعَ عَنْهُ؛ الَّذِينَ طَغَى بِهِمْ، نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي حَقِّ اللهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُفَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:42].

فائدة:

إنَّ طَغْيَانَ الْحَيَاةِ الْمَادِيَّةِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَسَعْيِهِ لِتَحْقِيقِ اللَّذَّةِ الْفَانِيَّةِ، وَإِشْبَاعِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، يَدْفَعُهُ إِلَى اعْتِقَادِ أُمُورٍ يَرْفُضُهَا الدِّينُ؛ مِنْهَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ⁽¹⁾:

الأول: إنكار الغيبيات، والحياة الآخرة، والعقاب والحساب.

الثاني: إن اضطراب ميزان العقل السليم، واختلال التفكير المنطقي يدفع المترفين إلى الظن بأن مناصبهم الدنيوية، ومكانتهم المرموقة، التي يُعاملهم بها أهل الدنيا، ستظل محفوظة لهم في الدار الآخرة.

الثالث: حصر النِّعَمِ فِي مِلَازِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، وَأَنَّهَا سَبَبُ لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ وَهَنَائِهِ.

(1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي: لمصطفى مسلم: 238.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بعد الجولة المضنية الممتعة التي قضيتها مع البحث، وفي صياغة أفكاره، ونظم ألفاظه، أخرج في نهايته بأهم النتائج، والتوصيات، وهي كالتالي:
أولاً: أهم النتائج: وتتلخص في أربع عشرة نتيجة:

1. إنَّ القرآن الكريم مليء بالمعاني القيادية الراشدة، وفنونها المتعددة، في جميع المجالات القيادية، والتي غفل عنها قادة المسلمين، ومسؤولوهم.
2. إنَّ مفهوم القيادة لا يختص بالولاية العامة في الدولة، أو قادة الجند والجيوش، بل إنَّه يمس كل فرد من أفراد الأمة؛ حيث نُصبح مظهرًا لكل موقف قيادي، سواء أكان جماعياً، أم فردياً.
3. إنَّ الحرص على إيجاد القائد الراشد واجبٌ شرعي، يجب على الأمة السعي من أجل تنصيبه؛ لأنَّه به يتحقق الأمن، ويُحكَّم الشرع، وتُقام شعائر الإسلام، كما يحب ربنا ويرضى.
4. يجب على القيادة أن تقوم بواجباتها قبل أن تسأل الناس عن حقوقها.
5. إنَّ القيادة الراشدة يجب أن تتحقق فيها سمات عقديّة، وخلقية، وشخصية، وإدارية؛ حتى تستطيع النهوض بتبعات القيادة الثقيلة.
6. إنَّ العدل هو الأساس الذي يجب على القيادة الراشدة التمسك به في جميع أحوالها، بغضّ النظر عن طبيعة المتعاملين معها.
7. إنَّ أهل الفسق والفجور على ملة واحدة من لدن آدم ﷺ حتى يومنا الحاضر، يقفون في وجه الإصلاح والمصلحين، على مرّ الأماكن والسنين.
8. يجب على القيادة إن قصرت في أداء الواجبات المنوطة بها، أن تتخلّى عن قيادة الأمة، وأن تتركه للقادرين على أداء الأمانة.
9. إنَّ القائد الراشد يسعى دائماً إلى تطوير ذاته، والارتقاء بقدرات رعيته، ومواهبهم.
10. إنَّ القيادات الفاسدة تضطرب عندهم المفاهيم، وتختل الموازين، وتختفي الحقائق، ويضيق الأفق.
11. إنَّ أيّ قيادة في الدنيا تحتاج إلى من يُعينها؛ لتحقيق الأهداف التي تسعى لها، والوصول إلى النجاحات التي تصبو إليها.
12. إنَّ السمات القيادية التي يتمتع بها القائد على صنفين؛ سمات جبيلية فطرية، وسمات مكتسبة؛ تنتج عن المثابرة في البحث عن الأفضل، وتطوير الذات.

13. إنَّ القيادة الراشدة لا تجد عيبًا، أو نقصًا، يحقُّ بها عند استعانتها بطاقات أفراد الرعية، ومواهبهم، وأفكارهم، وآرائهم، بل تُعدُّ ذلك من أهمِّ الواجبات المُلقاة على كاهلها، كما لا تجد ضيرًا في الرجوع إلى الحق، والاعتراف بالخطأ؛ لأنَّ الأمور لا تتعلَّق بشخصها، بل هي متعلِّقة بمصير أمة، وحياة شعب.

14. إنَّ القيادة الراشدة لا تنبهر بالمناصب، ولا تُعميها النجاحات، ولا تعتدُّ بذكائها وفطنتها؛ بل تُرجع كل ما يتحقق على يديها من الأهداف، والمنجزات إلى توفيق الله ﷻ، وعونه لها، وتسديده لآرائها وأفكارها.

ثانيًا: أهم التوصيات:

1. أوصي قياداتنا أن يتدبروا المعاني القيادية الراشدة في القرآن الكريم والتي غطت مجالات الحياة كافة، ويؤمنوا النظر فيها، ويأخذوا بتوجيهات القرآن الكريم، وهو خير لهم من أن يَسْتَجِدُّوا من الكفار علمًا، أو فكرًا، لا يتناسب وعقيدتنا الصحيحة.
2. يجب على أفراد الأمة أن يقوموا بدورهم القيادي؛ من أجل رفعة هذا الدِّين، والحفاظ على أرضنا ومقدساتنا، والمشاركة الفاعلة في بناء الوطن، يدًا بيد مع القيادة.
3. أوصي قياداتنا بالعمل على تطوير قدرات أفراد الرعية، وتعليمهم، وتدريبهم؛ لتوجد منهم قادة قادرين على قيادة الركب في أيِّ وقت يطلب منهم ذلك.
4. يجب على القيادة الراشدة التجاوب مع ما تطرحه الرعية من أفكار، وآراء، ومطالب، وأن تعاملهم بموضوعية، وتقدير، واحترام، وتشجيع؛ لتصنع منهم جيلًا منتجًا مبدعًا، قادرًا على مواجهة الصعوبات والتحديات.
5. أوصي بإجراء دراسات مقارنة بين الطرح القرآني لمعاني القيادة الراشدة، وبين الأطروحات الوضعية لجوانب القيادة الناجحة؛ لاكتشاف الفرق الشاسع بين الطرحين، والمؤدي بدوره إلى إظهار وجه إعجاز القرآن الكريم بالأدلة والبراهين.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية:

سورة البقرة			
م	الآية	الرقم	الصفحة
1	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ	11	121
2	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ	12	121
3	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِكُنُوفِهِمْ	14	64
4	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا	26	124
5	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ	27	124
6	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ	44	47
7	الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ لَا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ	79	217
8	وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ	89	215
9	وَاتَّبِعُوا مَا تَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَانِ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ	102	220 ، 219
10	وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا	111	234 ، 216
11	وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ	124	6
12	سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ	142	28
13	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ	143	28
13	قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا	144	28
14	الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ	146	215
15	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ	166	126
16	وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا	167	126
17	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ	170	211
18	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَىٰ الْمَكْرَمِ	188	80 ، 41
19	وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ	193	96 ، 36
20	وَتَكَرَّوْا فِآبَ حَيْرِ الزَّادِ الْفَقْوَىٰ وَأَنْعَمُونَ بِتَأْوِيلِ	197	56

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
21	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ	204	64، 120
22	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ	205	64، 121
23	وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ	206	121
24	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى	238	24
25	فَإِن خِفْتُمْ فِرْجَالَ أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ	239	24
26	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ	246	22
27	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا	247	89، 172، 173
28	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ	248	173
29	فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ	249	86، 174
30	وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا	250	56، 78، 222
31	فَهَرَّ مُوْهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ	251	136
32	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ	258	100، 197، 198
33	وَمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ	265	233
34	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ	269	68
35	ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ	285	54
سورة آل عمران			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
36	إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا	19	214
37	فَإِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ اللَّهَ وَبِهِ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ	20	197
38	لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ	28	67
39	قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ	31	27
40	فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا	37	113
41	إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	51	54
42	قَالَ الْخَوَارِجِيُّونَ نَحْنُ أَفْصَحُ اللَّهُ أَمَانًا بِاللَّهِ	52	54، 90، 105

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
43	رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَاكَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ	53	54
44	هَٰئِذَا نُمُّ هَٰؤُلَاءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ	66	198
45	وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ	75	216
46	بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ	76	31
47	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُتُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ	78	215
48	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	104	26
49	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ	105	26
50	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	110	46، 25
51	لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ	113	214
52	يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	114	214
53	يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ	118	104، 67
54	وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ	121	177
55	إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ	124	29
56	بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَٰذَا	125	29
57	وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	132	27
58	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ	134	75
59	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	139	86، 59
60	إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجَاءٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَجَاءٌ مِثْلَهُ	140	59
61	وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا	146	46
62	وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا	147	46
63	فَعَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ	148	46
64	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَطْرًا غَلِيظَ الْقَلْبِ	159	101، 96، 84، 37 178، 177، 176
65	وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ	161	41

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
66	وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنصَلِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	167	224
67	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ	173	57
68	فَأَنقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ	174	57
69	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ	181	216
70	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا	200	78
سورة النساء			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
71	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ مُزَكِّي مِّنْ نِّسَاءِ	49	216
72	أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا	50	216
73	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ	51	217، 66
74	فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا	54	68
75	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا إِلَىٰ أَهْلِهَا	58	65، 61، 44، 42، 35
76	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ	59	65، 44، 26
77	أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ	63	89
78	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ	65	27
79	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حُذُوا حَذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثَبَاتٍ	71	92
80	وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا	79	27
81	مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ	80	27
82	وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ	81	64
83	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ	83	109
84	وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ	102	92
84	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ	105	35
86	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ	135	43
87	الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ	139	122
88	لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ	148	82

سورة المائدة			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
89	يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ	8	62، 43
90	فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ	13	215، 84
91	وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ	14	215
92	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ	18	216
93	يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ	21	30
94	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي	33	96
95	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	48	35
96	وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ	49	35
97	فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْخَرُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ	52	224، 212، 122، 67
98	يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ	54	72
99	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ	55	60
100	وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ	56	60
101	وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْخَرُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْبَاهُمُ الشُّحْتُ	62	218
102	لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا	63	218
103	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا لَمَّا قَالُوا	64	216
104	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ	78	218، 26
105	كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا	79	218، 26
106	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ	104	211
سورة الأنعام			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
107	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدِيَةً	90	6
108	وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا	108	82
109	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا	123	124

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
110	وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ	152	61، 71
سورة الأعراف			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
111	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	59	124، 154
112	قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	60	124
113	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ	75	117، 228
114	قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ	76	117، 228
115	فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ	77	117
116	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا	85	192، 193
117	وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ	86	193
118	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ	88	117
119	قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ	89	192
120	فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ	91	192
121	وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ	102	70
122	قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ	123	201
123	لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْبِلَنَّكُمْ	124	202
124	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا	127	202، 206
125	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ	134	152
126	يَمْسُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ	138	20، 206
127	وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي	142	19، 20، 97، 104، 111
128	سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ	146	118
129	وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَيْنَ أَيْفًا	150	19، 20، 207
130	فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ	157	45
131	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ	165	26

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
132	وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ :	170	90
133	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	199	114، 83، 75
سورة الأنفال			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
134	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا	27	67
135	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	30	229، 77
136	وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ	32	120
137	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	36	226
138	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا أَنْفُسَكُمْ وَتَدَّبُّوا بِرِجَالِكُمْ	46	41
139	وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ	48	126
140	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	55	125
141	الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ	56	125
142	فَمَا تَتَّقِفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ	57	69
143	وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْتَهِدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ	58	71
144	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَابِ الْخَيْلِ	60	42
سورة التوبة			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
145	وَإِنْ كُنْتُمْ آمِنْتُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ	12	36، 7
146	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ	20	46
147	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ	29	217
148	أَتَخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَبَاءَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ	31	218
149	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ	33	36
150	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ	34	218
151	إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ	40	56، 45
152	قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا	51	59

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
153	وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ	61	107، 38
154	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ	103	25
155	يَبْتَئِنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ	119	63
156	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ	128	176، 175
سورة يونس			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
157	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ	14	9
158	قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ	35	73، 62
159	وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ	37	210
160	آيَاتِ أُولِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	62	60
161	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ	63	60
162	قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا	78	203
سورة هود			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
163	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِينَ	13	210
164	فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ	14	210
165	فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِنَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا	27	47
166	وَالَّذِينَ عَادُوا لَهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ	50	154
167	وَذَلِكَ عَادٌ جَعَلُوا بَنَاتِنَ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ	59	119
168	قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا	62	211
169	قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ	87	211
170	وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	88	56

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
171	فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ	97	6
172	يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ	98	6
سورة يوسف			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
173	قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْضُ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا	5	99
174	قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا	17	123
175	وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ	18	180، 78
176	وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ	21	9
177	وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ	42	189
178	قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْظِرًا وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ	44	102
179	وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِظَمُ بِتَأْوِيلِهِ	45	103
180	يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ	46	188، 103
181	قَالَ نَزَرَ عَوْنٌ سَبْعِ سَبِينِ دَابَّاهَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا	47	190
182	ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ	49	190
183	وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ	50	189
184	قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ لِلَّهِ	51	94
185	ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَالِبِينَ	52	94
186	وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذَا اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي	54	103، 10
187	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ	55	190، 172، 110، 10
188	وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ	56	10
189	وَجَاءَ إِخْوَتُهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ	58	191
190	وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ	59	191
191	فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهَذَا فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِي	60	191
192	قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ	64	181

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
193	قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَأُنْتَبِي بِهِ	66	181
194	وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ	67	181
195	وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا	69	97
196	فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ثُمَّ	70	97
197	قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ	71	97
198	قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا	72	108، 97
199	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا	73	97
200	قَالُوا فَمَا جَزَاءُكُمْ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ	74	97
201	قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رِحْلِهِ فهُوَ جَزَاءُ كَذَلِكَ نَجْزِي	75	97
202	فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ	76	156، 97
203	قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا	78	107
204	قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا	79	107
205	قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ أَفْصَحَ جَمِيلٌ	83	182، 180، 78
206	يَبْنَئِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ	87	93
207	فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا	88	107
208	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلِيمًا وَإِنْ كُنَّا	91	94، 91، 73
209	قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يُعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ	92	91، 73
210	قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ	97	114، 94
211	قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	98	114
212	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي	108	109، 47
سورة إبراهيم			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
213	وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ	15	119
214	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ	37	55

سورة الحجر			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
215	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ	6	209
216	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ	75	98
217	فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	94	208
سورة النحل			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
218	قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ	26	176
219	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ	36	154
220	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَشَتَلُوا أَهْلَ	43	102، 70
221	وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ	61	74
222	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ	90	61
223	وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ	103	209
224	إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	105	122
225	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	125	84، 47، 35
226	وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ	126	70، 69
سورة الإسراء			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
227	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ	36	70
228	نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ	47	208
سورة الكهف			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
229	فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِدِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا	6	68
230	إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ	7	79
231	وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا	8	79
232	إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنكَ رَحْمَةً	10	184، 183

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
233	تَحْنُ نَفْسُ عَلِيكَ نَبَاهُم بِالْحَقِّ إِنَّمِمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ	13	183
234	وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ	14	184، 183، 86
235	هَتُوْلَاءِ قَوْمَنَا اَنخَدُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ لَوْلَا يَأْتُونَ	15	184
236	وَإِذْ اَعْتَرَزْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ اِلَّا اَللَّهُ فَاَوُوا اِلَى الْكَهْفِ	16	184
237	وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوْا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ	19	186، 185
238	وَكَذَلِكَ اَعْتَرَزْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوْا اَنْتَ وَعَدَّ اَللَّهُ حَقًّا	21	182
239	وَلَا نَقُولَنَّ لِشَاىِٕءٍ اِنِّىْ فَاعِلٌ ذٰلِكَ عَدَا	23	173
240	وَاَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْوَعْدِى	28	97، 77
241	وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ اَنَا اَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا	34	234
242	وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا اُظُنُّ اَنْ يَّيْتِدَ هٰذِهِ	35	234
243	وَمَا اُظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً	36	234
244	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ اَكَفَرْتَ بِالَّذِيْ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ	37	233
245	وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَقْلِبُ كَفْيَهُ عَلَى مَا اَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ	42	235
246	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ اَبْرَحُ حَتَّىٰ اَتَّبِعَ مَجْمَعَ	60	169، 87
247	فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ	61	169
248	قَالَ اَرَأَيْتَ اِذْ اَوْتَيْنَا اِلَى الصَّخْرَةِ فَاِنِّيْ نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا اَنْسَيْنِيْهُ	63	77
249	قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَاَرْتَدَّا عَلٰى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا	64	169، 77
250	قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ اَتَّبِعَكَ عَلٰى اَنْ تَعْلَمَ اَنْ مِمَّا عَلَّمْتَنِيْ رُشْدًا	66	170، 164
251	قَالَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا	67	166، 164
252	وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلٰى مَا لَنَا تُحِطُ بِهٖ خُبْرًا	68	166، 164
253	قَالَ فَاِنْ اَتَّبَعْتَنِيْ فَلَا تَسْأَلْنِيْ عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ اُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا	70	166، 165، 86
254	فَانطَلَقَا حَتَّىٰ اِذَا رَكِبَا فِي السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا قَالَ اٰخَرَقْنَاهَا لِتُغْرِقَ	71	165
255	قَالَ اَلَمْ اَقُلْ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا	72	166
256	قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِيْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِيْ مِنْ اَمْرِىْ عُسْرًا	73	165

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
257	فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَالَتْ: قَالَ أَقْنَتِ نَفْسَا زُرِّيَةً بَغَيْرِ	74	165
258	قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	75	166
259	قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْرِحْ ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي	76	167، 165
260	فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَحَدَهُمَا قَرْيَةً اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَا	77	93
261	قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۖ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا وُودِيَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ	78	167، 86
262	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ	79	167
263	وَأَمَّا الْكُلْبُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرُوهُمَا طُغْيَانًا	80	167
264	فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا تَرْحُمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا	81	167
265	وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ	82	168، 166
266	إِنَّا مَكَّانًا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَءَانِئْتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا	84	134، 10
267	فَأَنْعَمَ سَبَبًا	85	10
268	حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ	86	131، 108
269	قَالَ أَمَا مِنْ ظُلْمٍ فَسَوْفَ نَعْدِبُكَ ۖ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُّكْرًا	87	132، 108
270	وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا	88	132، 108
271	حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ	90	131
272	حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ	93	131، 40
273	قَالُوا يَا نَذِيرِ الْفَرِّقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ	94	132، 105، 40
274	قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا	95	132، 105، 40، 135، 134
275	ءَاتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا	96	134، 133، 105، 135
276	فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا	97	136
277	قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي	98	135، 134
278	وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا	99	134

سورة مريم			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
279	يَبْحَثُ خِذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا	12	7
280	وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	41	69، 65
281	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي	42	69
282	يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلِيِّ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ	43	69
283	يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا	44	69
284	يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ	45	69
285	وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا	54	65
286	وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا	56	65
سورة طه			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
287	وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي	27	88
288	بِفَقَّهَاتِ أَلْسِنِي	28	88
289	وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي	29	104، 18
290	هَؤُلَاءِ أَعْمَى	30	104، 18
291	أَشَدُّ بِهِمْ أَزْرِي	31	104، 18
292	وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي	32	104، 18
293	إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ	38	165
294	أَنْ أَقْدِمِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِمِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ	39	165
295	أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ	43	47
296	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ	44	47
297	وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ	56	87
298	قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ	57	203، 123، 87
299	فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ	58	123، 87
300	قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ	59	87

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
301	فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ	88	207
302	... يَتَّقُونَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ	90	21
303	لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ	91	21
304	قَالَ يَهُودُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا	92	20
305	أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي	93	20
306	قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي	94	207، 22، 19
307	قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعِي	95	206
308	قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ	96	206
309	وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا	114	168
310	وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَٰدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا	115	71
311	فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّبِعُكَ هَلْ أَدُلُّكَ	120	95
312	فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا	121	95
313	وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	131	79
سورة الأنبياء			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
314	فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	7	102
315	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ	51	88
316	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ	52	88
317	قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ	53	88
318	قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	54	88
319	قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ	55	88
320	قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ	56	88
321	وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ	57	88
322	فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ	58	88

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
323	قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا ابْنِ آدَمَ	62	98
324	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا	63	98
325	فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ	64	98
326	ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ	65	98
327	قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا	66	98
328	أَفِ لَكُمْ وِلْمَاتٌ لِّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	67	98
329	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ	68	99
330	وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ	78	140، 137
331	فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَآءَآئِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا	79	7، 137، 140، 146
332	وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِن بَأْسِكُمْ	80	138
333	حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ	96	135، 134
334	وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ	97	135، 134
335	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ	105	23
336	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	107	176
سورة الحج			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
337	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ	40	34
338	الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ	41	65، 34، 24
339	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ	78	28، 27
سورة النور			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
340	وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ	22	75
341	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	55	23
342	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	56	24

سورة الفرقان			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
343	وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ	7	74
344	أَوْ يُلقَى إِلَهُ كَذِبًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا	8	74
345	أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ	9	74
346	وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نُنزَلُ	21	118
347	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا	63	74، 73، 71، 69
348	وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا	72	82
سورة الشعراء			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
349	قَالَ أَلَمْ نُنزِلْكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِيْنَا مِنْ عَشْرِكَ سِنِينَ	18	113
350	وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ فَأَلَّتْ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ	19	113
351	قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَآنَا مِنَ الضَّالِّينَ	20	113
352	فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنْ	21	113
353	قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ	25	203
354	قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ	26	203
355	قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ	27	203
356	قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ	28	203
357	قَالَ لَئِنْ أَخَذْتَهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ	29	203
358	قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِئْسَ مُمْبِرٌ	30	203
359	قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	31	203
360	قَالَ لَقَدْ عَصَاهُ فَإِنَّا هِيَ ثَمْبَانٌ مُبِينٌ	32	203
361	وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ	33	203
362	قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	34	203
363	يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَاتَا مُرُورٍ	35	203

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
364	فَلَمَّا تَرَىءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ	61	55
365	قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ	62	55
366	فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ	63	55
367	رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ	83	95
368	كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ	176	192
369	إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ	177	192
370	وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ	182	193، 72
371	وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	183	194، 72، 61
372	فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	189	192
373	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	214	208
374	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	215	72
سورة النمل			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
375	وَجَاهِدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ	14	200، 199
376	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا	15	137
377	فَنَبَّسَرَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ	19	145
378	وَتَقْفِدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ	20	141
379	الْعَذِيبَةِ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِيبَنَّه أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ	21	142، 39
380	فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ	22	143، 106، 39
381	إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا	23	106، 39
382	وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ	24	106، 39
383	الْأَلْسِنَةُ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	25	106، 39
384	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	26	106، 39
385	قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ	27	143، 39
386	أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا	28	144

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
387	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَيُّهَا أَلْفَىٰ إِلَيَّ كَيْتُ كَرِيمٍ	29	149
388	إِنَّهُم مِّن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	30	148
389	أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ	31	148
390	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَيُّهَا أَمْرِي فِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَشَىٰ	32	149، 105
391	قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوٓأَيُّهَا قُوَّةٌ وَأَوْلُوا بِأَبِيسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّيْكَ فَانظُرِي مَاذَا	33	151، 150، 105
392	قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ	34	150
393	وَلِيٍّ مَّرْسَلَةً إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَظِرُّهُ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ	35	151، 150
394	فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا	36	151، 147
395	أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا آذِلَّةً	37	151، 147، 146
396	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَيُّهَا أَيُّكُمْ يَا أَيُّهَا بَعْرُشُهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ	38	110، 105، 103، 41، 145
397	قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ	39	145، 110، 103، 41، 173
398	قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ	40	145، 110، 103، 41، 146
399	قَالَ تَكْرُوهَا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ	41	146
400	فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِن	42	151، 146
401	قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا	44	152، 146، 42
402	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا	48	228
403	قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا رَبَّنَا لِنُبَيِّنَهُ وَأَهْلَهُ نُعَلِّمُهُمْ لِنَقُولَنَّ لَوْلِيَهُ مَا شَهِدْنَا	49	228
404	وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	50	228
405	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ	51	228
406	فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً	52	43
407	وَأُنجِبْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا بِمَقُومٍ	53	43
408	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا آلَ لُوطٍ مِّن	56	117

سورة القصص			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
409	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّهُ	4	200، 201
410	وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ	5	6، 24
411	وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا	6	24
412	وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّبِيهِ	7	55
413	وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ	15	95، 166
414	قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ	16	95
415	فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ	19	166
416	وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ	20	39، 96، 159
417	فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	21	39، 96
418	وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَقْبُونَ	23	91
419	فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ	24	91، 166
420	قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ اسْتَجِرَةٌ بِكِ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجْرَتِ	26	85، 172
421	قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ	27	39
422	فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ	29	39
423	وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا	34	88
424	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ	38	203
425	وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ	39	200
426	وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ	41	7
427	وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ	55	69، 75، 83
428	وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْمَدْيَنِ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنَ الْأَرْضِ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ	57	212
429	إِنَّ قُرُونَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبِعَنِّي عَلَيْهِمْ وَأَيْنَانَهُ مِنْ	76	231، 232

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
430	وَأَتَّبِعْ فِي مَآءَاتِنِكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِكْ نَصِيبَكَ	77	232
431	قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ^ع أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن	78	232، 73
432	فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ^ط قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ	79	233، 73
سورة الروم			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
433	وَعَدَّ اللَّهُ ^ط لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	6	23
سورة لقمان			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
434	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ	6	118
435	وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَنَرِيسْمَعَهَا كَأَنَّ	7	118
436	وَلَقَدْ ءَايَتْنَا لَقَمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ^ع وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا	12	د، 68
437	وَلِذَٰلِكَ لَقَمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يُعْطِيهِ، يَتَّبِعِ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ^ط	13	14
438	وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ	14	18
439	يَتَّبِعِ إِنَّهَا إِنْ تَكُ وَثِقَالًا حَبَّةٌ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ	16	14
440	يَتَّبِعِ أَقْبَرِ الصَّخْرَةِ ...	17	15
441	وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ..	18	73، 16
442	وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ...	19	17
443	قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ^ع	21	211
سورة السجدة			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
444	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا	24	76
سورة الأحزاب			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
445	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ	22	57

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
446	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن	23	85
447	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ	36	58
448	فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَعْتِبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ	53	96
سورة سبأ			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
449	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أُولَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ	10	138
450	أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا	11	138
451	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ	12	147
452	يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ	13	147
453	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ	14	147 ، 140
454	وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ	33	119
455	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ	34	124
456	وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ	35	124
سورة فاطر			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
457	وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ	42	118
458	اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا	43	118
سورة يس			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
459	وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا	20	159
460	اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ	21	160
461	وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	22	160
462	أَتَأْتِخُدُّ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ	23	160
463	إِيَّتِي أَمْنَتْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ	25	160

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
464	قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ	26	160
465	يَمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ	27	160
466	وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ	69	209
سورة الصافات			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
467	فَأَمَّا بَلَعٌ مَعَهُ السَّعَىٰ فَكَأَلٍ يَبُقَىٰ لِإِثْمِ أَبِيهِ فِي الْمَنَامِ أَيُّهُ	102	58
468	فَلَمَّا أَتَمَّ وَتَلَّهِ لِلجَّيْبِينَ	103	59 ، 58
469	وَوَدَّيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعُنِي بِرِجْلَيْهِ	104	59 ، 58
470	فَدَصَّقَتْ الرُّبِيَّ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ	105	59 ، 58
471	إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتُؤُا الْمَيْيُ	106	59
472	وَقَدَّيْتُهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ	107	59
473	وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ	108	59
474	سَلَّمَ عَلَيَّ إِزْرَاهِيمَ	109	59
475	كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ	110	59
476	إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ	111	59
سورة ص			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
477	وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ	6	211
478	مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ	7	211
479	أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ	17	139 ، 138
480	وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ	20	68
481	وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُا الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ	21	139
482	إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا	22	139

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
483	إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَوَيْ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا	23	139
484	قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَىٰ نَجْمِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِقِ	24	139
485	فَغَفَرْنَا لَهُ ۗ ذَلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ	25	139
486	يَنْدَاوِدُ إِنَّآ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ	26	139، 113، 111، 8
487	وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ	30	148
488	قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ	35	95
سورة غافر			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
489	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ	23	105
490	إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَفَرَّوَتْ فَقَالُوا أَسْحَرُ كَذَّابٌ	24	105
491	فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ	25	203، 105
492	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ	26	203، 155
493	وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ	28	157، 156، 155، 45
494	يَقُومُ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا	29	204، 158، 157
495	وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُورُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ	30	157
496	وَيَنْقُورُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ	32	158
497	يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا	33	158
498	وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا	34	158
499	الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنتَهُمْ	35	118
500	وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُورُ أَنْتُمْ عَمِلْتُمْ سَبِيلَ	38	158
501	فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ	44	159، 57
502	فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَخَافَ يُنَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ	45	124، 58
503	النَّارِ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا	46	124
504	إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ	56	119

سورة فصلت			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
505	فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا	15	118
506	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا	34	75
سورة الشورى			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
507	سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَّصَىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	13	70
508	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ	15	43
509	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ	38	101، 37
510	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ	52	35
511	صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ	53	35
سورة الزخرف			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
512	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا	23	211، 6
513	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ	31	118
514	وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ	51	202، 200
515	أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ	52	202، 200
516	فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِمْ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ	53	202
517	فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ	54	202
سورة محمد			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
518	وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ	30	98
519	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا	33	27
سورة الفتح			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
520	شُحَّادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِجَالٌ بَيْنَهُمْ	29	105

سورة الحجرات			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
521	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنْقُوا اللَّهَ	1	72 ، 47
422	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا	6	109 ، 82
523	وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؕ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ	7	27
524	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	9	108 ، 46
525	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ؕ وَأَنْقُوا اللَّهَ	10	108
526	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا	11	81
527	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ	12	81 ، 80
528	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	13	172 ، 81
سورة ق			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
529	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ	37	98
530	فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ	39	77
سورة الذاريات			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
531	كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْهُ أَوْ جَحْنُونٌ	52	119
532	أَتَوَّصَوْنَ بِهِ ؕ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ	53	119
سورة الطور			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
533	فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ	29	209
534	أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتِيبُ بِهِ رِيبَ الْمَنُونِ	30	119
535	أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ ؕ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ	33	210
536	أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ ؕ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ	34	210

سورة النجم			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
537	فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى	32	72
سورة المجادلة			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
538	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ	1	39
سورة الحشر			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
539	وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ	7	26
540	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ	11	125
541	لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ	12	125
سورة الصف			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
542	يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ	2	63، 47
543	كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ	3	63، 47
544	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ	4	41
سورة المنافقون			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
545	سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ	6	225
546	يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا	8	225
547	وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ	10	92

سورة التحريم			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
548	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ	6	220
سورة القلم			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
549	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	4	175 ، 60
550	وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ	10	81
551	هَمَزٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ	11	82 ، 81
سورة الحاقة			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
552	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ	41	209
553	وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ	42	209
سورة نوح			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
554	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا	5	111
555	فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا	6	111
556	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ	7	111
557	ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا	8	111
558	ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا	9	111
559	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا	10	111
560	يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا	11	111
561	وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيُجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا	12	111
562	مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا	13	111
563	وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا	14	111

م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
564	أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا	15	111
565	وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا	16	111
566	وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا	17	111
567	ثُمَّ يُبْدِئُكُمْ فِيهَا وَمُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا	18	111
568	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا	19	111
569	لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا	20	111
سورة المدثر			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
570	كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عِنِيدًا	16	119
571	إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ	18	208
572	فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ	19	208
573	ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ	20	208
574	ثُمَّ نَظَرَ	21	208
575	ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ	22	208
576	ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ	23	208
577	فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ	24	208
578	إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ	25	208
سورة المطففين			
م	طرف الآية	الرقم	الصفحة
579	وَتِلْ لِلْمُطْفِفِينَ	1	62
580	الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ	2	62
581	وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ	3	62

ثانياً: فهرس الأحاديث:

م	طرف الحديث	الصفحة
1	إِذَا ضِيَعَتِ الْأَمَانَةُ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ.....	66
2	إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمُّرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ	و
3	أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا.....	120
4	ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ.....	79
5	أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل،.....	22
6	إِنَّ الله اصطفى كِنَانَةَ من وُلْدِ إِسْمَاعِيلِ،.....	175
7	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ.	163
8	إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّاسِ مِنَ الْجَسَدِ.....	91
9	إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَدِدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةً ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ	103
10	أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ،.....	168
11	إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ.	80
12	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.	60
13	الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .	59
14	دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا فَقَالَ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا؛ أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ	45
15	دَعَا، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ	225
16	دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ	225
17	الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ ﷻ، وَلِكِتَابِهِ	157، 46
18	ارْجِعْ، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكِ	178
19	سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُتَكْرَمُ بِهَا،.....	33
20	سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،.....	37
21	العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ	24
22	فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ.	188
23	الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ...	188
24	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ.	94
25	كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ.....	33
26	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ.	117
27	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ،.	138

الصفحة	طرف الحديث	م
106	مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَّالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ	28
178	مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبِسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا	29
66	مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَفِيهِمْ مَنْ....	30
83	مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ....	31
85	الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا....	32
85	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ	33
163	وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا.	34
84	يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا.	35

ثالثاً: فهرس الأعلام:

الصفحة	العَلَم	م
131	أبو الريحان البيروني	1
64	الأخنس بن شريق	2
79	أيوب السختياني	3
176	ثمامة	4
63	الحارث المحاسبي	5
69	سابور بن هرمز	6
64	محمد بن السائب الكلبى	7
76	مسطح بن أثانة	8
175	واتلة بن الأسقع	9
77	يوشع بن نون	10

رابعاً: فهرس المراجع

أولاً: الكتب:

1. الإبداع العلمي (دراسة تأصيلية؛ تكشف أسس التفوق في مجال العلم، ومقوماته، ووسائل تحصيله): للدكتور أحمد بن علي القرني، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1428هـ.
2. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: للحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تقديم: الدكتور أحمد معبد، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (1420هـ-1999م).
3. إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية (1409هـ-1989م).
4. الإحسان؛ حقيقته، فضله، طريقه: لعبد المحسن بن حمد العباد البدر.
5. الأحكام السلطانية، والولايات الدينية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة - الكويت، الطبعة الأولى (1409هـ-1989م).
6. أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله الأندلسي، المعروف بابن العربي، راجع أصوله، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
7. إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة - بيروت، دار الشعب - القاهرة.
8. أخبار الفضاة: للإمام المحدث القاضي أبي بكر محمد بن خلف بن حيّان بن صدقة الضبيّ البغدادي، الملقّب بـ "وكيع" (ت: 306هـ)، صححه، وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى (1366هـ-1947م).
9. الأخلاق الإسلامية وأسسها: لعبد الرحمن حسن حبيّك الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى (1407هـ).
10. أخلاق المؤمن: عمرو خالد، دار المعرفة بيروت، لبنان، (1423هـ - 2002م).
11. الأخلاق بين الطبع والتطبع: لفیصل بن عبده قائد الحاشديّ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية، بدون طبعة.

12. الإدارة الإسلامية (المنهج والممارسة): للدكتور حزام المطيري، الطبعة الأولى (1417هـ).
13. إدارة الأولويات (الأهم أولاً): لستيفن كوفي، أ. روجر ميريل، ربيكا ميريل، ترجمة: الدكتور السيد المتولي حسن، مكتبة جرير، الطبعة الثامنة (2010م).
14. أدب الحوار وقواعد الاختلاف: للدكتور عمر بن عبد الله كامل.
15. أدب الدنيا والدين: للماوردي: شرح وتعليق: محمد كريم، الطبعة الرابعة (1405هـ - 1985م).
16. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار: للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تقديم: الشيخ أسامة الخاني، حققه وأثبت حواشيه: محمد ناجي العمر، راجعه وأشرف عليه: على عبد الحميد بلطه جي، مكتبة المنارة - الزرقاء - الأردن، 1990م.
17. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لقاضي القضاة محمد بن محمد العمادي أبي السعود (ت: 982)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
18. أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (468هـ)، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية (1412هـ - 1992م).
19. الاستقامة: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1403هـ.
20. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي النّمري (463هـ)، صححه، وخرّج أحاديثه: عادل مُرشد، دار الأعلام - عمّان - الأردن، الطبعة الأولى: (1423هـ - 2002م).
21. أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الجزري (555هـ - 630هـ).
22. أسلوب القرآن الكريم في تحفيز الجندي المسلم لمواجهة الأعداء: إعداد الدكتور صالح يحيى صواب، بحث مقدم لجائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين.
23. الإصابة في تمييز الصحابة: لشيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي (773هـ - 853هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
24. أصول الإدارة العامة: للدكتور أنور أحمد أرسلان.
25. أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان، الطبعة الثالثة (1395هـ - 1975م).

26. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي: (ت: 1393 هـ)، دار الفكر للطباعة، والنشر، والتوزيع - بيروت - لبنان، (1415 هـ - 1995).
27. أضواء على طريق النجاة: للدكتور عدنان رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1415 هـ - 1995 م).
28. الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات (دراسة قرآنية واقعية) بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-3/4/2007م إعداد: د. محمود هاشم عنبر أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن - كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية أبريل/ 2007.
29. إعراب القرآن الكريم وبيانه: لمحيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، الطبعة الرابعة (1415 هـ).
30. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى : 1396 هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة (2002 م).
31. الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: للأثير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله بن جعفر، المشهور بابن ماکولا، دار الكتاب الاسلامي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة.
32. الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل: لمجير الدين الحنبلي العلمي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس - عمان، (1420 هـ - 1999 م).
33. البحر المديد: لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الثانية (1423 هـ - 2002 م).
34. البدء والتاريخ: لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، وهو المهّر بن طاهر المقدسي (ت: 507 هـ)، مكتبة الأسد - طهران، 1962 م.
35. البداية والنهاية للإمام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ. حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة، الطبعة الاولى (1408 هـ - 1988 م).

36. البيان الزاهر إلى فرسان المنابر: لعبد الرحمن الأحمد، تقديم وتقريظ: فضيلة الشيخ عبد الله الإسماعيل، مركز السعيد - سوريا، الطبعة الثانية: 2006م.
37. بيان المعاني (تفسير القرآن علي حسب ترتيب النزول): للشيخ العلامة عبد القادر ملاحويش آل غازي الفراتي الديرزوري، الناشر: مطبعة الترقى - دمشق، 1382هـ.
38. تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، المُلقَّب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
39. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعرف-مصر.
40. تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار صادر، بيروت - لبنان.
41. تاريخ مدينة السلام، وأخبارها، ومحدثيها، وذكر فُطَّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، المعروف بتاريخ بغداد: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (392-463هـ)، تحقيق، وضبط، وتعليق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (1422هـ-2001م).
42. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها، للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بابن عساكر (499 - 571 هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1419هـ - 1998م).
43. تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم: للدكتور علي محمد الصَّلابي، دار الفجر للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى (1424هـ - 2004م).
44. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: شيخ الإسلام محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر (639-733هـ)، قدم له: الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، تحقيق ودراسة وتعليق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة بنقويص من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر.
45. التحرير والتنوير؛ تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد: لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، (1894هـ).

46. الترغيب والترهيب: للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المُنذري (581-656هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره، وعلّق عليه: العَلّامة المُحدّث محمد ناصر الدّين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى (1424هـ - 2003م).
47. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك : لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق : محيي هلال السرحان، وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية - بيروت: 1981 م.
48. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي تأليف عبد القادر عودة (ت: 1373هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
49. التصور السياسي للحركة الإسلامية: للشيخ رفاعي سرور.
50. تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية (دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية): للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، دار بن كثير - دمشق-بيروت، مكتبة دار التراث - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة (1407هـ-1987م).
51. التعريفات: للعلّامة علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى: (1405هـ-1985م).
52. التغيير على منهاج النبوة "إرادة العمل": جمعة أمين عبد العزيز : دار الدعوة، مصر، الطبعة الثانية (1416هـ-1999م).
53. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: للدكتور زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، الطبعة الأولى (1428هـ-2007م).
54. تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: (1422هـ-2001م).
55. تفسير البيضاوي: لناصر الدّين عبد الله بن عمر محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1422هـ - 2001م).
56. التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، دار الغرب الإسلامي - دمشق.

57. تفسير السراج المنير: لمحمد بن أحمد الشرييني، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة، دار الكتب العلمية . بيروت.
58. تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار: للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : 1354هـ)، دار النشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
59. تفسير القرآن العزيز: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي رَمَيْن: (و:324، ت: 399)، تحقيق: أبي عبدالله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: (1423هـ-2002م).
60. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(700-774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: (1420هـ-1999م).
61. تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ، والصحابة، والتابعين: للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (ت: 372هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى: (1417هـ - 1997م).
62. التفسير القرآني للقرآن المؤلف: الدكتور عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي - القاهرة.
63. تفسير القشيري، المسمّى لطائف الإشارات: لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1420هـ-2000م).
64. تفسير المراغي: للشيخ أحمد مصطفى المراغي دار النشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
65. تفسير المنتخب: لجنة من علماء الأزهر: (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأزهر)، مؤسسة الأهرام للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة: 1995.
66. التفسير المنير: للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق، 1418هـ.
67. التفسير المُيسَّر: إعداد: نخبة من أساتذة التفسير، حاشية على مصحف المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فهرسة: مكتبة فهد الوطنية بإشراف صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، الطبعة الثانية: مزيدة ومنقحة (1430هـ-2009م).

68. تفسير النسفي: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس- بيروت.
69. التفسير الواضح: لمحمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد.
70. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: للدكتور محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر) دار السعادة - القاهرة، (1393 هـ، 1973م).
71. التفسير الوسيط: للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى 1422 هـ.
72. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين: لنصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (1114-1201هـ)، طبعة مُخرجة الأحاديث عل كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن الجوزي - القاهرة، (1430هـ-2009م).
73. تنمية وتفعيل الشخصية القيادية في السنة والسيرة النبوية: لهداية الله أحمد الشاش، بحوث مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة (1427هـ-2006م).
74. تهذيب الأخلاق: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، القاهرة - دار الصحابة للتراث.
75. تهذيب الأسماء واللغات للعلامة أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة 676 هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
76. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحفظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (654-742هـ)، حققه، وضبط نصه، وعلّق عليه: الدكتور بشار عوّد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1403هـ-1983م).
77. التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق، الطبعة الأولى (1410هـ).
78. تيسير التفسير: لإبراهيم القطان، مراجعة وضبط: عمران أحمد أبو حجلة، الجمعية العلمية الملكية، الطبعة الأولى: 1983م.
79. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1420 هـ -2000 م).
80. الثبات على الطريق وأثره في حياة الأمة: لمحمد أحمد سيد طه.
81. ثلاثون وصية لتكون قائداً ناجحاً: لأمير بن محمد المدري، اليمن - عمران.

82. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)،
حققه، وعلّق على حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه، وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر،
الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
83. الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي،
تحقيق، وشرح: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده - مصر،
الطبعة الثانية (1397هـ-1977م).
84. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسننه، وأيامه: للإمام الحافظ
أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تشرف بخدمته
والعناية به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
85. الجامع في الرسائل الدعوية: جمعه، ونسقه، وفهرسه: الباحث في القرآن والسنة: علي بن
نايف الشحود.
86. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري
الخرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم
الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة (1423هـ-2003م).
87. الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم): للإمام المحدث محمد بن فتوح الحميدي (ت:
488هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسين البوّاب، دار ابن حزم - دار الصميعي، بدون طبعة.
88. الجهاد في سبيل الله فضله، ومراتبه، وأسباب النصر على الأعداء: لسعيد بن علي
القحطاني.
89. الجوانب الإعلامية في خطب النبي ﷺ: لسعيد بن علي ثابت، وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 2000م.
90. حقائق التفسير: لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت:
412هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
91. خلق المسلم: للشيخ محمد الغزالي، دار القلم (دمشق - بيروت)، الطبعة الثانية
(1400هـ-1980م).
92. خواطر حول القرآن الكريم: للشيخ محمد متولي الشعراوي، جريدة أخبار اليوم، إدارة الكتب
والمكتبات، راجع أصله، وخرّج أحاديثه، أحمد عمر هاشم، إذن الموافقة بالطبع: (1411هـ-
1961م).

93. خواطر على طريق الدعوة: للشيخ محمد حسّان، مكتبة فيّاض للطباعة، والنشر، والتوزيع - المنصورة، (1427هـ-2006م).
94. الدّاعيةُ البصيرةُ أخلاقُهُ، وصفاتُهُ، ومنهجهُ، في ضوء الكتاب، والسنة الصحيحة، وأقوال علماء سلف الأمة: للدكتور علي بن عبد الله الصيّاح، دار مدار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى (1425هـ-2004م).
95. الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء: لمحمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبي، مكتبة نزار مصطفى الباز - الرياض، (1417هـ-1996م).
96. درر السلوك في سياسة الملوك: للإمام أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي (450هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق: المستشار الدكتور: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر [الرياض: السعودية]، الطبعة الأولى (1417هـ-1997م).
97. الدررُ السنيّةُ في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل، ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا): دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (1312-1392هـ)، الطبعة السادسة (1417هـ-1996م).
98. الدعوة إلى الإصلاح: لمحمد الخضر حسين، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة الأولى: 1346هـ.
99. دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (384-458هـ)، وثق أصوله، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: الدكتور عبد المعطي قلججي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، دار الريان للتراث - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى (1408هـ-1988م).
100. دليل التدريب القيادي: للدكتور هشام الطالب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية (1416هـ-1995م).
101. دور المنهاج الرياني في الدعوة الإسلامية: للدكتور عدنان رضا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة (1414هـ-1993م).
102. الذريعة إلى مكارم الشريعة: لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1400هـ - 1980م).

103. الرحيق المختوم: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء - المنصورة - مصر، الطبعة السابعة عشرة (1426هـ-2005م).
104. رسالة الأنبياء: لعمر أحمد عمر: دار الحكمة دمشق، الطبعة الأولى (1418هـ-1997م).
105. رسالة المسترشدين: لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري (ت: 243هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا، (1391هـ-1971م).
106. رسول الإسلام محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين: جمع وترتيب: إسلام محمود درباله، دار الآفاق للبحث العلمي والنشر والترجمة.
107. روح البيان في تفسير القرآن: لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، متصوف مفسر، تركي مستعرب. توفي (عام 1127 هـ الموافق لعام 1715م)، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
108. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، المتوفى (1270هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
109. الروح: للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي) - القاهرة.
110. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي (508هـ-581هـ)، تحقيق وتعليق وشرح: د. عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية - مصر، الطبعة الأولى: (1387هـ-1967م).
111. زاد المعاد في هدي خير العباد: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، حقق نصوصه، وخرَّج أحاديثه، وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت، الطبعة السابعة والعشرون (1415هـ-1994م).
112. الزَّاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (282-370هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد المنعم طوعي بشنَّاتي، دار البشائر الإسلامية.

113. الزاهر في معاني كلمات الناس: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (271هـ-328هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، اعتنى به: عز الدين البدوي النجار، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1412هـ-1992م).
114. السباق إلى العقول: للدكتور عبد الله أحمد قادري الأهدل، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1425هـ-2005م).
115. سبل السلام شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني، تصنيف: الإمام العلامة محمد ابن إسماعيل الصنعاني(ت: 1182هـ)، تعليق: المُحدِّث الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني(ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى (1427هـ-2006م).
116. السلوك الوظيفي في المنهج الإسلامي: لبكر الريحان، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، البنك الإسلامي الأردني، بحوث مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة (2007م).
117. سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، المشهور بابن ماجه (207-275هـ)، حقق نصوصه، ورقم كتبه وأبوابه، وأحاديثه، وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).
118. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (202-275هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
119. سنن الدار قطني: للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني البغدادي (306هـ-385هـ)، وبذيله التعليق المغني على الدار قطني: للمحدث العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، حققه، وضبط نصه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: (1424هـ - 2004م).
120. السنن الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي: لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد.
121. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (1405هـ-1985م).

122. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون: لعلي بن برهان الدين الحلبي (975-1044هـ)، دار المعرفة.
123. سيرة الرسول ﷺ: جمع وترتيب: محمود المصري (أبو عمار)، دار التقوى - شبرا الخيمة، الطبعة الأولى (1423هـ-2002م).
124. السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت: 213 أو 218هـ)، مراجعة، وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).
125. السيرة النبوية؛ عرض وقائع، وتحليل أحداث، دروس وعبر: للدكتور علي محمد محمد الصلّابي، دار الفجر للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى (1424هـ - 2003م).
126. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل - المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة: (1418هـ - 997م).
127. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: 739هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية: (1414هـ - 1993م).
128. صحيح سنن الترمذي: للمحدث الشيخ أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الطبعة الأولى: (1408هـ-1988م).
129. صحيح مسلم: للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206-261هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض، (1419هـ-1998م).
130. صفات القائد الدعوي: لعقيل بن محمد المقطري، دار ابن حزم.
131. صناعة القائد (فنون، ومهارات، وسلوكيات إدارية، وتربوية، وتاريخية لمنهجية صنع القادة، بروية إسلامية، مستفيدة من النظريات الحديثة): للدكتور طارق محمد السويدان، والأستاذ فيصل عمر باشراحيل، مكتبة جرير، مكتبة العبيكان، دار الأندلس الخضراء، مكتبة تهامة - المملكة العربية السعودية، مجموعة الإبداع - الكويت، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1423هـ-2002م).
132. طبقات الصوفية: لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت: 412هـ)، تحقيق، وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: (1419هـ-1998م).

133. الطريق إلى المدينة: لمحمد العبدية: دار الجوهرة- عمان، الطبعة الثانية (1999م).
134. العبادة في الإسلام: للدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الرابعة (1395هـ - 1975م).
135. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي (732-808هـ / 1332-1406م)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة، مراجعة: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1421هـ - 2001م).
136. عدة الصابرين: للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691-751هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بكر إسماعيل، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي) - القاهرة.
137. عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين تأليف الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان.
138. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم): للعلامة المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، الطبعة الثانية: (1426هـ - 2005م).
139. عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين: لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري، دار القاسم - الرياض، الطبعة الأولى (1425هـ-2004م).
140. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-852هـ)، رَقَّم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه، وأشرف على طبعه: محبُّ الدِّين الخطيب، دار المعرفة - بيروت - لبنان.
141. الفقه الإسلامي وأدلته: للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية (1404هـ-1985م).
142. فقه الدعوة في إنكار المنكر، لعبد الحميد البلالي، راجعه، وقدم له: المستشار سالم البهنساوي، دار الدعوة للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الثالثة (1409هـ-1989م).
143. فن القيادة في الإسلام: للمقدم الركن أحمد عبد ربّه مبارك بصبُوص، مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء، الطبعة الأولى (1408هـ-1988).
144. فنون القيادة المتميّزة: لمحمد ديماس، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1421هـ-2000م).

145. في ضلال القرآن الكريم: للأستاذ سيد قطب، دار الشروق: (القاهرة - بيروت)، الطبعة الشرعية السابعة عشرة (1412هـ - 1992م).
146. فيض القدير شرح الجامع الصغير: للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، وهو شرح لكتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: (1391هـ - 1972م).
147. قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله: للأستاذ جلال العالم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة (1339هـ - 1979م).
148. القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة (1398هـ - 1978م).
149. قصص الأنبياء: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (700 - 774هـ)، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).
150. قصص الأنبياء: لعبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة.
151. قصص القرآن الكريم: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (700 - 774هـ)، جمع وترتيب: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا - القاهرة، الطبعة الأولى (1427هـ - 2003م).
152. القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل (دراسة قرآنية)، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-3/4/2007م إعداد: د. عبد السلام حمدان اللوح أستاذ مشارك في قسم التفسير وعلومه بكلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، أ. ضيائي نعمان السوسي ماجستير في التفسير وعلوم القرآن مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية الجامعة الإسلامية، (أبريل - 2007).
153. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد: لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، المشهور بأبي طالب المكي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة الثانية (1426هـ - 2005م).
154. القول المبين في سيرة سيد المرسلين: لمحمد الطيب النجار: دار الندوة الجديدة بيروت - لبنان.
155. القيادة العسكرية في ضوء القرآن الكريم: إعداد: اللواء الدكتور المتقاعد فيصل بن جعفر بالي، بحث مقدم لجائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين.

156. القيادة والجنديّة في الإسلام: للدكتور محمد السيد الوكيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثالثة (1408هـ-1988م).
157. الكامل في التاريخ: للإمام العلامة أبي الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بعز الدين، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1407هـ-1987م).
158. كتاب الطبقات الكبير: لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (230هـ)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانحي بالقاهرة، الطبعة الأولى (1421هـ-2001م).
159. كتاب المغازي: لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (130-207هـ)، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، عالم الكتب، الطبعة الثالثة: (1404هـ - 1984م).
160. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (467-538)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل لأحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: أ. د: فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى: (1418-1998).
161. الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية": لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي (ت: 1094هـ 1683م)، تحقيق: الدكتور عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية: (1419هـ - 1998م).
162. أبواب النقول في أسباب النزول: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير، السيوطي، الطولوني، المصري، الشافعي، دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر، الطبعة الأولى (1423هـ-2002م)، دار الفجر للتراث، مصر.
163. الباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1419هـ - 1998م).
164. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.
165. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرق المرضية: للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي.

- 166.مباحث في التفسير الموضوعي: للدكتور مصطفى مسلم الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى(1410هـ-1989م).
- 167.مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البناء، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
168. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى (1413هـ - 1993م).
169. المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، 2000م.
- 170.مختصر سيرة الرسول ﷺ: محمد بن عبد الوهاب(1115هـ-1206هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة الناشر : جامعة الإمام بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية .
- 171.المختصر في أخبار البشر: للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي، المعروف بأبي الفدا: (672هـ-732هـ، 1273م-1331م)، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، الأستاذ يحيى سيد حسنين، د. محمد فخري الوصيف، تقديم: د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، دار المعارف- القاهرة.
172. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى(1422هـ - 2001م).
173. مسافر في قطار الدعوة: للدكتور عادل عبد الله الشويخ، قدّم له: محمد أحمد الراشد.
174. المستدرک علی الصحیحین: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1411هـ - 1990م).
175. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : 241هـ) المحقق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى(1421 هـ - 2001م).
176. مشاهير علماء الأمصار: للإمام أبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البُستي (ت: 354هـ)، وضع حواشيه، وعلّق عليه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1416هـ-1995م).

177. مشيخة ابن البخاري: لجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري الحنفي (626هـ -696هـ)، تحقيق د. عوض عتقي سعد الحازمي، دار عالم الفؤاد - مكة المكرمة - السعودية.
178. ، 1419 هـ، مكان النشر مكة / السعودية
179. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للعلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
180. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: 1377هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى (1410هـ - 1990م).
181. المعارف: لأبي محمد عبد بن مسلم بن قتيبة، (213هـ-276هـ، 828م-889م)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
182. معالم شخصية المسلم: يحيى هاشم حسن فرغل، المكتبة العصرية - بيروت - لبنان.
183. معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد في الألفاظ فيهما نحو 1500 لفظ): ل بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة (1416هـ).
184. المعجم الوسيط : إشراف: أحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مكتبة الروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004م).
185. معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة (1399هـ-1979م).
186. مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، أو التفسير الكبير: للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (1421هـ - 2000 م).
187. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (502هـ)، تحقيق، وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
188. المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى: جمع وإعداد وفهرسة: الباحث في القرآن الكريم والسنة النبوية علي بن نايف الشحود.
189. مفهوم أهل السنة والجماعة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأهل الإفراط والتفريط: جمعه: عادل محمد بن فرحان البحيري الشميري، راجعه وقدم له: الشيخ أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليمان، 1426هـ.

190. مقالة التعطيل والجعد بن درهم: لمحمد بن خليفة بن علي التميمي: أضواء السلف- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (1418هـ-1997م).
191. مقدمة ابن خلدون: لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.
192. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر : الجفان والجابي - قبرص الطبعة الأولى ، 1407 - 1987.
193. مكارم الأخلاق: لأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة (1411هـ - 1990م).
194. الملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت: 1400هـ.
195. من روائع المنجد: للشيخ محمد بن صالح المنجد، دار ابن الجوزي - القاهرة، الطبعة الأولى (1431هـ-2010م).
196. من معالم القيادة والجنديّة الصالحة في القرآن الكريم (قصة سليمان، وقصة ذي القرنين): للدكتور عرفات محمد محمد عثمان، بحث مقدم لجائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين.
197. منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى (1406هـ-1986م).
198. المنهج المسلوك في سياسة الملوك: لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الرحمن الشيزري (589هـ)، تحقيق ودراسة: علي عبد الله موسى، مكتبة المنار[الزرقاء: الأردن] ، الطبعة الأولى (1407هـ-1987م).
199. المنهج النبوي في قيادة التغيير: لبكر الرياحان، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، البنك الإسلامي الأردني، بحوث مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة (2007م)، البحث السادس.
200. منهجية البحث في التفسير الموضوعي: للدكتور زياد خليل محمد الدغامين، دار البشير - عمان - الأردن، الطبعة الأولى (1416هـ - 1995م).

201. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية: لتقي الدين أحمد ابن علي المقرئ، تحقيق: الدكتور محمد زينهم، ومديحة الشراوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى: 1998م.
202. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة الأولى (1420 هـ - 1999 م).
203. مؤمن آل فرعون ودروس في الدعوة: للدكتور محمود محمد عمارة، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة الأولى (1417هـ-1997م).
204. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: إعداد: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.
205. النظام السياسي في الإسلام: للدكتور: محمد عبد القادر أبو فارس، المدرس في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، 1980م.
206. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، (1415 هـ - 1995 م).
207. النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
208. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: للقلشندي.
209. النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، (1399هـ-1979م).
210. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: لمحمد الخضري، المطبعة الجامعة (سليم حبالين - مصر)، الطبعة الأولى (1315هـ).
211. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن الكريم، وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. : الشاهد البوشيخي، الناشر:

مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة،
الطبعة الأولى (1429 هـ - 2008 م).

212. الوجيز في قانون الأحكام العسكرية: لغندور مزمل، المطبعة العسكرية - السودان،
1972م.

213. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 176هـ)،
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - مركز شؤون الدعوة - المملكة العربية السعودية، العدد
(76)، 1409هـ.

214. الولاء والبراء في الإسلام: لمحمد سعيد القحطاني، دار طيبة للنشر - الرياض، الطبعة
الثالثة (1409هـ).

215. الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان: جمع وترتيب: الدكتور عبد اللطيف بن خالد آل
موسى، راجعه، وقدم له: الدكتور سيّد حسين العفّاني، مكتبة سمير منصور للطباعة والنشر
والتوزيع - غزة - فلسطين، الطبعة الرابعة (1428هـ-2007م).

ثانياً: المجالات، والمقالات، والمواقع الإلكترونية:

1. أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم: للدكتور وسيم فتح الله، موقع
الإسلام: <http://www.al-islam.com>

2. أسباب تخلف المسلمين: للشيخ ناصر بن العمر.

المصدر: www.islamdoor.com/kg/tahelf.htm

3. الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق السعيدة: لمحمد بن إبراهيم الحمد الزلفي 1418هـ،
المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية، <http://www.almeshkat.net>.

4. أقوال صنعت كباراً، وغيّرت التاريخ: لعلي الطاهر عبد السلام، المصدر: موقع شبكة مشكاة
الإسلامية: <http://www.almeshkat.net>.

5. الأهلية الشرعية للقيادة الإسلامية: لفتحي يكن.

المصدر: <http://www.almujtamaa-mag.com>.

6. أهمية القيادة والحاجة إليها: للدكتور محمد العبدية، الإثنين: 29 نوفمبر: 2010، موقع
المسلم.

7. أيسر التفاسير: لأسعد حومد، موقع التفاسير، <http://www.altafsir.com>، الموسوعة
الشاملة.

8. بلاغ عام إلى الشارع الإسلامي: لعلاء سعد حسن، المصدر:
<http://www.elbehira.com>
9. حتى لا تكون كلاً، طريقك إلى التفوق والنجاح: للدكتور عوض بن محمد القرني،
[/http://www.saaaid.net](http://www.saaaid.net)
10. حسن اختيار الوافدين: حمدي شعيب (محاضرة)، المصدر:
[.http://www.almujtamaa-mag.com](http://www.almujtamaa-mag.com)
11. درس قرآني في القيادة: <http://forum.alrabita.net/showthread.php>
12. الرقابة الإدارية: لعبد العزيز الدغيثر، المصدر: موقع صيد الفوائد.
13. الشورى بين الدولة الإسلامية والعمل الدعوي: للشيخ خالد بن محمد الصادقي، المصدر:
[.http://www.islamselect.com](http://www.islamselect.com)
14. فقه النصيحة: لمحمد أبو صعليك: almodhe@yahoo.com
[.Almodhe1405@hotmail.com](mailto:Almodhe1405@hotmail.com)
15. فقه مواجهة الدعاة لضغوط العمل: المصدر: <http://www.ala7rar.net>
16. كيف تكون قوي الشخصية: موقع الألوكة، رقم المقال: 1607.
17. كيف توصل فكرتك إلى الآخرين؟: لخالد الصادقي: المصدر:
[.http://www.islamselect.com](http://www.islamselect.com)
18. مجلة البيان: العدد 217، رمضان: 1426 هـ، السنة العشرون، حقيقة الشورى بين
الاتباع والادعاء: لمحمد بن شاكر الشريف.
19. مجلة البيان: العدد 67، ربيع الأول: 1414 هـ، سبتمبر: 1993م، السنة الثامنة، في تقويم
الصحة: للدكتور صلاح الصاوي.
20. مجلة البيان: العدد: 128، ربيع الآخر: 1419 هـ، أغسطس: 1998م، السنة الثالثة عشرة،
تأصيلات دعوية: بين إدارة الوقت وإدارة الذات: لخالد أبو الفتوح.
21. مجلة البيان: العدد: 162، صفر: 1422 هـ، مايو: 2001م، السنة السادسة عشرة، إدارة
الأزمات في حياة الدعاة دراسة على حادثة الإفك: لمحمد بن علي شماخ.
22. مجلة البيان: العدد: 193، رمضان: 1424 هـ، نوفمبر: 2003م، السنة الثامنة عشرة،
قطوف تربوية حول قصة أصحاب القرية، دعامة التغيير الحضاري: د. حمدي شعيب.
23. مجلة البيان: العدد: 235، ربيع الأول: 1428 هـ، السنة الثانية والعشرون، أحاديث القرآن
والسنة عن القادة: لأنور قاسم الخضري.
24. مجلة البيان: العدد: 54، صفر: 1413 هـ، أغسطس: 1992م، السنة السابعة، البيان
الصادر عن ندوة علماء الأزهر: الأستاذ الدكتور عبد الغفار رئيس ندوة العلماء، والأستاذ

- الدكتور محمود حماية الأمين العام للندوة، والأستاذ الدكتور حلمي صابر عضو الندوة،
والأستاذ الدكتور محمد البري عضو الندوة.
25. مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد: 13، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر
الحديث، وكيفية التغلب عليها؟ للدكتور محمد حسين الذهبي الأستاذ بجامعة الأزهر.
26. المعلم الأول ﷺ: لفؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، مصدر الكتاب: موقع الإسلام،
<http://www.al-islam.com>
27. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا: للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل.
المصدر: www.aljiliyl.islamlight.net

خامساً: فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	المقدمة
1	الفصل الأول: القيادة، أهميتها، واجباتها وحقوقها في القرآن الكريم
2	المبحث الأول: القيادة؛ مفهومها، ونظائرها في القرآن الكريم.
3	المطلب الأول: القيادة لغةً، واصطلاحًا، والعلاقة بينهما.
5	المطلب الثاني: نظائر القيادة في السياق القرآني.
11	المبحث الثاني: أهمية القيادة في القرآن الكريم
12	مقدمة المبحث الثاني
13	المطلب الأول: أهمية القيادة في التربية والتوجيه.
22	المطلب الثاني: أهمية القيادة في إقامة شعائر الدين، وتحقيق الشهادة على سائر الأمم.
28	المطلب الثالث: أهمية القيادة في تحفيز الجنود لتحقيق النصر والتمكين.
31	الخلاصة
32	المبحث الثالث: واجبات القيادة، وحقوقها في القرآن الكريم
33	بين يدي المبحث
34	المطلب الأول: واجبات القيادة في القرآن الكريم.
44	المطلب الثاني: حقوق القيادة في القرآن الكريم.
48	الفصل الثاني: أنواع القيادة، وسماتها في القرآن الكريم
49	المبحث الأول: القيادة الراشدة في القرآن الكريم؛ مفهومها، ومستلزماتها.
49	مقدمة المبحث الأول
49	المطلب الأول: مفهوم القيادة الراشدة
51	المطلب الثاني: مستلزمات القيادة الراشدة
52	المبحث الثاني: سمات القيادة الراشدة في القرآن الكريم
53	المطلب الأول: السمات العقدية
60	المطلب الثاني: السمات الخُلقية
84	المطلب الثالث: السمات الشخصية
100	المطلب الرابع: السمات الإدارية

الصفحة	الموضوع
115	المبحث الثالث: القيادة الفاسدة، مفهومها، وسماتها في القرآن الكريم
116	المطلب الأول: مفهوم القيادة الفاسدة
117	المطلب الثاني: سمات القيادة الفاسدة في القرآن الكريم
127	الفصل الثالث: النماذج الراشدة للقيادة في القرآن الكريم
128	التمهيد
129	المبحث الأول: النماذج الراشدة للقيادة العامة.
130	بين يدي المبحث الأول
131	المطلب الأول: ذو القرنين <small>عليه السلام</small> .
136	المطلب الثاني: داود <small>عليه السلام</small> .
140	المطلب الثالث: سليمان <small>عليه السلام</small>
149	المطلب الرابع: بلقيس ملكة سبأ (رضي الله عنها)
153	المبحث الثاني: النماذج الراشدة للقيادة الدعوية
154	بين يدي المبحث الثاني
155	المطلب الأول: مؤمن آل فرعون <small>عليه السلام</small> .
159	المطلب الثاني: مؤمن آل يس <small>عليه السلام</small> .
162	المبحث الثالث: النماذج الراشدة للقيادة العلمية
163	بين يدي المبحث الثالث
164	المطلب الأول: العبد الصالح (رضي الله عنه)
168	المطلب الثاني: موسى <small>عليه السلام</small> والرحلة في طلب العلم
171	المبحث الرابع: النماذج الراشدة للقيادة العسكرية
172	المطلب الأول: طالوت
175	المطلب الثاني: النبي محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small>
179	المبحث الخامس: النماذج الراشدة للقيادة الأمنية
180	المطلب الأول: يعقوب <small>عليه السلام</small>
182	المطلب الثاني: أصحاب الكهف
187	المبحث السادس: النماذج الراشدة للقيادة الاقتصادية
188	المطلب الأول: يوسف <small>عليه السلام</small>
192	المطلب الثاني: شعيب <small>عليه السلام</small>

الصفحة	الموضوع
195	الفصل الرابع: النماذج الفاسدة للقيادة في ضوء القرآن الكريم
196	المبحث الأول: النماذج الفاسدة للقيادة العامة
197	المطلب الأول: النمروذ
199	المطلب الثاني: فرعون
205	المبحث الثاني: النماذج الفاسدة للقيادة الدعوية
206	المطلب الأول: السامري
208	المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة
213	المبحث الثالث: النماذج الفاسدة للقيادة العلمية
214	المطلب الأول: علماء سوء من بني إسرائيل
219	المطلب الثاني: الشياطين يعلمون الناس السحر
221	المبحث الرابع: النماذج الفاسدة للقيادة العسكرية
222	المطلب الأول: جالوت
223	المطلب الثاني: عبد الله بن أبي بن سلول
227	المبحث الخامس: النماذج الفاسدة للقيادة الأمنية:
228	المطلب الأول: رهط قوم صالح
229	المطلب الثاني: زعماء مشركي مكة
230	المبحث السادس: النماذج الفاسدة للقيادة الاقتصادية
231	المطلب الأول: قارون
233	المطلب الثاني: صاحب الجنتين في سورة الكهف
236	الخاتمة
238	فهرس الآيات القرآنية
267	فهرس الأحاديث النبوية
269	فهرس الأعلام
270	فهرس المراجع
292	فهرس الموضوعات
295	ملخص الرسالة باللغة العربية
296	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

القيادة في ضوء الآيات القرآنية (دراسة موضوعية)

بحثٌ مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن - الجامعة الإسلامية - غزة
تُمثّل القيادة في النظام الإسلامي أهمية كبيرة؛ فبها تُقام الحدود، وتُؤمن السُّبل، ويُحقق الأمن؛ لهذا قمت بالكتابة في هذا الموضوع، على منهج التفسير الموضوعي؛ للتأصيل للمفاهيم القيادية من وجهة نظر القرآن الكريم؛ اعتماداً على الآيات القرآنية في الغالب الأعم، وقد جعلت البحث في أربعة فصول، وخاتمة.

تناولت في الفصل الأول؛ مفهوم القيادة، وأهميتها في القرآن الكريم، وانتهيت بالحديث عن واجبات القيادة، وحقوقها في القرآن الكريم.

وقد تناولت في الفصل الثاني أنواع القيادة، وسماتها في القرآن الكريم؛ إذ عرّجت على مفهوم القيادة الراشدة، والقيادة الفاسدة، وسمات كل منها في القرآن الكريم.

كما تناولت في الفصل الثالث الحديث عن النماذج الراشدة للقيادة في القرآن الكريم، في المجالات المتعددة (العامة، الدعوية، العلمية، الأمنية، العسكرية، الاقتصادية).

وكان الفصل الرابع على غرار الفصل الثالث، إلا أنّ الحديث فيه تعلّق بالنماذج الفاسدة للقيادة في القرآن الكريم في المجالات الموضحة آنفاً.

ثمّ كانت الخاتمة، وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

Leadership in the verses of the Holy Quran

(objective study)

Research presented to obtain a masters degree in the interpretation and science Holy Quran _the Islamic University of Gaza .

Leadership in Islamic system is very important for the establishment of the border , securing means and dissemination of security.

Therefore I write in this topic on the interpretation of the substantive approach to consolidate the concepts of leadership from perspective of Holy Quran based on koranic verses and I have written research in four chapters .

In the first chapter , I dealt with the concept and importance of leadership in the Holy Quran in the end of this chapter I clarify the duties and rights leadership in holy Quran .

In the second chapter , I dealt with types of leadership and those features in the Holy Quran including : good leadership and bad leadership.

In the third chapter , this chapter contains the forms of adult leadership in the Holy Quran in several areas (public, advocacy, scientific, security ,military and economic) .

Chapter four similar to chapter three but chapter four forms linked to the bad leadership in the Holy Quran in the areas described previously.

I finished my research in conclusion which included the most important results and recommendations .